مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس

عبد الرحمن الجبرتى

تحقيق ودراسة وتعليق

عبد الرازق عيسى

باحث فى التاريخ الحديث

آداب عين شمس

عماد أحمد هلال

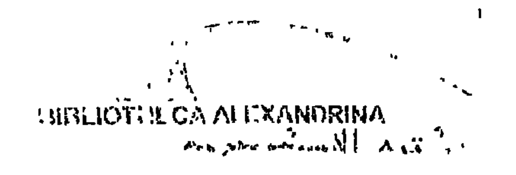
باحث فى التاريخ الحديث

آداب بنها

الجزء الثانى (2)



٦٠ شارع القصر العينى - أمام
روزاليوسف (١١٤٥١) القاهرة
ت: ٣٥٥٤٥٢٩ فاكس : ٣٥٤٧٥٦٦



العربى للنشر والتوزيع

٦٠ شارع القصر العينى (١١٤٥١) - القاهرة

ت : ٣٥٥٤٥٢٩ فاكس : ٣٥٤٧٥٦٦

الطبعة الأولى

١٩٩٨

مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس

للعلامة عبد الرحمن الجبرتى

المحققين : عبد الرازق عبد الرازق عيسى - عماد أحمد هلال

عدد الصفحات : ٥٩١

الغلاف للفنان : مصطفى رمزى

مطبعة النيل : ٢١ ش المدارس- العمرانية الغربية جيزة- ت : ٥٦١٥٧٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

يوميات سنة ١٢١٤ هـ

ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائتين وألف . (١)

شــهر المحــرم ١٢١٣هـ (٢)

استـهل المحـرم بيـوم الأربعـا (٣) فـيـه حـضـر جـمـاعـة من الفـرنسـيس إلى العادلية، فضربوا خمسة مدافع لقدومهم ، واختلفت الأخبار .

فلما طلع نهار الخميس ، عملوا الديوان ، وأبرزوا مكتوباً مترجماً ، ونصه :

"صورة جواب من العرضي قدام عكا في ٢٧ شهر فريبال (٤) الموافق لحادي عشر شهر الحجة سنة ١٢١٣ . بونابارتة صارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية ، إلى محفل ديوان مصر ، نخبركم عن سفره من بر الشام إلى مصر ، فإني بغاية العجلة بحضوري لطرفكم ، نسافر بعد ثلاثة أيام من تاريخه ، ونصل إلى عندكم بعد خمسة عشر يوماً ، وجايب معي جملة محابيس بكثرة وبيارق ، محقت سراية الجزار وصور عكا ، وبالقنبر هدمت البلد ، لم أبقيت فيها حجر على حجر ، وجميع سكانها انهزموا من البلد في طريق البحر ، الجزار مجروح ودخل بجماعته داخل برج من ناحية البحر ، وجرحه بليغ لخطر الموت . من جملة ثلاثين مركب موثوقين

١- فى النسخة (ب) "سنة أربعة عشر ومائتين وألف " والصواب ما أثبتناه من النسخ الأخرى .

٢- العنوان من وضع المحققين .

٣- من هذا اليوم تتفق التواريخ التى يذكرها الجبرتى مع تقويم مختار باشا فى "التوفيقات الإلهامية " حيث يشيران إلى أن يوم الأربعاء هو غرة المحرم ١٢١٤ هـ / ٥ يونيو ١٧٩٩م.

٤- يقصد الجبرتى فلوريال " Floreal"و٢٧ منه يوافق ١٦ مايو ١٧٩٩م . وهو الشهر الثامن من تقويم الجمهورية الفرنسية .

عساكر الذى إجوا يساعدوا الجزار ، ثلاثة غرقوا من كثرة مدافع مراكبنا ، وأخذنا منهم أربعة موثوقين مدافع ، فالذى أخذوا هذه الأربعة فرقاطة من "بتوعنا"، والباقى تلفوا واتبهدلوا ، والغالب منهم عدم ، وأنى بغاية الشوق إلى مشاهدتكم ، لأنى بشوف أنكم عملتم غاية جهدكم من كل قلبكم ، لكن جملة فلاتية دايرين بالفتنة، لأجل ما يحركوا الشر فى وقت دخولى ، كل هذا يزول مثل ما يزول الغيم عند شروق الشمس . [ص ١٤٩] ومنتوره مات من تشويش ، هذا الرجل صعب علينا جداً والسلام " ومنتوره هذا ترجمانه ، وكان لعيناً متحركاً متملقاً (١) ويعرف اللغات : التركية والعربية والرومية والطليانى والفرنساوى .

وفى يوم الثلاثا (٢) سابعه (٣) حضر جماعة أيضاً من العسكر بأثقالهم ، وحضرت مكاتبة من كبير الفرنسيس أنه وصل إلى الصالحية ، وأرسل دوجا الوكيل ، ونبه على الناس بالخروج علاقاته ، بموجب ورقة حضرت من عنده يأمر بذلك .

فلما كانت ليلة الجمعة عاشره (٤) أرسلوا إلى المشايخ والوجاقات وغيرهم ،

١- فى عجائب الآثار يغيرها الجبرتى إلى " لبيبا متبحراً ". وهو يقصد المستشرق فانتور Vanture أكبر أعضاء المجمع العلمى سناً ، وكبير مترجمى الحملة ومستشار نابليون فى كل ما يتعلق بالشرق لأنه قضى فيه نحو أربعين سنة ، وكان قبل حضوره لمصر يعمل ترجماناً لسفارة فرنسا فى الاستانة وعمل مدرساً للغة التركية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس .راجع الرافعى :مرجع سابق ، جـ١ ، ص ١٣٦ .

٢- يوم الثلاثاء ٧محرم ١٢١٤هـ الموافق ١١ يونيو ١٧٩٩م .

٣- قبل هذه اليومية مباشرة توجد يومية فى عجائب الآثار لم يدونها الجبرتى فى مظهر التقديس ، وهى عبارة عن رسالة من بونابرت إلى الفرنسيين بمصر يوضح لهم فيها خمسة عشر سبباً لرحيله عن عكا . راجع ملحق رقم (١) .

٤- يوم الجمعة ١٠ محرم ١٢١٤هـ الموافق ١٤ يونيو ١٧٩٩م .

فاجتمعوا بالأزبكية وقت الفجر بالمشاعل ، ودقت الطبول ، وحضر الحكام والقلقات بمواكب وطبول وزمور ، ونوبات تركية ، وطبول شامية ، وملازمين وجاويشية ، وغير ذلك . وحضر الوكيل وقايمقام وأكابر عساكرهم ، وركبوا جميعاً بالترتيب من الأزبكية إلى أن خرجوا إلى العادلية ، فقابلوا كبير الفرنسيس هناك ، وسلموا عليه ، ودخل معهم إلى مصر من باب النصر ، بموكب هائل بعساكرهم وطبولهم وزمورهم وعرباتهم ونسايهم وأطفالهم ، فى نحو خمس ساعات من النهار ، إلى أن وصل إلى داره بالأزبكية ، وانفض الجمع وضربوا عدة مدافع عند دخولهم المدينة . وقد تغيرت ألوان العسكر القادمين واصفرت أبدانهم ، وقاسوا مشقة عظيمة من الحر والتعب ، [ولم يظفروا بمقصودهم من أحمد باشا ولله الحمد ، ورجعوا من غير طايل][1] وأقاموا على حصار عكا أربعة وستين يوماً حرباً مستديماً ليلاً ونهاراً ، وأبلى أحمد باشا وعسكره بلاءًحسناً ، وقد نظم ذلك فى قصيدة الأديب اللبيب ، والفاضل النجيب ، السيد على الصيرفى الرشيدى ، نزيل عكا المحروسة ، فقال من"بحر الخفيف"[2] [ص ١٥٠]

١- كم لربى على الورى من أيادى   دون إحصا بالحد والتعداد

٢- كم أتتنا ألطافة [3] تتوالى   باهرات بنورها الوقاد

١- العبارة التى بين القوسين حذفها الجبرتى من عجائب الآثار .

٢- بحر الخفيف : هو أحد بحور الشعر العربى التى وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدى وعددها خمسة عشر بحراً زادها تلميذه الأخفش عمرو بن مسعدة بحراً سمى (المتدارك " لأنه تدارك به على الخليل . ويتكون بحر الخفيف من تفعيلتين مختلفتين تتكرران بنظام فى كل بيت وهى فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن - فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن . راجع د. محمد السعدى فرهود : فن القريض ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ١٩٧٨، ص ٥ .

٣- فى النسخة (ب) "اللطافة " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٣- ووقانا خطوب دهرٍ تعامى وحمانا من الكروب الشدادِ
٤- وكفانا شرور من آذانا وأذاق العدا شراب البعادِ[١]
٥- حين جاءت جموع شرك فرنج ثم جالوا فى مصر بالإفسادِ
٦- أخذوها والمسلمون نيام ليس فيهم مستيقظ من رقادِ
٧- صار كلب اللئام يلعب فيهم ما رأوا زاجراً لهم عن عنادِ
٨- واستطالوا على الورى بفجور وطغوا مثل ما طغت قوم عادِ
٩- عَمَه عَمَّهُم بطغيان كفر والعمى قد رماهم فى المصادِ
١٠- ولهم زيّن اللعين فعالا ركبوها حتى بلغوا للنكادِ
١١- وأرامهم قبيحهم حسن قصد نحو عكا ذات السعود البادى [٢]
١٢- فاستعدوا لها بآلات حرب ورجال كثيرة كالجرادِ
١٣- خيموا حولها بجيش وخيش ومتاريس ضاق منها الوادى
١٤- اشبهوا قوم صالح فى فعال ينحتون [٣] الجبال لاستعدادِ
١٥- فى حصون من التراب تراهم شيدوها بقوة وعمادِ
١٦- فكأن الجن والشياطين فيهم يسرعون الأعمال عند التنادِ
١٧- حاصروها وشددوا فى حصار واستمدوا بكل نوع مرادِ
١٨- وأتوها والجند فيها قليل غير أن الكريم ذو أمدادِ

١- فى النسخة (أ) "العدوا شرابا " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٢- يلاحظ أن كل هذه القصيدة قد حذفها الجبرتى فى عجائب الآثار ما عدا الأبيات من ١١:١٧ والأبيات من ٢٠ إلى ٢٢ كما يلاحظ أن الأرقام التى أمام كل بيت من وضع المحققين لتسهيل الإشارة إلى كل بيت برقمه .

٣- فى النسخة (أ) "ينتحون " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

١٩-فاذكروا كم من فئة[1] إقرأوها ... فهى نص لنا صريح المفادِ

٢٠-ثم دارت رحى الحروب لدينا ... بضروب مدامة الترداد

٢١- كل يوم وليلة فى رعود ... وبروق من غيم ذاك العادى (٢)

٢٢-كم نهاراً أضحى كليلٍ بهيم ... من دخان الوغا غدا فى ازديادِ

٢٣- كم نحرنا أيام نحر رقاباً ... من فرنج أتت بلا ميعادِ

٢٤-وسقينا من الدماء سيوفا ... فتروى من سيلها كل صادى (٣)

٢٥- ومعالى بر وجنا عرفات ... كم وقفنا بها على المرصادِ

٢٦- ومطاف الأسوار فيه طواف ... لجيوش ويمبدأ ومعاد (٤)

٢٧- كم تلبى تلك الجيوش لداع ... مسرعين الجهاد بالاجتهادِ [ص ١٥١]

٢٨- ورجال الإسلام تنصر دوما ... والرد الأحق لتلك العوادى

٢٩- ونظير الروس من أهل شرك ... وتسيل الدما ملا الوادى

٣٠- وكرامات أوليا تبدت ... شاهدتها أهل الضيا والسوادِ

٣١-ورجالاً قد عاينوها طوالاً ... قاتلوهم بحضرة وبوادى

٣٢-ما سمعنا ولا رأينا كهذا ... فى عصور تقدمت أو بلادِ

٣٣- خر من هيبة الجلال جبا ... من بروج رفيعة الأنجادِ

١- يقصد الآية رقم ٢٤٩ من سورة البقرة " كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين " .

٢- فى النسخة (ب) "من غير ذلك العادى " وفى عجائب الآثار "من غيم ذلك الوادى".

٣- صاد أى ظمآن .

٤- الأبيات من رقم ٢٦ حتى رقم٤٣ غير موجودة فى النسخة (ب) وقد وقع المحققون السابقون فى هذا الخطأ لاعتمادهم على نسخة واحدة . وعلى ذلك فإن هناك ١٨ بيتاً من هذه القصيدة ناقصة فى طبعتى التربية والتعليم والبيان العربى .

٣٤-سيما ما على ببرج على ... من حرور الحروب والإيقادِ

٣٥- وتداعت أسوارنا لانخفاض ... واكتست رفعة بقوم جيادِ

٣٦- خربوها وإنما أخربوا أعمارهم ... مما قد جنوا بالأيادى

٣٧- قطعوا الأشجار فكان جزاهم ... قطع أعناقهم بسيف الحصادِ

٣٨- وإذا ما احتالوا بمكر وكيد ... عاد حقاً عليهم بالفسادِ

٣٩-حفروا حفرة فصارت قبوراً ... لجسوم لهم ذوى أبعادِ

٤٠- ورأوا من حروب عكا كروباً ... دمرتهم وعلقت فى الجيادِ

٤١- بلدة حصنها التوكل والتوحيد ... فيها فكيف ظفر الأعادى

٤٢- دخلوها لأجل آجالهم إذ ... حل فيهم سيوف أهل الجهادِ

٤٣-كيف يسطوا العدا عليها بأخذ ... وهو أقسى من خطرهم للقتادِ

٤٤- جزّفيها الجزار أعناق كفر ... أحمد الفعل عارف بالسدادِ

٤٥- ذو اهتمام بحفظ دين وعرض ... ذو أيادى سريعة للمنادى

٤٦- عنتر القوم يافتى لو رآه ... لتوارى كالذنب من آسادِ

٤٧- مستمداً من الإله انتصاراً ... مستديماً على العلا باعتمادِ

٤٨- قَوّمَ الدين بعدما اعوج منا ... وأقام المنقض من أوتادِ (١)

٤٩- فهو ذاك المبعوث فى راس قرن ... طبق ما أخبر الشفيع الهادى (٢)

١- فى النسخة(ب) "أوتادى" والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٢- يقصد الإشارة إلى حديث الرسول الكريم "يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد الإسلام " ويقصد هنا أن الجزار هو رأس المئة الثالثة عشرة . لمزيد من المعلومات عن الجزار انظر ترجمته فى محمد جميل الشطى : أعيان دمشق فى القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر الهجرى . ص ٣٨ .

٥٠- لو ترى صبره بمـدة حـصر	قلت هذا أقوى من الأطوادِ (١)
٥١-أحسن الصبر والثبات يقينا	فهو ألف والغير كالآحادِ
٥٢- كم تفر الأبطال من كرب حرب	وهو بالسيف سابق الأجنادِ
٥٣- وينادى أيا رجال عليهم	لاتخافوا من نار ذاك المنادى
٥٤- فيبدد الكفار قتلاً وأسراً	ويعودون بالردى كالرماد[ص ١٥٢]
٥٥-خاب مسعاهم ببر وبحر	وشقاهم أتى بقطع المدادِ
٥٦- فأقاموا من يوم(٢)ثالث عشر	قد خلت من شوالنا بالنفادِ (٣)
٥٧-واستداموا السادس بعد عشر	من ختام الشهود بعد الحادى (٤)
٥٨- عدّ سد قد دام حرب وحصر	ثم جاد الكريم رب العبادِ
٥٩- وأتى النصر من قريب مجيب	مسرعاً بالسرور والإسعادِ
٦٠- أعجب الناس من غرائب نصر	لم يكن فى ظنونهم متبادى
٦١- بينما ليلة الثلاث (٥) سهادى	إذ أتانا أخبار ذى الإلحادِ
٦٢- هربوا خفية بليل وقاموا	مسرعين بالهروب بالأنكادِ

١- الطور هو الجبل وجمعه أطواد .

٢- كلمة "يوم" غير موجودة فى النسخة (أ) .

٣- يقصد أن حصار عكا قد بدأ يوم الأربعاء ١٣ شوال ١٢١٣هـ الموافق ليوم ٢٠ مارس ١٧٩٩م .

٤- يشير إلى أن نابليون قد رفع الحصار عن عكا يوم الأربعاء ١٦ من ذى الحجة ١٢١٣هـ الموافق ٢٢ مايو ١٧٩٩م . وبذلك تكون مدة الحصار ٦٣ يوماً وفى التوفيقات الإلهامية فيوم ١٦ ذى الحجة يوافق الثلاثاء ٢١ مايو وذلك يتفق مع كاتب القصيدة الذى يذكر فى البيت رقم ٦٠أن الفرنسين رحلوا يوم الثلاثاء.

٥- فى النسخة (ب) "الثلاثا " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٦٣- بقلوب مملوءة كل رعب … وعيون بيضاً بغير سوادِ

٦٤- يتخلوا عن السلاح وما يثقلهم … خيفة من الإجهادِ

٦٥- والمجاريح منهم ثم قتلاهم … لقد فاقت جملة الأعدادِ

٦٦- فغدونا(١) وقد رأينا عجاباً … من قبيح الإصدار والإيرادِ

٦٧- وانجلت ظلمة الشرور وجاءت … بهجة النور والهدى والرشادِ

٦٨- زهق الباطل الذى ارتكبوه … حين جاء الحق القوى باعتقادِ

٦٩- ويح أرض تدنست بلحوم … من فرنسا وبين أهل العنادِ

٧٠- لم ينالوا من المدينة إلا … كسبهم عارهم مدا الأبادِ

٧١- برج عكا نص الحديث عليه … أن فيه ملاحماً باشتدادِ

٧٢- وهى كبرى ومن مناقب فرد … قائم بالجماعة الأفرادِ

٧٣- فحمدنا إلهنا عز شأناً … وشكرنا لفضله المتمادى

٧٤- وسألناه أن يتمم نصراً … بفتوح لمصر ذات المهادِ

٧٥- ويعين المسعود بالسعد فيها … ويعز الإسلام من ذا الجوادِ

٧٦- ينبى محى الضلالة بحق … وحماه الإله من حسادِ

٧٧- فعليه الصلاة ثم السلام (٢) … وعلى الآل سادة أمجادِ

٧٨- سعد عكا نادى لها أرخوها … "فبك سر ونصرة للبلادِ"(٣)

١- من جميع النسخ "قعدونا" والصواب ما أثبتناه "فغدونا" .

٢- فى النسخة (أ) "ثم سلام" والصواب ما أثبتناه من النسخ الأخرى .

٣- الشطر الثانى من البيت هو تأريخ بالحروف لتاريخ كتابة القصيدة . ١٢١٣هـ .

تعليق على القصيدة : (١)

قال صاحبنا المشار إليه ، وكان هذا الناظم ممن ينظم بسليقته ، لا بمعرفته في العروض (٢) ودربته ، [ص ١٥٣] فقد استعمل في بحره الذي نظم عليه ، من الممتنعات (٣) عند العروضيين ماكدر صفوه ، وقاد القوافي لتغيير مواضعها مع مزيد الثقال والنبوة (٤) وها أنا مُنَبِه على ما ارتكبه من الممتنع عند العروضيين : فمنها أنه استعمل التشعيث (٥) في العروضة (٦) في غير ما موضع من القصيدة ، وهذه العلة إنما تقع في الضرب أو العروضة في حالة التصريع (٧) ومنها أنه

١- هذا التعليق كاملاً غير موجود في عجائب الآثار . والعنوان من وضع المحققين .

٢- علم العروض : هو العلم الذي يدرس أوزان الأبيات داخل القصيدة لمعرفة النغمة التي تسير عليها أو البحر الذي صيغت على تفعيلاته ومدى توفيق الشاعر في الوفاء بمستلزمات هذا البحر الشعري . وترجع نشأة هذا العلم إلى العبقري البصري "الخليل بن أحمد الفراهيدي " الذي اخترعه كاملاً غير منقوص لم يزد عليه أحد بعده شيئاً سوى ما يقال من أن "الأخفش بن مسعده " استدرك عليه بحراً سمي "بالمتدارك " أنظر د/ شعبان صلاح :في علمي الصرف والعروض ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، ١٩٩١ ، ص ٢٥ وما بعدها .

٣- الممتنعات : هي ما لا يجوز إدخاله على تفعيلات البحر من زيادة أو نقصان لأنه يخل بالموسيقى وعكسها ما يجوز إدخاله مما لا يخل بالموسيقى مثل "الزحاف ، والتشعيث ، والتصريع "

٤- "الثقال والنبوة " ويقصد بهما الخروج عن المألوف مما يخل بالموسيقى فالثقال ما ثقل على اللسان ، والنبوة ما ارتفع من الأرض .

٥- التشعيث : هو حذف أول الوتد المجموع مثل "فاعلاتن" فتصير "فالاتن " وهو مما يجوز إدخاله على التفعيلة لكونه لا يخل بالموسيقى .

٦- العروضة : هي الشطر الأول من البيت وعكسها "الضرب " أي الشطر الثاني من البيت .

٧- التصريع : هو اتفاق العروضة مع الضرب في البيت الأول فقط ، واختلافها معه في بقية القصيدة .

استعمل غير مرة "مستفع لن " المفروق الوتد[1] [الكاين فى هذا البحر استعمال " متفعلن " المجموع الوتد] [2] فأدخل فيه زحاف الطى [3] فنقل إلى "مفتعلن " ، والحال أن الذى من مواضع الطى ، هو مجموع الوتد لا مفروقه ، لما يلزم على طى مفروق الوتد من دخول الزحاف فى الأوتاد ، ومواضع الزحاف هو الأسباب ليس إلا ، فهذا مما لم يقل به أحد من العروضيين ، ولم يقع فى شعر العرب ولا المولدين ، من المتقدمين والمتأخرين ، إلى وقتنا هذا إلا فى شعر غير عارف بالموازين ، وأما استعماله القوافى [4] فى غير موضعها ، فهو جلى لكل فطن عنده أدنى إلمام باللغة والصرف ، ولو أردت انتقاده لطال الكلام ، وفوت عنا الغرض فى هذا المقام . ثم هو قد مدح مخدومه أحمد باشا الجزار ، وهو بهذا المدح حقيق ، لكونه جاهد فى الدين حق الجهاد ، فأرغم العدو وأسرَّ الصديق ، ومن الواجب علىَّ ، والمتحتم لدىّ ، أن أمدح مولانا الوزير أبقاه الله شكراً على نعمة فتوح مصر التى [5]

١- التفعيلة : تتكون التفعيلة الواحدة من عدد من الحركات والسكنات، أو ما يسمى بالمقاطع العروضية ، وهذه المقاطع عددها ست هى السبب الخفيف والسبب الثقيل والوتد المجموع والوتد المفروق ، والفاصلة الصغرى ، والفاصلة الكبرى ، والأسباب تتكون من حركة وساكن للخفيف مثل "لمْ" أو "قُم " وحركتين للثقيل مثل "بِمَ" أو "أرَ" والأوتاد تتكون من حركتين . فساكن للمجموع مثل "دعا" أو " هدى" وحركتين بينهما ساكن للمفروق مثل "بَيْنَ" أو "سَوْفَ" ولمزيد من التفاصيل .راجع د/ شعبان صلاح:مرجع سابق . ص ١٣ وما بعدها .

٢- العبارة التى بين القوسين غير موجودة فى النسخة (أ) .

٣- الزحاف : هو تغيير يلحق بالأسباب وليس الأوتاد ويكون بحذف ثانى السبب ثقيلاً كان أم خفيفاً .

٤- القوافى هى الحروف الأخيرة من الأبيات وتكون غالباً متشابهة فى الكتابة والنطق والجرس الموسيقى .

٥- كلمة " التى " غير موجودة فى النسخة (ب) .

أجراها الله على يديه ، واختاره لهذه المنقبة الشريفة الرفيعة الذكر فى الدنيا ، والمضاعفة الثواب فى الأخرى لديه ، واستنقاذنا من أسر أولئك الكفرة اللئام ، ورد شمل المسلمين بعد الصدع إلى الانتظام والالتئام ، وسأذكر ذلك فى موضعه بعد هذا الكتاب ، مجارياً لهذه القصيدة فى وزنها ورويها ، ليظهر الفرق بين أرباب الألباب .

وفيه (١) قبضوا [ص ١٥٤] على إسماعيل القلق الخربطلى ، وهو المتولى كتخدا العزب ، وكان ساكناً بخط الجمالية ، وأخذوا سلاحه وأصعدوه إلى القلعة وحبسوه ، والسبب فى ذلك أنه عمل فى تلك الليلة وليمة ، ودعا أصدقائه وأحبابه وآلات اللهو والطرب ، وبات سهراناً بطول الليل ، فلما كان آخر الليل غلب عليهم السهر والسكر فناموا إلى ضحوة النهار ، وتأخر عن حضور ملاقات الفرنسيس ، فلما أفاق ركب ولاقاهم عند باب النصر ، فنقموا عليه ذلك وحبسوه كما ذكر . ولما وصل كبير الفرنسيس إلى داره بالأزبكية تجمع هناك أرباب الملاهى والبطالات وطوايف الرميلاتية ورعاع العالم من الحرافيش ، وأكلة الحشيش ، وملاعبين القرود، والحواه والنساء الرقاصات والخلابيص(٢) والمراجيح ، وأمثال ذلك كتجمعهم أيام الأعياد والمواسم ، واستمروا على ذلك ثلاثة أيام ، وفى كل يوم تعمل الفرنسيس شنكاً ومدافع وحراقه وسواريخ ونفوط ، ثم انصرفوا بعدما أعطاهم دراهم وفى يوم الأحد(٣) عزلوا دستان قايمقام ، وتولى عوضه دوجا الذى كان وكيلاً عن

١- أى فى يوم الجمعة ١٠ محرم ١٢١٤هـ الموافق ١٤ يونيو ١٧٩٩م .

٢- الخلبصة . الفرار : وخلبص الرجل أى فرّ ، "لسان العرب" والخلبوص فى "المعجم الوجيز" طائر أصغر من العصفور ، ولونه كلونه ، والمصطلح المقصود هنا "صبى العالمة " أى "خادم الراقصة ".

٣- يوم الأحد ١٢ محرم ١٢١٤هـ الموافق ١٦ يونيو ١٧٩٩٩م .

صارى عسكر ، وتهيأ المعزول للسفر إلى جهة بحرى ، وأصبح مسافراً وصحبته نحو الألف من العسكر ، وسافر أيضاً منهم طايفة إلى البحيرة .

وفيه طلبوا من طوايف النصارى دراهم سلفة ، مقدار ماية وعشرين ألف ريال .

وفى خامس عشره [1] أرسلوا إلى زوجات حسن بيك الجداوى ، وختموا على دورهن ومتاعهن ، وطالبوهن بالمال ، وذلك بسبب أن حسن بيك التف على مراد بيك ، وصار يقاتل الفرنسيس معه ، وقد كانت الفرنسيس كاتبت حسن بيك وأمنته وأقرّته [ص ١٥٥] على ما بيده من البلاد ، وأن لا يخالف ويقاتل مع الأخصام ، فلم يقبل منهم ذلك ، فلما وقع للنسا ذلك ذهبن إلى المهدى ، ووقعن عليه ، فصالح عليهن بمبلغ ثلاثة آلاف ريال فرانسة .

وفى تاسع عشره [2] هلك ميخائيل كحيل النصرانى الشامى - وهو من رجال الديوان الخصوصى - فجأة ، وذلك لقهره وغمه ، ومنشأ ذلك أنه وزع عليه فى سلفة الفرنسيس ستة آلاف ريال فرانسة ، وشرع [3] فى تحصيلها ، ثم بلغه أن أحمد باشا الجزار قبض على شريكه بالشام ، وأخذ ماله جميعه ، فورد عليه الخبر وهو جالس يتحدث مع أخوانه حصة من الليل ، فخرجت روحه فجأة .

وفيه[4] كتبوا أوراقاً وطبعوها ، ولصقوها بالأسواق كعادتهم ، وذلك بعد أن

١- يوم الأربعاء ١٥ محرم ١٢١٤هـ الموافق ١٩ يونيو ١٧٩٩م .

٢- يوم الأحد ١٩ محرم ١٢١٤هـ الموافق ٢٣ يونيو ١٧٩٩م .

٣- فى النسخة (أ) "وتسرع " والأصوب ما أثبتناه .

٤- أى فى يوم الأحد تاسع عشره .

رجعوا من الشام واستقروا ، فنمقوا ذلك بترصيف بعض الفصحاء [1] ونصها :
"من محفل الديوان الخصوصى بمحروسة مصر خطاباً لأقاليم مصر الشرقية والغربية والمنوفية والقليوبية والجيزة والبحيرة ، النصيحة من الإيمان ، قال تعالى فى محكم القرآن [ولا تتبعوا خطوات الشيطان][2] وقال تعالى [ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون] [3] فعلى العاقل أن يتدبر الأمور ، قبل أن يقع فى المحذور . نخبركم معاشر المؤمنين ، أنكم لا تسمعوا كلام الكذابين ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ، وقد حضر إلى محروسة مصر المحمية ، أمير الجيوش الفرنساوية ، حضرة بونابارتة محب الملة المحمدية ، ونزل بعسكره فى العادلية ، سليماً من العطب والأسقام ، ودخل إلى مصر ، من باب النصر ، يوم الجمعة [4] فى موكب عظيم ، وشنك جليل [5] فخيم ، وصحبته العلما والوجاقات السلطانية ، وأرباب [ص ١٥٦] الأقلام الديوانية ، وأعيان التجار المصرية ، وكان يوماً عظيماً مشهوداً ، وخرجت أهل مصر لملاقاته ، فوجدوه هو الأمير الأول بذاته وصفاته ، وظهر لهم أن الناس يكذبون عليه ، شرح الله صدره للإسلام ، والذى أشاع عنه الأخبار الكاذبة ، العربان الفاجرة والغز الهاربة ، ومرادهم بهذه الإشاعة هلاك الرعية ، وتدمير أهل الملة الإسلامية ، وتعطيل الأموال

١- يشير الجبرتى إلى الشيخ المهدى الذى استعان به الفرنسيون فى صياغة الكثير من منشوراتهم والفرق بين المنشورات التى صاغها لهم والتى صاغوها بأنفسهم واضح .

٢- سورة البقرة الآية ١٦٨ .

٣- سورة الشعراء الآية ١٥٢ .

٤- يوم الجمعة ١٠ محرم ١٢١٤هـ الموافق ١٤ يونيو ١٧٩٩ م .

٥- كلمة "جليل "غير موجودة فى النسخة (أ) وأثبتناها من بقية النسخ .

الديوانية ، لا يحبون راحة العبيد ، وقد أزال الله دولتهم من شدة ظلمهم [إن بطش ربك لشديد](1) وقد بلغنا أن الألفى توجه إلى الشرقية مع بعض المجرمين من عربان بلى (2) والعيايدة الفجرة المفسدين ، يسعون فى الأرض بالفساد ، وينهبون أموال المسلمين ، [إن ربك لبالمرصاد](3) ويزورون على الفلاحين المكاتيب الكاذبة ، ويدعون أن عساكر السلطان حاضرة ، والحال أنها ليست بحاضرة ، فلا أصل لهذا الخبر ، ولا صحة لهذا الأثر ، إنما مرادهم وقوع الناس فى الهلاك والضرر ، مثل ما كان يفعل إبراهيم بيك فى غزة ، حين كان يرسل فرمانات بالكذب والبهتان ، ويدعى أنها من طرف السلطان ، ويصدقوه أهل الأرياف ، خسفا العقول ولا يقرأون (4) العواقب ، فيقعون فى المصايب ، وأهل الصعيد طردوا الغز من بلادهم، خوفاً على أنفسهم وهلاك عيالهم(5) . وأولادهم فإن المجرم يؤخذ مع الجيران ، وقد غضب الله على الظلمة ، ونعوذ بالله من غضب الديان ، فكانوا أهل

١- سورة البروج الآية ١٢ .

٢- قبائل بلى : ترجع إلى عمرو بن الحاف بن قضاعه بن مالك بن عمرو ابن مره ... من قحطان . وقد دخلوا مصر قبل الإسلام واستوطنوا ما بين القصير وقنا وكانوا يقيمون بنقل التجارة الهندية ويذكر المقريزى أن قبائل بلى كانت تؤلف ثلث المجموعة القضاعية الساكنة فى بلاد الشام ، قد نقلت كلها بأمر عمر بن الخطاب إلى مصر ولا يستبعد أن جزءاً كبيراً منهم قد انتشر فى الصعيد .راجع د/ إيمان عبد المنعم : مرجع سابق ، ص٥١ .

٣- سورة الفجر الآية ١٤ .

٤- فى النسخة (ب) "ولا يقرؤن " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٥- من المؤكد أن هذا لم يحدث فعلى الرغم من أن المماليك لم يثبتوا فى كثير من المعارك بينما ثبت الأهالى ومعهم عرب الحجاز إلا أن التكاتف بين أهل الصعيد والعربان وعرب الحجاز والمماليك كان ظاهراً للعيان وسبب للفرنسيين الكثير من الخسائر .

الصعيد أحسن عقلاً من أهل بحرى ، بسبب هذا الرأى السديد ، ونخبركم أن أحمد باشا الجزار سموه بهذا الاسم لكثرة قتله الأنفس ، [ص ١٥٧] ولا يفرق بين الأخيار و الأشرار ، وقد جمع الطموش(١) الكثيرة من العسكر والغز والعرب وأسافل العشيرة ، وكان مراده الاستيلا على مصر وأقاليمها ، فأحبوا اجتماعهم عليه لأخذ أموالها ، وهتك حريمها ، ولكن لم تساعدة الأقدار ، والله يفعل ما يشاء ويختار ، وقد كان أرسل بعض هذه العساكر إلى قلعة العريش ومراده يصل إلى قطيا ومطيا (٢) فتوجه حضرة صارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية ، وكسر عسكر الجزار الذين كانوا فى العريش ، ونادوا الفرار الفرار بعدما ، حصل بعسكرهم القتل والدمار ، وكانوا نحو ثلاثة آلاف ، وملك قلعة العريش ، وأخذ غزة وهرب من كان فيها وفروا ولما دخل غزة نادى فى رعيتها بالأمان ، وأمر بإقامة الشعاير الإسلامية وأكرم العلماء والتجار والأعيان ، ثم انتقل إلى الرملة ، وأخذ ما فيها من بقسماط وأرز وشعير وقرب ، أكثر من ألفين قربة عظام كبار ، كان جهزها الجزار لذهابه إلى مصر ، ثم توجه إلى يافا وحاصرها ثلاثة أيام ، ثم أخذها وأخذ ما فيها من ذخاير الجزار بالتمام ، ومن نحوسات أهلها أنهم لم يرضوا بأمانة ، ولم يدخلوا تحت طاعته وإحسانه(٣) فدور فيهم السيف من شدة

١- الطموش : الأجناس الكثيرة من أسافل الناس [لسان العرب] .

٢- كلمة "مطيا" غير موجودة فى النص الذى نشره حيدر الشهابى فى كتابه السابق الإشارة إليه جـ٢ ص ٢٦٩ وهى غير موجودة أيضاً فى عجائب الآثار ولكنها موجودة فى جميع نسخ مظهر التقديس ، ومطيا قرية صغيرة على ساحل البحر قرب العريش .

٣- الحقيقة أن حامية يافا قد سلموا أنفسهم بعد أن آمنهم بونابرت ولكنه أقدم على قتلهم بحجج واهية كما سبقت الإشارة .

غيظه وقوة سلطانه ، وقتل منهم نحو أربعة آلاف ويزيدون ، بعدما هدم صورها ، وأكرم من كان فيها من أهل مصر ، [وأطعمهم وكساهم وجهزهم فى المراكب لمصر] [١] وغفرهم بعسكره خوفاً من العربان ، وأجزل عطاياهم وكان فى يافا نحو خمسة آلاف من عسكر الجزار هلكوا جميعاً ، وبعضهم ما نجاه إلا الفرار ، ثم توجه من يافا إلى جبل نابلس[ص ١٥٨] فكسر من كان فيها من العساكر بمكان يقال له "قاقوم " وحرق خمسة بلاد من بلادهم ، وما قدر كان ، ثم أخرب صور عكا ، وهدم قلعة الجزار التى كانت حصينة ، لم يبقى فيها حجر على حجر ، حتى أنه يقال كان هناك مدينة ، وقد كان بنى حصارها وشيد بنيانها فى نحو عشرين من السنين[٢] وظلم فى بنيانها عباد الله ، وهكذا عاقبة بنيان الظالمين .
ولما توجه إليه أهل بلاد الجزار من كل ناحية ، كسرهم كسرة شنيعة ، [فهل ترى لهم من باقية] [٣] نزل عليهم كالصاعقة من السماء ، ثم توجه راجعاً إلى مصر المحروسة لأجل شيئين : الأول أنه وعدنا برجوعه إلينا بعد أربعة أشهر ، والوعد عند الحر دين ، والسبب الثانى ، أنه بلغه أن بعض المفسدين من الغز والعربان يحركون فى غيابه الفتن والشرور ، فى بعض الأقاليم والبلدان ، فلما حضر سكنت الفتنة ، وزالت الأشرار والفجرة من الرعية ، وحبه لمصر وأقليمها شئ عجيب ، ورغبته فى الخير لأهلها ونيلها وزرعها بفكره وتدبيره المصيب ، ويرغب أن يجعل فيها أحسن التحف والصناعة . ولما حضر من الشام أحضر معه جملة من

١- العبارة التى بين قوسين غير موجودة فى النسخة (أ) .
٢- فى النسخة (ب) "فى نحو عشرين سنة " والأصوب ما أثبتناه من بقية النسخ ومن عجائب الآثار .
٣- سورة الحاقة الآية ٨

الأسارى من خاص وعام ، وجملة مدافع وبيارق اغتنمها فى الحروب من الأعدا والأخصام ، فالويل كل الويل لمن عاداه ، والخير كل الخير لمن والاه ، فسلموا يا عباد الله وارضوا بتقدير الله وامتثلوا لأحكام الله ، ولا تسعوا فى سفك دمائكم ، وهتك عيالكم ، ولا تتسببوا فى نهب أموالكم ، ولا تسمعوا كلام الغز الهربانين الكاذبين ، ولا تقولوا أن فى الفتنة إعلا كلمة الدين ، حاشا الله لم يكن فيها إلا الخذلان ، وقتل الأنفس، وذل أمة النبى عليه الصلاة [ص ١٥٩] والسلام ، والغز و العربان يطمعوكم ويغروكم لأجل أن يضروكم فينهبوكم ، وإذا كانوا فى بلد وقدمت عليهم الفرنسيس ، فروا هاربين منهم كأنهم جند إبليس ، ولما حضر صارى عسكر إلى مصر ، أخبر أهل الديوان ، من خاص وعام ، أنه يحب دين الإسلام ، ويعظم النبى عليه السلام ، ويحترم القرآن ، ويقرا منه كل يوم بإتقان ، وأمر بإقامة شعاير المساجد الإسلامية ، وأجرى خيرات الأوقاف السلطانية ، وأعطى عوايد الوجاقلية ، وسعى فى حصول أقوات الرعية ، فانظروا هذه الألطاف والمزية ، ببركة نبينا أشرف البرية ، وعرفنا أن مراده يبنى لنا مسجداً عظيماً بمصر لا نظير له فى الأقطار ، وأنه يدخل فى دين النبى المختار ، عليه أفضل الصلاة وأتم السلام "انتهى [١]

وفى ثانى عشرينه [٢] أرسل كبير الفرنسيس جماعة من العسكر ، وقبضوا

١- وقع على هذا البيان ثمانية لم يذكر الجبرتى توقيعاتهم هنا ربما خوفاً عليهم من الصدر الأعظم وهم .

السيد خليل البكرى نقيب السادات الأشراف بمصر ، الفقير عبد الله الشرقاوى ريس الديوان بمصر ، الفقير محمد المهدى كاتم سر الديوان بمصر حالاً ، الفقير مصطفى الصاوى خادم العلم بمصر ، الفقير سليمان الفيومى خادم العلم بمصر ، الفقير على كتخدا باشا اختيار مستحفظاً بمصر ، يوسف باش شاويش تتفكجيان بمصر ، السيد أحمد المحروقى – وفى النهاية كتب بمطابع الفرنساوية بمصر المحروسة – راجع حيدر الشهابى ، مصدر سابق ، جـ٢ ص ٢٧١ .

٢- الأربعاء ٢٢ محرم ١٢١٤هـ الموافق ٢٦ يونيو ١٧٩٩م .

على "ملا زاده " بن قاضى العسكر ، ونهبوا بعضاً من ثيابه وكتبه ، وطلعوا به إلى القلعة وحبسوه ، فانزعج عياله وحريمه ووالدته انزعاجاً شديداً .

وفى صبحها اجتمع أرباب الديوان بالديوان ، وحضر إليهم ورقة من كبير الفرنسيس ، قريت عليهم مضمونها أن صارى عسكر قبض على ابن القاضى وعزله ، وأنه وجه إليكم أن تقترعوا وتختاروا لكم شيخاً من العلما يكون من أهل مصر [1] ومولود بها ، يتقلد القضا ويقضى بالأحكام الشرعية ، كما كانت الملوك المصرية يولون القضا برأى العلما للعلما . فأجاب الحاضرون بقولهم :" إننا جميعاً نتشفع ونترجى عنده فى العفو عن ابن القاضى ، فإنه إنسان غريب ، ومن أولاد الناس الصدور ، وإن كان والده وافق كتخدا الباشا فى فعله فولده [ص١٦٠] مقيم تحت أمانكم ، والمرجو إطلاقه وعوده إلى مكانه ، فإن والدته وجَدّتَه ، وعياله فى وجد وحزن عظيم عليه ، وصارى عسكر من أهل الشفقة والرحمة " وتكلم الشيخ السادات بنحو ذلك وزاد فى القول بأن قال :" وأيضاً أنكم تقولون دايماً أن الفرنساوية أحباب العثمانلية وهذا ابن القاضى من طرف العثمنلى ، فهذا الفعل مما يسئ الظن بالفرنساوية ، ويكذب قولهم ، وخصوصاً عند العامة ، فأجاب الوكيل بعدما ترجم له الترجمان بقوله :" لا بأس بالشفاعة ، ولكن بعد تنفيذ أمر صارى عسكر فى اختيار قاضى خلافه ، وإلا تكونوا مخالفين ، ويلحقكم الضرر بالمخالفة " فامتثلوا وعملوا القرعة ، فطلعت الأكثرية باسم الشيخ أحمد العريشى

١- كلمة "مصر " غير موجودة فى النسخة (ب)

الحنفى (١) ثم كتبوا عرضحال بصورة المجلس والشفاعة ، وكتب عليه الحاضرون ، وذهب به الوكيل إلى كبيرهم ، وعرفه بما حصل ، فتغير خاطره على الشيخ السادات ، وأمر بإحضاره فى عصريتها ، فلما حضر لامه وعاتبه ، فتكلم بينهما الشيخ المهدى ووكيل الديوان الفرنساوى ، حتى سكن غيظه وأمره بالانصراف إلى منزله بعد أن عوق حصة من الليل .

فلما أصبح يوم الجمعة (٢) عملوا جميعة فى منزل دوجا قايمقام ، وركبوا صحبته إلى بيت صارى عسكر ومعهم الشيخ أحمد العريشى ، فألبسه فروة مثمنة(٣) وركبوا جميعاً إلى بيت القاضى بين القصرين ، وأوعدهم بالإفراج عن

١- الشيخ العريشي وقضاة العسكر : منذ عصر السلطان محمد الفاتح وضعت الدولة العثمانية شروطاً علمية لابد من توافرها فيمن يتولى القضاء ، كما كانت حتمت عليه المرور بمراحل تعليمية مختلفة موجودة داخل استانبول وكان قضاة العسكر من المصريين قلة لعدة أسباب منها :

أ- عدم حب المصريين للرحلة بعكس الشوام الذين زاروا استانبول ومنهم من سار فى طريق القضاة وتولى مناصب قضاء عسكر مصر وغيرها .

ب- وجود الأزهر فى مصر وبين ظهرانى المصريين وإليه تشد رحال طلاب العلم من كافة أنحاء العالم الإسلامى لذا لم يكن بالمصريين حاجة للذهاب للتعلم فى استانبول أو غيرها . وهناك قلة فعلوا ذلك مثل "الشهاب الخفاجي "الذى ذهب مع والده إلى استانبول ، وتعلم هناك وتولى قضاء عسكر مصر ، لذا فلم يكن الشيخ العريشى أول من ولى قضاء عسكر مصر كماهو شائع بين العديدين من مؤرخى العصر العثمانى .لمزيد من المعلومات راجع : عبد الرازق عبد الرازق عيسى :مرجع سابق ، ص ٨٢ .

٢- يوم الجمعة ٢٤ محرم ١٢١٤هـ الموافق ٢٨ يونيو ١٧٩٩ م .

٣- وردت أخبار هذا التعيين فى سجلات محكمة القسمة العربية ، ونص وثيقة التعيين هو " لما كان فى اليوم المبارك الموافق لرابع عشرين شهر محرم الحرام افتتاح سنة ١٢١٤هـ حل فيه ركاب سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الإسلام ، قاموس البلاغة ونبراس الأفهام ، الواثق بلطف ربه المعيد المبدى ، مولانا أحمد أفندى العريشى الناظر فى الأحكام الشرعية ، وأمور القسمة العربية ، قاضى القضاة يومئذ بمصر المحمية حالاً ، زاده الله عزة ورفعة وإجلالاً ، وجعل الله قدومه خيراً بجاه محمد وآله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم " سجل ٣٣٠ قسمة عربية ، ص ٢٥٧ .

ابن القاضى بعد أربعة وعشرين ساعة ، وقد كان عياله انتقلوا إلى دار السيد أحمد المحروقى التاجر .

ولما كان فى ثانى يوم(١) أفرجوا عنه ونزل إلى عياله وصحبته أرباب الديوان والأغا، [ص ١٦١] ومشوا معه فى وسط المدينة ليراه الناس ، ويبطل القيل والقال

وفيه(٢) كتبوا أوراقاً ويصموا منها نسخاً ولصقوها بالأسواق ، ونصها :"جواب إلى محفل الديوان من حضرة صارى عسكر الكبير بونابرته ، أمير الجيوش الفرنساوية ، محب أهل الملة المحمدية ، خطاباً إلى السادات العلما ، أنه وصل لنا مكتوبكم من شان القاضى ، نخبركم أن القاضى لم أعزله ، وإنما هو هرب من إقليم مصر ، وترك أهله وأولاده وخان صحبتنا ، من المعروف والإحسان الذى فعلناه معه ، وكنت استحسنت أن ابنه يكون عوضاً عنه فى محل الحكم فى مدة غيبته ، ويحكم بدله ، ولم يكن ابنه قاضياً متولياً للأحكام على الدوام ، لأنه صغير السن ، ليس هو أهلاً للقضا ، فعلمتم أن محل حكم الشريعة خالى الان من قاضى شرعى يحكم بين المؤمنين ، فاستحسنت أنهم يجتمعوا علما الإسلام ، ويختاروا باتفاقهم قاضياً شرعياً من علما مصر وعقلايهم ، لأجل موافقه القرآن العظيم ، باتباع سبيل المؤمنين ، وكذلك مرادى أن حضرة الشيخ العريشى الذى اخترتوه جميعاً أن يكون لابساً من عندى ، وجالساً فى المحكمة ، وهكذا كان فعل الخلفا فى العصر الأول باختيار جميع المؤمنين ، وأخبركم أنى تلقيت ابن القاضى

١- يوم السبت ٢٥ محرم ١٢١٤هـ الموافق ٢٩ يونيو ١٧٩٩م .

٢- أى فى يوم السبت المذكور سابقاً .

بالمحبة والإكرام لما حضر لى وقابلنى ، ولم أزل لهذا الوقت أكرمه ، ولم أحب أن يضره أحد حكم أماننا له ، ولما رفعناه إلى القلعة لم نريد ضرره ، رفعناه مكرماً مثل ما يكون فى بيته بالراحة والإكرام ، وسبب ما رفعناه إلى القلعة ، لسكون الفتن ، والإصلاح بين الناس ، وبعد لبس القاضى الجديد [ص ١٦٢] وجلوسه فى محل الحكم ، مرادى أطلق ابن القاضى وأنزله من القلعة، وأرد له كامل (١) تعلقاته، وأطلق سبيله هو وعياله يتوجهوا (٢) حيث أرادوا باختيارهم ، لأنه فى أمانى وتحت حمايتى ، وأعرف أن أبوه ما كان يكرهنى ، ولكنه ذهب عقله وفسد رأيه ، وأنتم يا أهل الديوان تهدون الناس إلى الصواب والنور من جنابكم لأهل العقول ، وعرفوا أهل مصر أنه انقضت وفرغت دولة العثمنلى (٣) [من أقاليم مصر، وبطلت أحكامها منها ، وأخبروهم أن حكم العثمنلى](٤) أشد تعباً من حكم المملوك وأكثر ظلماً ، والعاقل يعرف أن علما مصر لهم عقل وتدبير وكفاية وأهلية للأحكام الشرعية ، يصلحون للقضا أكثر من غيرهم فى ساير الأقاليم ، وأنتم يا أهل الديوان عرفونى عن المنافقين المخالفين ، أخرج من حقهم ، لأن الله تعالى أعطانى القوة العظيمة ، لأجل ما أعاقبهم ، فإن سيفنا طويل ، ليس فيه

١- فى النسخة (ب) "كل تعلقاته " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٢- فى النسخة (ب) " يتوجه " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٣- فى الحقيقة أن بونابرت ما كان ليصرح هذا التصريح الخطير وينفى صداقته للعثمانيين لولا إعلان الدولة العثمانية الحرب عليه والتحالف مع انجلترا وروسيا لإخراجه من مصر وكذلك ظهور ذلك للعيان . فأخذ يكيل التهم للحكم العثمانى الذى أصبح من وجهة نظره أكثر ظلماً من حكم المماليك .

٤- ما بين القوسين غير موجود فى النسخة (أ) .

ضعف ، ومرادى تعرّفوا أهل مصر أن قصدى بكل قلبى حصول العز والسعادة لهم ، مثل ما هو بحر النيل أفضل الأنهار وأسعدها ، كذلك أهل مصر ، يكونوا أسعد الخلايق أجمعين ، بإذن رب العالمين والسلام " انتهى .

قال صاحبنا المشار [1] إليه قول اللعين " وعرفوا أهل مصر أنه انقضت دولة العثمنلى من مصر " ، هذا من أطماع النفس فى ضروب من محال الآمال وتشبثها بأذيال الأمانى التى ضربت دون الوصول إليها أعناق الرجال ، واسترسال لخبايث نفوسهم فى مراتع الغواية والضلال ، وفساد فكر عن طرق الرشد عقيم بمعارضة ظلمة الوهم وفساد الخيال ، لقد تبجح هذا اللعين الكافر ، وتفوه بمالا يصل إليه ساير الملوك الأول منهم والأخر ، ولقد كانت هذه اللفظة عليه وبالاً ، وخيبة أوجبت له من أقبح الشرور فالاً ، فإنه من حين دخول مصر لم يتفوه [ص١٦٣] بأمثالها ، ولا تمنيه نفسه بأن يكون من أبنا مصر ورجالها ، فلما انفسحت له المدة ، وخفت عنه الشدة ، وعدم المعارض ، وصار جواد فساده بأرض مصر راكض ، أظهر العداوة للدولة العلية - أبقاها الله - بعد كتمانها ، وإظهار أنه ممن يحب تلك الدولة ويكون من أتباعها وأعوانها ، ثم لما طال أمره ، وأبى عليه طول الاكتتام عداوته وحسده ، استدرجته أمانى نفسه ، فقال ما دونه حلوله برمسه [2] ومن خذيه ونكاله ، وتبين ضلاله ومحاله ، أنه بعد أن قال ما قيل ، لم يلبث بمصر إلا القليل ، وذهب إلى حيث ألقت ، وقد كانت على جيشه وجنوده كلمة العذاب حقت ، فخلت منهم بعد ذلك الديار ، وعجل الله بأرواحهم إلى النار ، وبئس القرار .

١- يقصد الشيخ حسن العطار وجدير بالذكر أن الجبرتى حذف هذا التعليق للشيخ حسن العطار كاملاً من عجائب الآثار .

٢- الرمس هو القبر .

وفى تلك الليلة [1] قتلوا شخصين أحدهما على جاويش ريس الريالة ، الذى كان بالأسكندرية عند حضور الفرنسيس ، والثانى قبطان آخر ، فلم يزالا بمصر يحبسونهما أياماً ثم يطلقونهما ، فحبسوهما آخراً فلم يطلقوهما ، وقتلوهما "رحمهما الله " [2]

وفى صبيحة ذلك اليوم [3] قتلوا شخصين أيضاً من الأتراك بالرميلة .

وفيه ، أفرجوا عن زوجات حسن بيك الجداوى .

وفى ثالث عشرينه [4] جمعوا الوجاقلية ، وكتبوا أسماهم .

وفى سادس عشرينه [5] قبضوا على ثلاثة أنفار أحدهما يسمى حسن كاشف من أتباع أيوب بيك الكبير ، وآخر يسمى أبو كلس ، والثالث رجل تاجر من تجار خان الخليلى [6] يسمى حسين بيك مملوك الدالى إبراهيم ، فسجنوهم

١- ليلة يوم الأحد ٢٦ محرم ١٢١٤هـ الموافق ٣٠ يونيو ١٧٩٩م .
٢- هذا الدعاء حذفه الجبرتى من عجائب الآثار وكأنه يضن عليهما بالدعاء بالرحمة .
٣-صباح يوم الأحد ٢٦محرم ١٢١٤هـ الموافق٣٠ يونيو١٧٩٩م وهو تاريخ اليومية التالية أيضاً
٤- يوم الخميس ٢٣ محرم ١٤١٤هـ الموافق ٢٧ يونيو ١٧٩٩م . هذه هى اليومية الوحيدة التى يضعها الجبرتى فى غير موضعها من حيث التسلسل التاريخى حسب منهجه فى كتابة اليوميات ولذلك رجعنا إلى عجائب الآثار ، حيث وجدنا هذه اليومية مسجلة بتاريخ الثلاثاء ٢٨ محرم ١٢١٤هـ الموافق٢ يوليو ١٧٩٩م وهذا هو التاريخ الأوفق والأنسب .
٥- هذه اليومية أيضاً وردت فى عجائب الآثار بتاريخ يوم الأربعاء ٢٩ محرم الموافق ٣ يوليو ١٧٩٩م .
٦- خان الخليلى : أراد الأمير سيف الدين جركس (جهاركس) الخليلى أمير آخور الملك الظاهر برقوق أن ينشئ خاناً فوقع اختياره على بقايا تربة الزعفران فنبش قبورها وأخرج عظام الأموات وألقاها فى كيمان البرقية ، وفى ١٤٧٤م كانت سوق الرقيق بخان الخليلى ، إلى أن جاء السلطان الغورى وأنشأ سوقاً أخرى له بالقرب منه . وفى سنة ١٥١١م آلت ملكية الخان إلى السلطان الغورى فأمر بهدمه وإعادة بنائه وأنشأ فيه الحواصل والحوانيت وظل يتردد على عمارته حتى انتهت وبالرغم من أن الخان طرأت عليه تغييرات كثيرة ولكن مدخله لا يزال على حاله بنقوشه وكتاباته راجع د/ عبد الرحمن زكى:مرجع سابق ، ص٢٦

بالقلعة ، فتشفع الشيخ السادات فى حسين التاجر ، فأطلقوه على خمسة آلاف فرانسة .

شهر صفر الخير :

استهل بيوم الجمعة [1] فيه أفرجوا عن بعض قرابة كتخدا [ص١٦٤] الباشا ، وكان محبوساً بالجيزة ، ثم نقل إلى القلعة مع كتخدا قريبه ، فأطلق وبقى الآخر .

وفى يوم الأحد ثالثه [2] حضر السيد عمر أفندى نقيب الأشراف سابقاً من دمياط إلى مصر ، وكان مقيماً هناك من بعد واقعة يافا ، ونزل مع الذين أنزلوهم من يافا إلى البحر ، وفيهم عثمان أفندى العباسى ، وحسن أفندى كاتب الشهر ، وأخوه قاسم أفندى ، وأحمد أفندى عرفة ، ويوسف أفندى ، وقاسم المصلى وغيرهم ، فمنهم من عوق بالكرنتيلة ، ومنهم من حضر من البر خفية ، فخرج بعض الأعيان لملاقات السيد عمر ، وركبوا معه - بعد أن مكث هنيهه بزاوية على بيك التى بساحل بولاق - حتى وصل إلى داره .

وتوجه فى صبح ثانى يوم [3] مع المهدى ، وقابل كبير الفرنسيس ، فبش له ووعده بخير ، ورد إليه بعض تعلقاته [4] واستمر مقيماً بداره ، والناس تغدوا وتروح إليه على العادة .

١- يوم الجمعة غرة صفر ١٢١٤ هـ الموافق ٥ يوليو ١٧٩٩م .
٢- يوم الأحد ٣ صفر ١٢١٤هـ الموافق ٧ يوليو ١٧٩٩م .
٣- يوم الاثنين ٤ صفر ١٢١٤ هـ الموافق ٨ يوليو ١٧٩٩ م .
٤- ولكن لم يرد إليه نقابة الأشراف التى احتفظ بها الشيخ خليل البكرى حتى تم طرد الفرنسيين من مصر فأعيدت إلى عمر مكرم الذى ارتفعت مكانته لأنه لم يمالئ الفرنسيين ولم يدخل فى أى من دواوينهم ، وكان له دور كبير فى تولية محمد على إلى أن تخلص منه محمد على عام ١٨٠٩ م بنفيه إلى دمياط . راجع د/ عبد العزيز الشناوى : عمر مكرم ، سلسلة أعلام العرب ، ص ٢٥ وما بعدها .

وفى رابعه [١] حضر أيضاً حسن كتخدا الجربان بأمان ، وكان بصحبة [٢] عثمان بيك الشرقاوى .

وفيه أشيع أن مراد بيك ذهب إلى ناحية البحيرة فراراً من الفرنسيس الذين بالصعيد .

وفى خامسه [٣] قتلوا عبد الله أغا أمير يافا ، وكان أخذ أسيراً وحبس ثم قتل .

وفيه ، قتل أيضاً يوسف جريجى أبوكلس ، ورفيقه حسن كاشف .

وفيه أحضروا أربعة عشر مملوكاً أسرى ، وأصعدوهم إلى القلعة ، قيل أنهم كانوا لاحقين بمراد بيك بالبحيرة ، فأووا إلى قبة يستظلون بها ، وتركوا خيولهم مع السواس [٤] فنزلت [ص ١٦٥] عليهم طايفة من العرب ، فأخذت الخيول ، فمروا مشاة ، فدل الفلاحون عليهم عسكر الفرنسيس فمسكوهم ، وقيل أنهم أووا إلى بلدة ، وطلبوا منهم غرامة ، فصالحوهم فلم يرضوا بدون ما طلبوا ، فأوعدوهم بالدفع من الغد ، وكانوا أكثر من ذلك ، وفيهم كاشف من جماعة الطنبرجى ، فذهب الفلاحون إلى الفرنسيس ، وأعلموهم بمكانهم ، فحضروا لهم ليلاً ، وقتلوا من قتلوه وأسروا الباقى ، وأما الكاشف فيسمى عثمان كاشف ، التجا إلى كبير الفرنسيس فحماه ، وأخذه عنده ، وأحضروا الأسرى إلى مصر وعليهم ثياب زرق

١- أى فى يوم الاثنين ٤ صفر ١٢١٤هـ الموافق ٨ يوليو ١٧٩٩م وهو نفس تاريخ اليومية التالية أيضاً .

٢- وردت فى النسخة (ب) "وكان بصحبته" ولكن الصواب ما أثبتناه .

٣- يوم الثلاثاء ٥ صفر ١٢١٢هـ الموافق ٩ يوليو ١٧٩٩م وهو نفس تاريخ اليوميتين التاليتين .

٤- فى النسخة (ب) "السياسى" وما أثبتناه من بقية النسخ هو الصواب .

وزعابيط ، وعلى رؤسهم طواقى من لبّاد وغيرها ، وأصعدوهم إلى القلعة . فلما كان فى ثانى ليلة قتلوا منهم عشرة .

وفى تاسعه [1] أحضروا أيضاً ستة أشخاص من المماليك ، وأصعدوهم إلى القلعة [2]

وفى ذلك اليوم [3] قتلوا أيضاً منهم نحو العشرة ، [واستمروا فى كل يوم يقتلون أناساً من الأسرى والمحابيس] [4]

وفى يوم الأحد عاشره[5] ركب فى عصريته كبير الفرنسيس وعدى إلى البحيرة ، وتبعيه العساكر ، ولم يعلم سبب ذلك ، ولما عدى إلى الجيزة ، ضرب العسكر نجع البطران ودهشور بسبب نزول مراد بيك عندهم .

وفيه[6] ظهر أن مراد بيك رجع ثانياً إلى الصعيد ، وشاع الخبر أيضاً أن عثمان بيك الشرقاوى ، وسليمان أغا الوالى وآخرون ، مروا من خلف الجبل

١- يوم السبت ٩ صفر ١٢١٤هـ الموافق ١٤ يوليو ١٧٩٩م .

٢- بعد هذه اليومية مباشرة ورد فى "مظهر التقديس " طبعة وزارة التربية والتعليم يومية نصها "وفى يوم الأربعاء سادسه عمل الشيخ محمد المهدى وليمة عرس لزواج أحد أولاده ، ودعا صارى عسكر وأعيان الفرنساوية ، فتعشوا عنده وذهبوا "وهذه اليومية لم نعثر لها على أثر فى أى صفحة من صفحات النسخ (أ) ، (ب) ، (جـ) ، (د) ولكنها فقط موجودة فى عجائب الآثار بنفس النص ، مما يوحى بأن المحققين اعتمدوا أحياناً على عجائب الآثار دون الرجوع لمظهر التقديس . وما كان الجبرتى ليكتب يومية كهذه فى مظهر التقديس حيث أنه من المعتاد أن يتستر على مظاهر التقارب بين الفرنسيين والمشايخ .

٣- يوم السبت ٩ صفر ١٢١٤هـ الموافق ١٣ يوليو ١٧٩٩م .

٤- الفقرة التى بين القوسين حذفها الجبرتى من عجائب الآثار .

٥- يوم الأحد ١٠ صفر ١٢١٤هـ الموافق ١٣ يوليو ١٧٩٩م .

٦- أى فى يوم الأحد المشار إليه سابقاً .

وذهبوا إلى ناحية الشرق ، فخرج إليهم جماعة من العسكر وبرطملين [ويني الخمار النصراني الرومي الذي كان في أول أمره مستولياً خمارات مصر، ثم صار عسكرياً على طايفة من نصارى الأروام][1][ص١٦٦] ومعهم عدة من المسلمين المنضمة إلى برطملين ، ونصارى أروام المنضمة إلى يني ، فأدركوهم قريباً من بلبيس ، وأتوهم من خلاف الطريق المسلوكة ، فدهموهم على حين غفلة ، وكان عثمان بيك يغتسل ، فلما أحسوا بهم بادروا للفرار وركبوا الخيل ، وركب عثمان بيك بقميص واحد على جسده ، وطاقية فوق رأسه ، وهربوا وتركوا ثيابهم ومتاعهم وحملتهم ، وقدور الطعام على النار ، ولم يمت إلا مملوكين ، وأسروا منهم اثنين ، ووجدوا على فراش عثمان بيك مكاتبة من إبراهيم بيك ، يدعوهم إلى الحضور إليه بالشام .

وفي ليلة الاثنين حادي عشره [2] وردت أخبار ومكاتيب مع السعاة لبعض الناس من الأسكندرية وبوقير ، وأخبروا بأنه وردت مراكب فيها عساكر عثمانية إلى أبوقير ، فتبين أن حركة الفرنسيس وتعديتهم إلى البر الغربي ، بسبب ذلك ، وأخذوا صحبتهم جرجس الجوهري وأصبحوا في ثاني يوم عدى الكثير من العسكر أيضاً واهتم حنا بينو المتولي على بحر بولاق ، بجمع المراكب وشحنها بالبقسماط والعدس والأرز والقومانية ، وداخل الفرنسيس من ذلك وهم عظيم . ولما عدى كبيرهم إلى بر الجيزة ، أقام يوم الاثنين عند الأهرام حتى تجمعت العساكر ، وبعث بالمقدمة .

وركب هو في يوم الثلاثا ثاني عشره ، وأرسل مكتوباً إلى أرباب الديوان

١-الفقرة التي بين القوسين غير موجودة في عجائب الآثار .

٢- ليلة يوم الاثنين ١١ صفر ١٢١٤هـ الموافق ١٤يوليو ١٧٩٩م .

بالسلام عليهم والوصية بالحفظ وضبط البلد والرعية ، كما فعلوا فى غيبته السابقة .

وفى سادس عشره (1) ورد الخبر بأن عثمان خُجا وصل إلى قلعة [ص١٦٧] أبو قير (٢) صحبة السيد مصطفى باشا ، فضربوا على القلعة وأسروا من بها من طرف صالح بيك ، وعثمان خجا هو الذى كان متولى إمارة رشيد من طرف صالح بيك وحج معه ورجع صحبته إلى الشام ، فلما توفى صالح بيك سافر إلى الديار الرومية ، وحضر صحبة السيد مصطفى باشا المذكور ، فلما تحققت هذه الأخبار كثر اللغط فى الناس ، وأظهروا البشر ، وتجاهروا بلعن النصارى ، واتفق أنه تشاجر بعض المسلمين بحارة البرابرة مع بعض نصارى الشوام ، فقال المسلم للنصرانى :"إن شا الله بعد أربعة أيام نشتفى منكم " ، وكلام من هذا المعنى ، فذهب النصرانى إلى الفرنسيس مع عصبة من جنسه ، وأخبروهم بالقصة ، وزادوا وحرفوا ، وعرفوهم أن قصد المسلمين إثارة فتنة ، فأرسل قايمقام إلى الشيخ المهدى ، وتكلم معه فى شأن ذلك وحاججه .

١- يوم السبت ١٦ صفر ١٢١٤هـ الموافق ٢٠ يوليو ١٧٩٩م .

٢- أبو قير : تمكن سيدنى سميث من حشد القوات العثمانية فى قبرص للسير إلى مصر ولكن هذه القوات التى وصلت قبالة المدينة فى ١١ يوليو ١٧٩٩ م لم تستطع القيام بأى إنزال لقواتها إلا فى ١٤ يوليو فى أبى قير ، وعندما علم بونابرت بذلك الإنزال أصدر الأمر إلى طوابير قواته المتحركة بالتدفق على الرحمانية وبدأ الهجوم فى ٢٥ يوليو وانتصر الفرنسيون وأسروا القائد العثمانى مصطفى باشا وهذا هو وصف الفرنسيين للمعركة ننقله لما فيه من دلالات من خطاب الجنرال بونابرت إلى جنرال دوجا . من معسكر المستشفى المتنقل فى ٨ ترميدور٧صباحاً فى السابعة من صباح البارحة وجدنا أنفسنا أمام العدو الذى تمركز على بعد أربعة كيلو مترات أمام قلعة أبو قير فهاجمناه وهزمناه هزيمة منكرة، واستردنا منه القريتين ، واستولينا على متاريسهم واستحكاماتهم وخنادقهم وكل ما فى معسكرهم وطاردناهم حتى البحر وأغرقنا منهم من ١٠آلاف إلى١٢ألف مقاتل وقد أسرنا القائد العام للبر والبحر"واسمه سعيد مصطفى باشا "سأحضره بنفسى إلى القاهرة وقد قتل مئاماتة جندى وأصيب أربعمائة بجراح من بينهم الجنرال مورا والجنرال فوجيير وقائد الفرقة مورانجييه" بونابرت"راجع :لمزيد من التفاصيل:كوربيه دى ليجيبت العدد رقم٥٢ص ١٣٥ .

وأصبحوا[1] فاجتمعوا بالديوان ، فقام المهدى خطيباً ، وتكلم كثيراً ونفى الريبة ، وكذب أقوال الأخصام ، وتشدد فى تبرئة المسلمين عما نسب إليهم ، وبالغ فى الحطيطة والانتقاص من جانب النصارى . وكان هذا المقام من مقاماته المحمودة ، ثم جمعوا مشايخ الأخطاط والحارات وحبسوهم [2]

وفيه [3] حضرت مكاتبة من الفرنسيس المتوجهين للمحاربة مع العسكر السلطانى [4] بجهة أبو قير وصورتها :

"لا إله إلا الله ، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . نخبركم محفل الديوان بمصر المنتخب من أحسن الناس وأكملهم بالعقل والتدبير، عليهم سلام الله ورحمته وبركاته ، بعد مزيد السلام عليكم وكثرة الأشواق إليكم ، نخبركم يا أهل الديوان المكرمين العظام بهذا المكتوب ، أننا [ص١٦٨] وضعنا جماعات من عسكرنا بجبل الطرانة ، وبعد ذلك سرنا إلى إقليم البحيرة ، لأجل ما نرد راحة الرعايا المساكين ، وأقاصص أعدانا المحاربين ، وقد وصلنا بالسلامة إلى الرحمانية ، وعفونا عفواً عمومياً عن كامل أهل البحيرة ، حتى صار أهل الأقليم فى راحة تامة ، ونعمة عامة ، وفى هذا التاريخ نخبركم أنه وصل ثمانون مركباً صغاراً وكباراً ، حتى ظهروا بثغر أسكندرية وقصدوا أن يدخلوها ، فلم يمكنهم الدخول ، من كثرة البنبة وجلل المدافع النازلة عليهم ، فرحلوا عنها ، وتوجهوا يرسوا بناحية أبو قير ، وابتدأوا

١-يوم الأحد ١٧ صفر ١٢١٤هـ الموافق ١٧ يوليو ١٧٩٩م .

٢- كلمة " الحارات " غير موجودة فى النسخة (أ)

٣- أى فى يوم الأحد .

٤- كلمة "السلطانى " غير موجودة فى عجائب الآثار مما يشير إلى تغير موقف الجبرتى من العثمانيين ويتضح ذلك أكثر من اليوميات التالية .

ينزلون فى البر ، وأنا الآن تاركهم ، وقصدى أنهم يتكاملوا الجميع فى البر ، وأنزل عليهم أقتل من لا يطيع ، وأخلى بالحياة الطايعين ، وأتيكم بهم محبوسين تحت السيف ، لأجل أن يكون فى ذلك شأن عظيم فى مدينة مصر ، والسبب فى مجى هذه العمارة إلى هذا الطرف ، والعشم بالاجتماع على المماليك والعربان ، لأجل نهب البلاد وخراب الإقليم المصرى ، وفى هذه العمارة خلق عظيم من الموسقوا الإفرنج ، الذين كراهتهم ظاهرة لكل من كان موحد الله ، وعداوتهم واضحة لمن كان يؤمن برسول الله ، يكرهون الإسلام ، ولا يحترمون القرآن ، وهم نظراً لكفرهم [1] فى معتقدهم يجعلون الآلهة ثلاثة ، وأن الله [2] ثالث تلك الثلاثة ، تعالى الله عن الشركا [3] ولكن عن قريب يظهر لهم أن الثلاثة لاتعطى القوة ، وأن كثرة الآلهة لا تنفع لأنه باطل ، بلى أن الله الواحد هو الذى يعطى النصرة لمن يوحده ، هو الرحمن الرحيم ، المساعد المعين ، المقوى للعادلين [ص١٨٩] الموحدين ، الماحق رأى الفاسدين المشركين ، وقد سبق فى علمه القديم ، وقضاه العظيم ، أنه أعطانى هذا الإقليم العظيم ، وقدّر وحكم بحضورى إلى مصر ، لأجل تغييرى الأمور الفاسدة ، وأنواع الظلم ، وتبديل ذلك بالعدل والراحة ، مع صلاح الحكم . وبرهان قدرته العظيمة ، ووحدانيته المستقيمة ، أنه لم يقدر للذين يعتقدون أن الآلهة ثلاثة ، قوة مثل قوتنا ، لأنهم ما قدروا يعملوا الذى عملناه ، ونحن المعتقدين وحدانية الله ، ونعرف أنه العزيز القادر القوى القاهر المدبر الكائنات ، والمحيط علمه [4] بالأرضين والسموات ، والقايم بأمر المخلوقات ، هذا ما فى

١- كلمة "لكفرهم" غير موجودة فى النسخة (أ) .

٢- كلمة "الله" غير موجودة فى النسخة (ب) .

٣- فى النسخة (ب) "عن الشريك" والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٤- فى النسخة (أ) "عمله" والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

الآيات والكتب المنزلات ، ونخبركم بالمسلمين إن كانوا بصحبتهم ، يكونوا من المغضوب عليهم ، لمخالفتهم لوصية النبى عليه أفضل الصلاة والسلام ، بسبب اتفاقهم مع الخارجين الكفرة اللئام ، لأن أعداء الإسلام لا ينصرون (١) الإسلام ، ويا ويل من كانت نصرته بأعداء الله ، وحاشا الله أن يكون المستنصر بالكفار مؤيداً ، أو يكون مسلماً ساقهم التقدير ، للهلاك والتدمير ، مع السفالة والرزالة ، وكيف المسلم أن ينزل فى مركب تحت بيرق الصليب ، ويسمع فى حق الواحد الأحد الفرد الصمد من الكفار ، كل يوم تخريف واحتقار ، ولا شك أن هذا المسلم فى هذا الحال أقبح من الكافر الأصلى فى الضلال ، نريد منكم يا أهل الديوان أن تخبروا بهذا الخبر جميع الدواوين والأمصار لأجل أن يمتنع أهل الفساد من الفتنة بين الرعية فى سائر الأقاليم والبلاد ، لأن البلد الذى يحصل فيها الشر ، يحصل لهم مزيد من الضرر والقصاص ، انصحوهم يحفظوا أنفسهم من الهلاك ، خوفاً عليهم [ص١٧٠] أن يفعل فيهم مثل ما فعلنا فى أهل دمنهور ، وغيرها من بلاد الشرور ، بسبب سلوكهم المسالك القبيحة قاصصناهم ، والسلام عليكم ورحمة الله

١- هذا المنشور يعد قطعة من الدجل السياسى العالى المستوى ، فبونابرت هنا أراد التقرب من الشعب المصرى وحاول إلغاء العائق الدينى فادعى إسلامه وادعى أن المسيحيين (الموسقو) كفره لأنهم يعتقدون بأرباب ثلاثة لا تعطى القوة ، وهاجم العثمانيين لأنهم اشتركوا وتحالفوا مع كفرة تحت راية الصليب ، فوصفهم أنهم أقبح من الكفرة . ولعل أقوى تعليق على ذلك ما ذكره كريستوفر هيرولد فى قوله "وكان الإسلام هو العقبة الكبرى التى تحول دون قيام جو الثقة المتبادلة (الذى كان ينشده بونابرت) لقد كان بونابرت يستطيع أن يعلن أكثر من مرة كل يوم أنه ليس مسيحياً ، وأن رجاله كذلك ليسوا مسيحيين، وكان يمكنه أن يكرر أن الفرنسيين سجنوا البابا وأغلقوا الكنائس وأنهم يحترمون الإسلام ، ولكن فى نظر المسلمين فإن الفارق بين المسيحيين والربوبين وعباد العقل أو الكائن الأعظم والملحدين واليهود وغيرهم .. ليس بذى أهمية . الكل غير مسلمين فهم فى الكفر سواء . راجع د/ أحمد الصاوى :مرجع سابق ، ص ١٠٢ .

وبركاته ، تحريراً فى الرحمانية ، يوم الأحد ١٥ صفر سنة ١٢١٤ " ، وبصموا من ذلك نسخاً ، ولصقوها بالأسواق ، وفرقوا منها على الأعيان انتهى .

وفى ثامن عشره (١) وردت أخبار وعدة مكاتيب ، لكثير من الأعيان والتجار كلها على نسق واحد ، بأن المسلمين ملكوا الأسكندرية فى ثالث ساعة من يوم السبت سادس عشر صفر ، [وفرح الناس ، وهنى بعضهم بعضاً ، ثم ظهر عدم صحة ذلك ، ولعل ذلك من المكايد] (٢)

وفى ليلة الثلاثا عشرينه (٣) أشيع أن الفرنسيس انتصروا على المسلمين وأخذوا قلعة أبو قير ، وأخذ السيد مصطفى باشا أسيراً ، وعثمان خجا وعدة من المسلمين ، وأخبر الفرنسيس أنه حضرت لهم مكاتبة بذلك من أكابرهم .

ولما طلع النهار ضربوا مدافع كثيرة من قلعة الجبل وأبراج التلول ، وجامع الظاهر ، وبصحن الأزبكية ، [فانزعج الناس ، ونزل بهم من الغم والكآبة مالا مزيد عليه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .] (٤)

وفى ليلتها - أعنى ليلة الأربعا - عملوا حراقة بالأزبكية وسواريخ ونفوط .

١- يوم الاثنين ١٨ صفر ١٢١٤هـ الموافق ٢٢ يوليو ١٧٩٩م .

٢- العبارة التى بين القوسين وردت فى عجائب الآثار بتفصيل أكثر حيث يقول فيها مؤرخنا الجبرتى "فصار الناس يحكى بعضهم لبعض ، ويقول البعض أنا قرأت المكتوب الواصل إلى فلان التاجر ، ويقول الآخر مثل ذلك ، ولم يكن لذلك أصل ولا صحة ، ولم يعلم من فعل هذه الفعلة ، واختلق هذه النكته ، ولعلها من فعل بعض النصارى البلديين ليوقعوا بها فتنة فى الناس ، ينشأ منها القتل فيهم والأذية لهم ، وسبحان الله علام الغيوب ، عجائب الآثار جـ ٣ ، ص ٧٧ .

٣- الصواب أن ٢٠ صفر يوافق الأربعاء ، وفى عجائب الآثار صححها الجبرتى حيث كتبها "وفى ليلة الأربعاء عشرينه " ويوم الأربعاء ٢٠ صفر ١٢١٤هـ يوافق ٢٤ يوليو ١٧٩٩م .

٤- العبارة التى بين القوسين حذفها الجبرتى عند كتابة عجائب الآثار .

وفى يوم الخميس ثامن عشرينه [1] وصلت عدة مراكب وبها أسرى وعساكر جرحى .

وكذلك يوم الجمعة تاسع عشرينه ، وحضرت مكاتبة من الفرنسيس بحكاية الحال التى وقعت لم أقف على صورتها .

شهر ربيع الأول

استهل بيوم السبت [2] فى ثانيه وصلت مراكب من بحرى ، وفيها جرحى [3] من الفرنسيس .

فيه [4] قبضوا على مصطفى البشتيلى [ص١٧١] من أهل بولاق . وحبسوه ببيت قايمقام ، والسبب فى ذلك أن جماعة من جيرانه وشوا به ، بأن فى داخل الحاصل الذى فى وكالته عدة قدور مملوءة بالبارود ، فكبسوا على الحاصل ، فوجدوا به ذلك ، كما أخبر الواشى ، فأخذوها وقبضوا عليه وحبسوه كما ذكر ، ثم نقلوه إلى القلعة .

وفى سادسه [5] حضر أيضاً جملة من العسكر وكثر لغط الناس كعادتهم فى روايات الأخبار [6]

١- يوم الخميس ٢٨ صفر ١٢١٤هـ الموافق أول أغسطس ١٧٩٩م .

٢- يوم السبت غرة شهر ربيع الأول ١٢١٤هـ الموافق ٢ اغسطس ١٧٩٩م .

٣- فى النسخة (ب) "مجرحين " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٤- أى فى يوم الأحد ٢ ربيع الأول ١٢١٤هـ الموافق ٣ أغسطس ١٧٩٩م .

٥- يوم الخميس ٦ ربيع الأول ١٢١٤هـ الموافق ٧ أغسطس ١٧٩٩م .

٦- بعد هذه اليومية توجد يومية محذوفة من مظهر التقديس وأوردها الجبرتى فى عجائب الآثار ونصها "وفيه حضرت حجاج المغاربة ووصلوا صحبة الحاج الشامى وأخبروا أنهم حجوا صحبته وأمير الحاج الشامى عبد الله باشا بن العظم .

وفى ليلة الأحد تاسعه (١) حضر كبير الفرنسيس ودخل إلى داره بالأزبكية ، وحضر صحبته عدة أناس من أسرى المسلمين ، وشاع الخبر بحضوره ، فذهب كثير من الناس إلى الأزبكية ليتحققوا الخبر على جليته ، فشاهدوا الأسرى وهم وقوف بوسط البركة ليراهم الناس [فكفكف الناس دموعهم ، وكظموا غيظهم ، وطووا قلوبهم على حرقة الأسى ، ومرارة الأسف ، وأظهروا التجلد للعدو ، وقد طار من..(٢) القلب الراحة والهدو".

"شعر "

وتجــــلدى للشــامتين أريهم أنى لريب الدهر لا أتضعضع](٣)

ثم إنهم صرفوا الأسرى (٤) بعد حصة من النهار ، فأرسلوا بعضهم إلى جامع الظاهر خارج الحسينية ، وأصعدوا باقيهم إلى القلعة ، وأما السيد مصطفى باشا ، فإنهم لم يقدموا به لمصر ، بل أرسلوه إلى الجيزة مكرماً ، وأبقوا عثمان خجا بالأسكندرية ، [ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

"شعر "

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نُســـَا ء ويوم نُسَــــــر

وما زالت الأيام تأخذ وتعطى ، والسهام تصيب وتخطى] (٥) ولما استقر كبير

١- يوم الأحد ٩ ربيع الأول ١٢١٤هـ الموافق ١١ اغسطس ١٧٩٩م .

٢- إلى هنا تنتهى النسخة (د) وسوف نعتمد فيما يلى على النسخ (أ) ، (ب) ، (جـ) .

٣- الفقرة التي بين القوسين حذفها الجبرتى عند كتابة "عجائب الآثار" ، وهو كما نحس إهمال متعمد من المؤلف لذكر موقف عامة الشعب المصرى من هزيمة العثمانيين فى معركة أبى قير البرية وأيضاً هنا اعتداء على حيدة المؤرخ وشك فيه .

٤- كلمة " الأسرى " ترد غالباً فى النسخة (ب) هكذا "الأسارى " .

٥- الفقرة بين القوسين محذوفة من عجائب الاثار .

الفرنسيس بمنزله ، ذهب للسلام عليه المشايخ والأعيان ، وسلموا عليه ، فلما أستقر بهم المجلس قال لهم على لسان الترجمان ، إن صارى [ص١٧٢] عسكر يقول لكم أنه لما سافر إلى الشام كانت حالتكم طيبة فى غيابه ، وأما فى هذه المرة فليست كذلك ، لأنكم كنتم تظنون أن الفرنسيس لا يرجعون ، بل يموتون عن آخرهم، فكنتم فرحانين ومستبشرين وكنتم تعارضون الأغا فى أحكامه ، وأن المهدى والصاوى ماهم "بونو" أى ليسوا طيبين ، ونحو ذلك ، وسبب كلامه هذا ، الحكاية المتقدمة التى حبسوا بسببها مشايخ الحارات ، فكان الأغا الخبيث يريد أن يقتل فى كل يوم أناساً بأدنى سبب ، فكان المهدى والصاوى يعارضانه ويتكلمان معه بالديوان ويوبخانه ويخوفانه سوء العاقبة ، فيرسل إلى كبير الفرنسيس فيطالعه بالأخبار ، ويشكو منهما ، فلما حضر عاتبهم فى شأن ذلك ، فلاطفوه حتى انجلى خاطره ، وأخذ يحدثهم على ما وقع له مع العساكر بأبو قير ، والنصر عليهم وغير ذلك .

وفى يوم الثلاثا حادى عشره (١) عمل المولد النبوى بالأزبكية ، ودعي الشيخ البكرى كبير الفرنسيس مع جماعة من أعيانهم ، وتعشوا عنده ، وضربوا ببركة الأزبكية مدافع وعملوا حراقة وسواريخ ، ونادوا فى ذلك اليوم بفتح الأسواق والدكاكين ليلاً وإسراج قناديل واصطناع زينة .

وورد الخبر بأن الفرنسيس أحضروا عثمان خجا ونقلوه من الأسكندرية إلى رشيد، فدخلوا به البلد وهو مكشوف الرأس ، حافى القدمين ، وطافوا به البلد يزفونه بطبولهم، ثم قطعوا رأسه تحت داره يراها من يمر بالسوق "رحمه الله" (٢)

١- يوم الثلاثاء ١١ ربيع الأول ١٢١٤هـ الموافق ١٣ أغسطس ١٧٩٩م .

٢- "رحمه الله" حذفها الجبرتى من عجائب الآثار - فيبدو أنه أصبح يضن بها كثيراً على أمثال هؤلاء .

وفى ثالث عشره (١) أشيع بسفر كبير الفرنسيس بونابارتة [ص١٧٣] إلى جهة بحرى ، ولم يعلم أى جهة يريد ، وسئل من بعض أكابرهم ، فأخبر أن صارى عسكر المنوفية دعاه لضيافته بمنوف حين كان مسافراً جهة أبو قير ، فأوعده بالعود إليه بعد وصوله إلى مصر ، وراج ذلك على الناس وظنوا صدقهم .

ولما كان يوم الأحد سادس عشره (٢) خرج مسافراً من آخر الليل ، وخفى أمره عن الناس "وانقطع أثره " (٣)

وفى يوم الخميس رابع عشرينه الموافق لتاسع (٤) مسرى القبطى ، كان وفاء النيل المبارك ، فنودى بوفائه على العادة ، وخرج النصارى البلدية من القبطة

١- يوم الخميس ١٣ ربيع الأول ١٢١٤هـ الموافق ١٥ أغسطس ١٧٩٩م .

٢- يوم الأحد :١٦ ربيع الأول ١٢١٤هـالموافق ١٨ أغسطس ١٧٩٩م وقد أورد الجبرتى هذه اليومية في عجائب الآثار بتاريخ "يوم الاثنين سادس عشره " وهو خطأ لأن يوم الاثنين يوافق ١٧ ربيع الأول .

٣- عبارة "وانقطع أثره " حذفها الجبرتى من عجائب الآثار .

٤- اختلفت الروايات فى تحقيق تاريخ وفاء النيل لهذا العام ، وحتى الجبرتى نفسه وقع فى خلط كبير ، فرابع عشرين الشهر لا يوافق يوم الخميس ، وإنما يوافق يوم الاثنين ٢٦ أغسطس ١٧٩٩م الموافق ٢٢ مسرى ١٥١٥قبطية ، وقد دون الجبرتى هذه اليومية فى عجائب الآثار بتاريخ يوم الاثنين ٢٤ ربيع الأول ، ويؤكد الرافعى على صحة تاريخ الجبرتى مسترشداً بمحمد مختار باشا "التوفيقات الإلهامية " الذى أثبت وفاء النيل يوم ٩ مسرى وليس ٢٢ مسرى ولكن إذا علمنا أن مختار باشا يختلف مع الجبرتى لأن ٩ مسرى يوافق يوم الثلاثاء ١١ ربيع الأول ١٣ أغسطس وليس موافقاً لتاريخ ٢٤ ربيع الأول الذى ذكره الجبرتى . ويؤكده الرافعى .

والخلاصة أن يوم الخميس الذى يذكره الجبرتى صحيح ولكنه يوم الخميس ٢٠ ربيع الأول ، حيث خرج النصارى والعامة بعد غروب ذلك اليوم إلى النيل فتنزهوا به ليلة الجمعة وفى صباح الجمعة ٢١ ربيع الأول ١٢١٤هـ الموافق ١٩ مسرى ١٥١٥قبطية ٢٣ أغسطس ١٧٩٩م خرج دوجا لحضور احتفال كسر السد .

والشوام والأروام ، وتأهبوا للخلاعة والقصف ، والتفرج واللهو ، وذهبوا تلك الليله إلى بولاق ومصر العتيقة والروضة ، واكتروا المراكب ونزلوا فيها ، وصحبتهم الآلات والمغانى ، وخرجوا في تلك الليلة عن طورهم ، ورفضوا الحشمة ، وسلكوا مسلك الأمرا سابقاً ، من النزول فى المراكب الكثيرة المقاديف ، وصحبتهم نساوهم وقحابهم وشرابهم وخمورهم ، وتجاهروا بكل قبيح من الضحك والسخرية والكفريات ومحاكاة المسلمين ، وبعضهم تسلح وتزيا بزى أمرا مصر(١) على سبيل الاستهزا ، وتشبه بهم وحاكى ألفاظهم وغير ذلك ، وأجرى الفرنسيس المراكب المزينة وعليها البيارق ، وفيها أنواع الطبول والمزامير فى البحر ، وقد وقع فى تلك الليلة بالبحر وسواحله من الفواحش والتجاهر بالمعاصى مالا يكيف ولا يوصف وسلك بعض غوغاء العامة وأسافل العالم ورعاعهم مسالك متسفل الخلاعة ، ورذالة الرقاعة ، بدون أن ينكر أحد على أحد من الحكام أو غيرهم ، بل كل إنسان يفعل ما تشتهيه نفسه ، وما يخطر بباله ، وإن لم يكن من أمثاله [ص١٧٤]

إذا كان رب الدار بالدف ضارباً فشيمة أهل االدار كلهم الرقص

وأكثر الفرنسيس فى تلك الليلة وصباحها من رمى المدافع والسواريخ من المراكب والسواحل ، وباتوا يضربون أنواع الطبول والمزامير .

وفى الصباح (٢) ركب دوجا قايمقام ، وصحبته أكابر الفرنسيس وأكابر أهل مصر ، وحضر إلى قصر السد وجلسوا به ، واصطفت العساكر ببر الروضة ، وبر مصر العتيقة ، بأسلحتهم وطبولهم ، وبعضهم فى المراكب لضرب المدافع

١- فى النسخة (ب) "تسلح وتزيا بزى نساء مصر" والصواب ما أثبتناه من باقى النسخ . لأن المقصود هم أمراء المماليك .

٢- صباح يوم الجمعة ٢١ربيع الأول ١٢١٤هـ الموافق ١٩ مسرى ١٥١٥قبطية ، ٢٣ أغسطس ١٧٩٩م .

المتتالية ، إلى أن انكسر ، وجرى الماء فى الخليج فانصرفوا .

وفى خامس عشرينه [1] طلبوا من كل طاحون من الطواحين فرساً .

وفى سادس عشرينه [2] كتبوا أوراقاً ولصقوها بالأسواق ، مضمونها أن الناس يذهبون إلى بولاق يوم التاسع والعشرين ليحضر سوق الخيل ، ويشترى ما أحب من الخيل .

وفيه[3] لصقوا أوراقاً أيضاً ، مضمونها بأن من كان عليه مال ميرى ملزوم بغلاقه ، ومن لم يغلق ما عليه بعد مضى عشرين يوماً ، عوقب بما لا يليق به، ونادوا بموجب ذلك فى الأسواق .

وفى ، سابع عشرينه [4] كتبوا أوراقاً أيضاً مضمونها انقضا سنة مواجرات أقلام المكوس ، وأن من أراد استيجار شئ من ذلك فليحضر بالديوان ويأخذ ما يريده [5] بالمزاد .

وفيه [6] أفرج عن الأنفار التى قدم بها الفرنسيس من غزة وحبسوا بالقلعة على مصالحة خمسة وسبعين كيساً ، دفعوا بعضها ، وضمنهم أهل وكالة الصابون فى البعض الباقى ، فأنزلوهم من القلعة على هذا الاتفاق ، بشرط أن لا يسافر منهم أحد إلا بعد غلاق ما عليه .

١- يوم الثلاثاء ٢٥ ربيع الأول ١٢١٤هـ الموافق ٢٧ أغسطس ١٧٩٩ م .

٢- يوم الأربعاء ٢٦ ربيع الأول ١٢١٤هـ الموافق ٢٧ أغسطس ١٧٩٩م .

٣- أى فى يوم الأربعاء .

٤- يوم الخميس ٢٧ ربيع الأول ١٢١٤هـ الموافق ٢٨ أغسطس ١٧٩٩م .

٥- كلمة "ما يريده" غير موجودة فى النسخة (أ) .

٦- أى فى يوم الخميس المذكور .

وفى ثامن عشرينه (١) تشفع أرباب الديوان فى أهل يافا المسجونين بالقلعة ، فوقع [ص١٧٥] التوافق على الإفراج عنهم بمصلحة ماية كيس ، فاجتمع الرؤسا والتجار ، وترووا واشتوروا فى مجلس خاص بينهم ، فاتفق الحال على تقيسطها وتأجيلها ، فى كل عشرين يوماً خمسة وعشرون كيساً ، فدفع التجار خمسة وعشرين كيساً ، وأفرج عنهم من القلعة، وأجل الباقى على الشرح المذكور .

وفيه (٢) ورد من بونابارتة صارى عسكر كتاب من الأسكندرية ، خطاباً لأهل مصر وسكانها ، فأحضر قايمقام دوجا الرؤسا المصرية ، وقرأ عليهم الكتاب ، مضمونه أنه سافر يوم الجمعة حادى عشرين الشهر المذكور إلى بلاد الفرنساوية (٣) لأجل راحة أهل مصر وتسليك البحر ، فيغيب نحو ثلاثة أشهر ، ويقدم مع عساكره ، فإنه بلغه خروج عمارتهم ، ليصفى له ملك مصر ، ويقطع دابر المفسدين ، وأن المولى على أهل مصر وعلى الفرنسيس كلهم ، كلهبر صارى عسكر دمياط ، فوقع الناس فى لغط وهرج ، وتحيروا فى كيفية سفره مع وجود

١- يوم الجمعة ٢٨ ربيع ٢٨ ربيع الأول ١٢١٤هـ الموافق ٣٠ أغسطس ١٧٩٩م .

٢- أى فى يوم الجمعة المذكور .

٣- سفر بونابرت : فى كتابه الذى تركه لكليبر قبل سفره إلى فرنسا ذكر بونابرت أن من أسباب السفر تدهور وضع فرنسا وخسارتها لإيطاليا فمنيت بعدة هزائم متتالية ، كذلك العمل على إرسال المؤن والسلاح للحملة فى مصر - فيقول له "أن وصول أسطولنا إلى برست وطولون ووصول الأسطول الأسبانى إلى قرطجنة مما لا يدع مجالاً للشك فى أننا نستطيع أن نرسل إلى مصر البنادق والسيوف والمسدسات وباقى الذخائر التى تحتاج إليها سأرلها لك مع قسم من الجيش الاحتياطى لتعويض الخسائر التى أصابتنا فى الموقعتين وستحيطك الحكومة حينئذ علماً بنواياها.. . وإذ تفشى الطاعون فى مصر على الرغم من كل الاحتياطات التى اتخذت هذه السنة وقضى على ١٥٠٠ جندياً من جيوشك مما يعد خسارة كبرى فعليك والحالة هذه أن لا تخاطر بإثارة المعركة المقبلة بل نفوضك بعقد الصلح مع الباب العالى العثمانى حتى ولو كان الجلاء عن مصر من شروط الصلح الأساسية إنما يجب أن ترجئ تنفيذ هذا الشرط إلى عقد الصلح العام .

راجع : حيدر الشهابى : مرجع سابق ، جـ٢ .

مراكب الإنكليز على الثغر وذهبوا كل مذهب (١)

فلما كان يوم السبت تاسع عشرين الشهر(٢) قدم كلهبر صبيحة ذلك اليوم ، فضربوا لقدومه المدافع من جميع الجهات ، وتلقته كبار الفرنساوية وأصاغرهم ، وذهب إلى بيت بونابارتة الذى كان ساكناً به بالأزبكية ، وسكن مكانه (٣)

وفى ذلك اليوم ، قدمت طايفة من العسكر من جهة الشرقية ، وصحبتهم منهوبات كثيرة من بلد ضربوها ونهبوها ، ومعهم نحو السبعين من الرجال والصغار وبعض النسا ، وهم موثوقون بالحبال ، فسجنوهم بالقلعة .

١- كيفية هروب بونابرت : عرف بونابرت من خلال الأسرى الفرنسيين الذين تبادلهم مع الإنجليز أن سيدني سميث قد استنفذ احتياطاته من المياه والمواد الغذائية وأنه يتعين عليه التحرك فوراً لإعادة التزود بالمؤن من قبرص ويتعين على بونابرت الانتظار حتى اختفت الوحدات البحرية الإنجليزية التى تحاصر الأسكندرية وهو ما حدث فى ١٢ أغسطس وما أن علم بذلك حتى أنهى استعداداته وغادر القاهرة في مساء ١٨ أغسطس فأبحر فى يوم ٢٢ أغسطس ولم يستطع أن ينتظر للقاء كليبر فترك رسائله الخاصة بنقل السلطة عند مينو راجع - هنرى لورنس :مرجع سابق ص ٣٩٨ وما بعدها .

٢- يوم السبت ٢٩ ربيع الأول ١٢١٤هـ الموافق ٣٠ أغسطس ١٧٩٩م .

٣- وقد وجه كليبر منشوراً إلى الجنود ونصه :" القيادة العامة بالقاهرة فى ١٤ فروكتيدور من كليبر القائد العام إلى الجيش أيها الجنود .وقعت أسباب قهرية الجنرال بونابرت القائد العام إلى السفر إلى فرنسا ، لم تمنعه أخطار الملاحة فى وقت الأعاصير وشق طريقه وسط عباب بحر ضيق محاط بالأعداء من كل جانب ، من السفر إلى فرنسا لأن فى ذلك مصلحة لكم أيها الجنود ، سوف تأتيكم نجدة عظيمة أو يحل علينا سلام مجيد جدير بكم وبأعمالكم فتعودوا إلى أوطانكم . عندما تسلمت أعباء القيادة من بونابرت شعرت بأهميتها وبكل ما كان يكتنفها من متاعب ومشقة ، ولما كنت من جهة أخرى مقدراً فيكم الهمة العالية التى طالما توجت بنجاح باهر ، ولما كنت مقدراً أيضاً مثابرتكم العظيمة وطول أناتكم وشجاعتكم فى تحدى الأخطار والأهوال وتحمل جميع صنوف الحرمان ولما كنت أقدر حق التقدير كل ما يمكن الإقبال عليه من أعمال جسام مع مثل هؤلاء الجنود لم أتردد البتة فى أن يكون لى شرف قيادتكم وقد زادت قوة على قوة .أيها الجنود لا تشكوا إطلاقاً فى أن كل ما تطلبونه سوف يكون موضع عنايتى" إمضاء كليبر بأمر القائد العام راجع كورييه دى ليجيبت ، العدد ٣٧ ص ١٤٤ .

وفيه[1] ذهب أكابر البلد من مشايخ وأعيان ، لمقابلة [ص١٧٦] كبير الفرنسيس الجديد والسلام عليه ، فلم يجتمعوا به ذلك اليوم ، وأوعدوا إلى الغد ، فانصرفوا وحضروا فى ثانى يوم ، فاجتمعوا به ، فلم يروا منه بشاشة ولا طلاقة وجه مثل اللعين الأول فإنه كان عنده مداهنة وطلاقة [2].

شهر ربيع الثانى

فى أوايله [3] أبتدوا بعمل مولد سيدنا الحسين ، وقهروا الناس وكرروا المناداة بفتح الحوانيت والسهر ، ووقود القناديل عشر ليال متوالية ، أخرها ليلة الأربعا ثانى عشره [4]

وفيه ، طلب كبير الفرنسيس من النصارى القبطة ماية وخمسين ألف ريال فرانسة، فى مقابلة بواقى سنة ألف ومايتين واثنى عشر ، وشرعوا فى تحصيلها .

وفى يوم الجمعة سادسه [5] ركب صارى عسكر الجديد من الأزبكية ،

١- أى فى يوم السبت غاية ربيع الأول .

٢- فى عجائب الآثار يقول الجبرتى "فلم يروا منه بشاشة ولا طلاقة " وجه مثل بونابرته فإنه كان بشوشاً ويباسط الجلساء ويضحك معهم " فانظر كيف قلب الجبرتى المعنى .

٣- الاثنين ١ ربيع الآخر ١٢١٤هـ الموافق ٢ سبتمبر ١٧٩٩م . ولكن يوميات الجبرتى التالية تشير إلى أن شهر ربيع الآخر استهل بيوم الأحد ١ سبتمبر ١٧٩٩م . وهذه ليست المرة الأولى التى يختلف فيها الجبرتى مع تقويم مختار باشا ولكننا سوف نضطر إلى الأخذ بتقويم الجبرتى لأنه يعتمد على الواقع لا الحساب الفلكى كما سبق أن أشرنا إلى ذلك فى مطلع شهرى ذو الحجة وذو القعدة سنة ١٢١٣هـ .

٤- فى عجائب الآثار "آخرها ليلة الخميس ثانى عشره "ولكن الجبرتى يذكر فيما يلى أن آخر المولد كان يوم الثلاثاء عاشره وهو الأصوب لأنهم نادوا بوقود القناديل عشر ليال وليس اثنتى عشرة.

٥- ويوم الجمعة ٦ ربيع الآخر ١٢١٤هـ الموافق ٦ سبتمبر ١٧٩٩م وذلك حسب ما سار عليه الجبرتى وليس مختار باشا ..

ومشى من وسط المدينة فى موكب حافل ، حتى صعد إلى القلعة ، وكان أمامه نحو الخمسماية قواس وبأيديهم النبابيت وهم يأمرون الناس بالقيام والوقوف على الأقدام لمروره ، وكان صحبته عدة كثيرة من خيالة الإفرنج ، وبأيديهم السيوف المسلولة والوالى والأغا وبرطملين بمواكبهم ، وكذلك القلقات والوجاقلية ، وكل من كان مولى من جهتهم ، ومنضماً إليهم ما عدا رؤسا الديوان من الفقها ، فلم يطلبوهم لحضور ذلك الموكب ، ولما صعد إلى القلعة ، ضربوا له عدة مدافع ، وتفرج على القلعة ، ثم نزل بذلك الموكب إلى داره .

وفى يوم السبت سابعه (1) ركب أغاة الانكشارية فى أبهة عظيمة وجبروت ، وأمامه عدة من عسكر الفرنسيس ، وأمامه المنادى يقول [ص177] "حكم ما رسم صارى عسكر خطاباً للأغا ، أن جميع الدعاوى والقضايا لا تعمل إلا ببيت الأغا ، وكل من تعدى من الرعايا ، أو وقع منه قلة أدب ، يسفك دمه " .

وفيه ، ركب صارى عسكر الفرنسيس فى موكب دون الأول ، وذهب إلى بيت الشيخ الشرقاوى ، ثم رجع إلى داره .

وفى يوم الأحد ثامنه ، عمل صارى عسكر الفرنسيس وليمة فى بيته ودعا الأعيان والتجار والمشايخ ، وتعشوا عنده ، وانصرفوا إلى دورهم (2)

1- يوم السبت 7 ربيع الآخر 1214هـ الموافق 7 سبتمبر 1799م .

2- كليبر والمشايخ : فى 16 فروكتيدور عقد الجنرال كليبر أول اجتماع له مع مختلف وحدات ضباط الجيش ورجال الديوان والعلماء وأعيان البلاد ، كان الحاضرون كثيرين وبذلت الجهود بإخلاص لكى يكون الحفل الذى صاحب الاجتماع عظيماً وعلى مستوى المناسبة وتحدث الشيخ المهدى بالنيابة عن زملائه ، مطالباً بحماية الديانة الإسلامية ، ومعرباً عن أسفه لسفر الجنرال بونابرت وقال أن مما يطيب خاطره هو ما يعهده في خليفته من العدالة والطيبة والقلب الكبير . ورد عليهم الجنرال كليبر سأستجيب لطلباتكم والتماساتك بالأعمال ، كورييه دى ليجيبت . العدد 38 ، ص 146 وما بعدها .

وفى يوم الثلاثا عاشره[1] كان آخر المولد الحسينى ، وحضر كبير الفرنسيس مع أعيانهم إلى بيت الشيخ السادات بعد العصر ، فى موكب عظيم ، وأمامه الأغا والوالى والمحتسب ، وعدة كثيرة [2] من عسكرهم وبيدهم السيوف المسلولة ، فتعشوا هناك ، وركبوا بعد الغروب ، وشاهدوا وقود القناديل .

وفى سادس عشره [3] نودى بنشر الحوايج ، وكتبوا بذلك أوراقاً ولصقوها بالأسواق ، وشددوا فى ذلك بالتفتيش والنظر ، وأخذوا دارهم على ذلك ، وزاد عليهم فى هذا العام عسكرى فرنساوى يطوف مع المقيدين بذلك ، وهم جماعة من طرف مشايخ الحارات ، نساءً ورجالاً [4]

وفى عشرينه [5] نودى بعمل مولد السيد على البكرى ، المدفون بجامع الشرايبى بالأزبكية ، بالقرب من الرويعى ، وأمروا الناس بوقود قناديل بالأزقة فى تلك الجهات ، وأذنوا لهم بالذهاب والمجى ليلاً ونهاراً ، ولا حرج عليهم فى ذلك .

١- الثلاثاء ١٠ ربيع الآخر ١٢١٤ هـ توافق ١٠ سبتمبر ١٧٩٩ م حسب الجبرتى ، أما مختار باشا فيذكر أن الثلاثاء يوافق ٩ ربيع الآخر الموافق ١٠ سبتمبر ١٧٩٩م .

٢- فى النسخة (أ) "وعدة كبيرة ".

٣- يوم الاثنين ١٦ ربيع الآخر ١٢١٤هـ الموافق ١٦ سبتمبر ١٧٩٩م .

٤- يبدو الجبرتى هنا متضايقاً من أهتمام الفرنسيين من بنشر الفرش فى الشمس مع أن موقفه يختلف فى عجائب الآثار حيث يقول "وشددوا فى ذلك بالتفتيش والنظر بجماعة من طرف مشايخ الحارات ومع كل منهم عسكرى من طرف الفرنساوية وامرأه أيضاً للكشف على أماكن النساء ، وكان الناس يأنفون من ذلك ويستثقلونه ويستعظمونه وتحدثهم أوهامهم بأمور يتخيلونها كقولهم إنما يريدون بذلك الاطلاع على أماكن الناس ومتاعهم مع أنه لم يكن سوى التخوف من العفونة والوباء " .

٥- يوم الجمعة ٢٠ ربيع الآخر ١٢١٤هـ الموافق ٢٠ سبتمبر ١٧٩٩م وننوه ثانية إلى أن ٢٠ ربيع الاخر ١٢١٢هـ يوافق يوم السبت ٢١ سبتمبر ١٧٩٩م وذلك فى تقويم محمد مختار باشا "التوفيقات الإلهامية".

والسيد على البكرى هذا كان رجلاً من البُله ، وكان يمشى بالأسواق عرياناً مكشوف الرأس والسوأتين غالباً ، وله أخ صاحب دهاء ومكر ، لا يلتئم به [ص١٧٨] ، واستمر على ذلك مدة سنين ، ثم بدا لأخيه أمر فيه ، لما رأى من ميل الناس لأخيه ، ومحبتهم له واعتقادهم فيه ، كما هى عادة أهل مصر فى أمثاله ، فحجر عليه ومنعه من الخروج من البيت ، وألبسه ثياباً وأظهر للناس أنه أذن له بذلك ، وأنه تولى القطبانية ونحو ذلك ، فأقبلت النسا والرجال على زيارته والتبرك به ، وسماع ألفاظه ، وأخذ أخوه المذكور يرغبهم فى ذلك ، ويحكى لهم عن كراماته، وأنه يطلع على المغيبات ، وينطق بما فى النفوس ، ويعلم خطرات القلوب ، فانهمكوا على الترداد إليه ، وقلد بعضهم بعضاً ، وأقبلوا عليه بالهدايا والنذور والإمدادات الواسعة ، من كل شئ ، وخصوصاً من نسا الأمرا ، فاجتمع عند أخيه أشياء كثيرة من هذه الأمور ، وراج حاله واتسعت أمواله ، ونفقت سلعته ، وسمن أخوه من كثرة الأكل والفراغ والراحة وعدم المشى ، حتى صار مثل البَو العظيم ، فلم يزل على ذلك إلى أن مات (١) فدفنه أخوه فى هذا المسجد ، وعمل عليه مقصورة ومقاماً ، وواظب عنده بالمقرئين وأرباب الأشاير ، والمنشدين والمداح ، بذكر كراماته ومكاشفاته ، ويتواجدون ويتصارخون (٢) ويمرغون وجوههم على شباكه وأعتابه .

شعر (٣)

وقالوا سكرنا بحب الإله ... وما أسكر القوم إلا القصع

١- يذكر الجبرتى فى عجائب الآثار أنه توفى فى ١٢٠٧ هـ الموافق ١٧٩٢م .

٢- فى النسخة (ب) "ويتواجدوا ويتصارخوا" والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٣-اكتفى المؤرخ هنا بذكر بيت شعر واحد بينما أورد فى عجائب الآثار١٤بيتا نحيل القارئ إليها

فهـرعت لزيارة قـبـره النسا ، والرجال بالنذور وأنوا ع المأكولات ، وشموع الوقود ، وصار ذلك المسجد مجمعاً وموعداً ، فلما حضر الفرنسيس إلى مصر ، تشاغل عنه الناس ، وأهمل شانه فى جملة [ص١٧٩] المهملات ، وترك مع جملة المتروكات، فلما فتح أمر الموالد ، ورخص الفرنسيس ذلك للناس ، لما رأوا فيه من الخروج عن الشرايع ، واتباع الشهوات ، واجتماع النسا والتلاهى وفعل المحرمات ، أعيد هذا المولدمع جملة ما أعيد .

شهر جمادى الأولى

استهل بيوم السبت (١) فيه اهتم الفرنسيس بعمل عيدهم المعتاد ، وهو عند الاعـتـدال الخـريفى ، وانتـقـال الشـمس لبـرج الميـزان (٢) فنادوا بفـتح الأسـواق والدكاكين ، ووقـود القناديل ، وعملوا عزايم وولايم وأطعمة ثلاثة أيام ، أخرها يوم الاثنين (٣) ولم يعـطوه على هيئة العام الماضى من الاجتماع بالأزبكية عند الصارى المنتصب ، والكيفية المذكورة ، لأن ذلك الصارى سقط وامتلأت البركة بالماء .

١- فى عجائب الاثار : يذكر الجبرتى أن شهر جمادى الأولى استهل بيوم الجمعة ، والحقيقة أنه لا هذه ولا تلك ، فغرة جمادى الأولى ١٢١٤هـ توافق يوم الثلاثاء أول أكتوبر ١٧٩٩م ، والحقيقة أن الجبرتى يجانبه التوفيق كثيراً فى مسألة ضبط أيام الأسبوع ، وقد أدى ذلك إلى وقوع جميع محققى مظهر التقديس وعجائب الاثار السابقين فى أخطاء بالجملة ولذلك وضعنا بآخر الكتاب ملحقاً يبين احتمالات شهرى ربيع الثانى وجمادى الأولى حسب تواريخ الجبرتى والتوفيقات الإلهامية لكى تكون أكثر وضوحاً انظر ملحق رقم ٢ .

٢- يوافق انتقال الشمس لبرج الميزان يوم ٢٢ سبتمبر من كل عام .

٣- استمرت العزائم أيام السبت والأحد والاثنين ٢١ ،٢٢ ،٢٣ سبتمبر ١٧٩٩م وهى توافق ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ من ربيع الآخر ١٢١٤هـ وليست ١،٢،٣ جمادى الأولى كما يذكر الجبرتى لأنها توافق أيام ثلاثاء وأربعاء وخميس

فلما كان يوم الأحد ، نبهوا على الكبرا والأعيان ، بالبكور إلى بيت كبير الفرنسيس .

فاجتمع الجميع فى صبح يوم الاثنين ، فركب صارى عسكر معهم فى موكب كبير ، وذهبوا إلى قصر العينى ، وعرضت عليهم العساكر جميعها ، على اختلاف أنواعها ، من خيالة ورجالة، وهم بأسلحتهم وزينتهم ، ولعبوا لعبهم فى ميدان الحرب ، وأخلع كبيرهم على الشيخ الشرقاوى والقاضى وأغاة الانكشارية كل واحد فرو سمور ، ثم رجعوا إلى منازلهم ، ثم نودى فى الأسواق كلها بوقود أربع قناديل على كل دكان فى تلك الليلة ، ومن لم يفعل ذلك عوقب ، ثم عملوا حراقة بالأزبكية بمدافع وسواريخ ونفوط ، ولعبوا فى المراكب طول ليلتهم .

وفى سابعه ، بعد الصليب [1] [ص١٨٠] نقص ماء النيل ، وكان من أول زيادته قاصراً عن العادة ، وزيادته شحيحة ، فضج الناس وانكبوا على شرا الغلة ، وازدحموا فى الرقع والسواحل ، وطلب باعة القمح الزيادة فى السعر ، فجمع الفرنسيس كل من له مدخل [2] فى تجارة الغلال ، وزجروهم وخوفوهم ، وقالوا لهم، هذه الغلة الموجودة الآن إنما هى زراعة العام الماضى ، وأما هذا النيل فلا تخرج زراعته إلا فى العام المستقبل ، فانزجروا وباعوا بالسعر الحاضر ، وقد كاد يقع الغلا [3] العظيم ، لولا ألطاف الله حقت ، ونعمه العميمة الشاملة حصلت .

١- عيد الصليب :الحقيقة أن عيد الصليب لا يوافق شهر جمادى الأولى ، فعيد الصليب كان فى يوم ١٧ توت ١٥١٦ قبطية وهو الموافق ليوم ٢٦ سبتمبر ١٧٩٩م والموافق ليوم الخميس ٢٥ ربيع الآخر ١٢١٤هـ والمفروض أن يتوقف ازدياد مياة الفيضان عند هذا التاريخ وعلى أية حال فإن ٧ جمادى الأولى يوافق يوم الاثنين ٧ أكتوبر ١٧٩٩م فربما كان النقصان شديداً فى هذا اليوم الذى يشير إليه الجبرتى .

٢- فى النسخة (ب) "مداخلة ".

٣- فى النسخة (ب) "البلا" والصواب ما أثبتناه .

وفيه ، أرسلوا جملة عساكر من الفرنسيس إلى مراد بيك بناحية الفيوم ، فحصروه وأخذوا حملة عثمان بيك الطنبرجي [1] ووقعت بينهم وبين مراد بيك أمور لم يتحقق تفصيلها ، ثم ترددت بينه وبين كبير الفرنسيس بالصعيد الرسل والمراسلات ، ووقعت الهدنة والمهاداة ، واصطلح معهم على شروط لم تعرف ، وانكف كل فريق عن الآخر [2]

مجمل حوادث شهر جمادى الأولى [3]

وفى هذا الشهر كثرت الإشاعة باجتماع عساكر سلطانية جهة الشام ، فكثر اهتمام الفرنسيس بإخراج الجبخانات والمدافع وآلات الحرب والقومانية والعساكر ، وتحصين الصالحية والقرين وبلبيس .

١- فى النسخة (أ) "التنبرجى ".

٢- الصلح بين مراد وكليبر : عادت السلطة للفرنسيين فى الوجه البحرى ، أما فى الوجه القبلى فقد توصل الفرنسيون إلى إخضاعه بالاتفاق مع مراد بك ، الذى كان يسيطر على الصعيد ، وكانت تتوق نفسه بعدما حل به من الهزائم إلى مصانعتهم أيضاً ، فقد وقف وقفه الخائف الوجل عندما جردت تركيا حملتها الأخيرة على مصر لإخراج الفرنسيين ، لأن مراد بك كان يشعر بأن تركيا إذا فتحت مصر بحد السيف وتمكنت من إخراج الفرنسيين منها طمحت إلى التخلص من نفوذ المماليك وعملت على أسترجاع سلطاتها الفعلية إذ لم تكن تنظر بعين الرضا إلى استئثار المماليك بسلطة الحكم فى مصر ، وربما كان مراد بك ينتظر ما يحصل من الأمور ونتيجة القتال بين العثمانيين والفرنسيين ليقرر الانضمام إلى الغالب ، فلما رأى النصر حليف الفرنسيين فى معركة عين شمس صمم على إبرام الصلح معهم ، وظل مراد أثناء ثورة القاهرة الثانية مقيماً فى طرة بعيداً عن حركات القتال، وتمت مفاوضات الصلح وشروط الاتفاق بينه وبين كليبر بينما كانت مدافع الفرنسيين تمطر قنابلها على سكان العاصمة . راجع عبد الرحمن الرافعى . مرجع سابق ، جـ٢ ، ص ١٦٢ وما بعدها - انظر كذلك ملحق رقم ٣ .

٣- العنوان من وضع المحققين .

شهر رجب

استهل بيوم الجمعة (1) فيه كثرت الأقوال ، وتواترت الأخبار بوصول حضرة الوزير الأعظم والصدر المشار إليه الأفخم ، يوسف باشا إلى الديار الشامية ، وصحبته حضرة نصوح باشا ، وعثمان أغا كتخدا حضرة الدولة العلية ، وحسن أغا نزلة أمين [ص١٨١] ومصطفى أفندى الدفتردار ، وباقى رجال الدولة ، واستمر الأمر على الأنتظار وترجى حصول الفرج أناء الليل وأطراف النهار . (2)

فلما كان فى منتصفه ، وصلت الأخبار بوصولهم إلى غزة والعريش ، وحاصروا قلعة العريش ، وقاتلوا من بها من عسكر الفرنسيس (3) حتى ملكوها فى تاسع عشره (4) وأخذوا الباقى بعد القتل أسرى ، واحتووا على ما كان فيها مما أعده الفرنسيس ، من الذخيرة والجبخانة وآلات الحرب ، وصعد مصطفى باشا - الذى باشر أخذ القلعة بالحرب - مع جملة من العسكر وبعض من غز مصر ، وضربت النوبة ، وحصل الفرج العظيم بمبدأ هذا الفتح(5) فأتفق لقضا

١- يوم الجمعة غرة رجب ١٢١٤هـ الموافق ٢٩ نوفمبر ١٧٩٩م وهنا يتفق تقويم الجبرتى مع "التوفيقات الإلهامية".

٢- العبارة التى بين القوسين يصيغها الجبرتى في عجائب الآثار بأسلوب آخر ، حيث يقول" وباقى رجال الدولة وعسفوا فى البلاد الشامية ، وضربوا عليهم الضرائب العظيمة، وجبوا الزموال ، وفعلوا ما لا خير فيه من الظلم وقتل الأنفس بسبب استخلاص الأموال " والأمر لا يحتاج لتعليق كما ترى .

٣- فى النسخة (ب) "الفرنساوى" وفى عجائب الآثار "الفرنساوية " .

٤- يوم الثلاثاء ١٩ رجب ١٢١٤هـ الموافق ١٧ ديسمبر ١٧٩٩م .

٥- موقعة العريش : وصلت طلائع القوات العثمانية إلى العريش فى ٨ ديسمبر ١٧٩٩م ، وبدأوا دعوة الفرنسيين الموجودين بها إلى الاستسلام فى مقابل وعد بسفرهم إلى فرنسا . ولكن قائد حصن العريش رفض عقد صلح معهم مؤكداً أن ذلك من سلطان القائد العام لا من سلطاته ، ولكن انطلقت صيحات التمرد من داخل الجيش الفرنسى الذين لم يستطيعوا الصمود أكثر من يومين ثم يرفعون راية الاستسلام ويسلمون أنفسهم للعثمانيين الذين قتلوا العديدين منهم .هنرى لورنس : مرجع سابق ، ص ٤٤٨ .

المقدور ، إن وقعت نار على البارود المخزون بالقلعة ، وكان شيئاً كثيراً ، فانهدمت ومات معظم من فيها ، ومصطفى باشا أيضاً ، ومات من كان خارجاً عنها وبقربها من الحجارة المتطايرة بسبب البارود ، ولما تحقق الفرنسيس أخذ العريش وأن العساكر زاحفة إلى جهة الصالحية : تهيأ كبير الفرنسيس للسفر ، وخرج بعساكره وجنوده حتى وصل إلى الصالحية ، وقد كان قبل أخذ المسلمين (١) قلعة العريش أرسل الفرنساوية إلى سميت (٢) كبير الإنكليز ليتوسط معهم فى أمر الصلح ، وورد فرمان من حضرة الصدر الأعظم قبل وصوله لجهة العريش ، خطاباً إلى جمهور الفرنساوية باستدعا رجلين من عقلايهم ورؤسايهم لينعقد الصلح بين الفريقين على ما يشترطوه ، فوجهوا من طرفهم بوسليك رئيس الكتاب ، ودزه صارى عسكر الصعيد ، فنزلوا فى البحر على دمياط ، وطالت مدة غيابهم ، [ص١٨٢] وبعث كلهبر رسلاً من طرفه لاستفسار الأخبار (٣)

١- كلمة المسلمين كتبها الجبرتى فى عجائب الاثار "العثمانيين " .

٢- سيدنى سميث : قائد الأسطول الإنجليزى المحاصر لسواحل مصر ، لعب دوراً كبيراً فى مساعدة الجزار فى الصمود أمام الحصار الفرنسى . ولعب دوراً كبيراً بعد ذلك فى المفاوضات العثمانية الفرنسية أثناء مفاوضات العريش ولكنه رفض التوقيع التزاماً بسياسة بلاده التى رفضت الاتفاقية . وفى بعض الأحيان كان يوقع اسمه مصحوباً بلقب "سارى عسكر بلاد الإنكليز ونايب حضرة السلطان سليم " ولعب دوراً فى تنظيم الطوائف فى بلاد الشام .

٣- بداية التفاوض لاتفاقية العريش : فى خطابه الذى تركه بونابرت لكليبر قبل سفره أوصاه بمحاولة عقد اتفاق مع العثمانيين فى حالة عدم وصول إمدادات إليه من فرنسا . وأدرك كليبر مدى ما أصاب الجيش من انحطاط وأن الصدر الأعظم يجهز قواته فى الشام للانقضاض على مصر وكليبر غير قادر على المقاومة فبدأ التفكير فى إعادة التفاوض مرة أخرى من أجل الجلاء عن مصر .هنرى لورنس :مرجع سابق ص ٤٤٢ وما بعدها .

شهر شعبان ١٢١٣هـ

واستهل شهر شعبان [١] فورد الخبر بقدومهما فى اثنين وعشرين[٢] فيه إلى الصالحية ، فأرسلوا لهما الخيول وما يحتاجون إليه ، وحضروا إلى مصر ، وشاع أمر الصلح ، وحضر من طرف الصدر الأعظم رئيس الكتاب ودفتردار أفندى ، لتقرير الصلح ، وجنح كل من الفريقين إلى ذلك لما فيه من كف الحرب وحقن الدماء ، وأظهر الفرنسيس بمكرهم الانخداع والخضوع ، حتى تم عقد الصلح على اثنين وعشرين شرطاً ، رسمت فى طومار كبير . وورد الخبر بذلك إلى مصر ، وفرح الناس فرحاً شديداً ، وأرسل كبير الفرنسيس مكاتبة [٣] بصورة الواقعة إلى دوجا قايمقام ، فجمع أهل الديوان ، وقرا عليهم ذلك ولما ورد ذلك القرطاس المتضمن لعقد الصلح والشروط ، وعربوه ويصموه فى طومار كبير ، رسموا منه نسخاً كثيرة فرقت على الأعيان ، ولصقت بالأسواق ، وصورته بما فيه من الفصول والشروط بالحرف الواحد ، ما عدا [٤] ترجمة الأسطر التى باللغة الفرنساوية "وهذه صورة الشروط الواقعة بخلو مصر ما بين حضرة الجنرال دزه متفرقة ، وحضرة بسليغ مدبر الحدود العام ، نواب سرى العسكر العام كلهبر ، المفوضين بكامل السلطان ، وجناب سامى المقام مصطفى رشيد أفندى دفتردار ، ومصطفى

١- يوم السبت غرة شعبان ١٢١٤هـ الموافق ٢٨ ديسمبر ١٧٩٩م ويلاحظ أن مختار باشا يختلف مع الجبرتى فى مطلع هذا الشهر ، حيث أن رجب لديه ثلاثين يوماً وغرة شعبان ١٢١٤هـ توافق يوم الأحد ٢٩ ديسمبر ١٧٩٩م .

٢- يوم السبت ٢٢ شعبان ١٢١٤هـ الموافق ١٨ يناير ١٨٠٠م .

٣- فى النسخة (أ) "مكاتيب" .

٤- فى النسخة (ب) "من غير" والصواب ما أثبتناه من باقى النسخ .

راشيته (١) أفندى رئيس الكتـاب الوكـلا المفـوضين بكامل السلطان ، عن جناب حضـرة الوزير سـامى المقـام : أن للجـيش الفـرنسـاوى بمصـر . عندمـا قـصـد أن يوضح مـا فى نفسه من وفور الشوق لحقن الدما ، ويرى نهاية الخصـام المضر ، الذى قـد حـصل [ص١٨٣] مـا بين المشيـخـة الفرنسـاوية ، والبـاب الأعلى ، فـقـد أرتضى أن يسلم بخلو الإقليم المصرى ، بحسب هذه الشروط الآتى ذكرها ، يأمل أن بهذا التسليم يمكن أن يتجه ذلك إلى الصلح العام فى بلاد الغرب قاطبة .

الشرط الأول

إن الجـيش الفـرنسـاوى يلزمـه أن يتنحى بالأسلحـة والعـزال والأمـتـعـة إلى الأسكندرية ورشيد وأبو قير لأجل أن تتوجه وتنتقل بالمراكب إلى فرانسـا ، إن كان ذلك فى مـراكبـهـم الخـاص بهم ، أم فى تلك التى يقـتـضـى للباب الأعلى أن يقدمـهـا لهم ، بقدر الكفـاية ، ولأجل تجـهيز المراكب المذكورة بأقرب نوال ، فقد وقع الاتفاق أن من بعد مضى شهر واحد من تقرير هذه الشروط ، يتوجه إلى قلعة أسكندرية ، نايب من قبل الباب الأعلى ، وصحبته خمسون نفراً .

الشرط الثانى

فلابد عن المهلة وتوقيف الحرب ، بمدة ثلاثة أشهر بالإقليم المصرى ، وذلك من عـهد إمـضـا شروط الاتفاق هذه ، وإذا صادف الأمر أن هذه المهلة من ذى قبل أن المـراكـب (٢) الواجب تجـهـيزهـا من قـبل البـاب الأعلى تحـضـر جـاهـزة فـالمهلة المذكـورة ، تقـتـضـى مطاولتـهـا إلى أن ينجـز الرحـيل على التـمـام والكمـال ، ولمن

١- صحة الاسم طبقاً للنص الفرنسى "مصطفى راسخ" .

٢- هكذا فى جميع النسخ ولكنها أكثر وضوحاً فى عجائب الآثار حيث كتبت كالتالى "أن هذه المهلة تمضى قبل أن المراكب".

الواضح أنه لابد عن أطراف الوسايط الممكنة من قبل الفريقين لكي لا يحصل ما يمكن وقوعة من التجسس [1] إن كان ذلك للجيش ، أم لأهل البلاد قد حصل الاتفاق بها لأجل راحتهم .

الشرط الثالث

فرحيل الجيش الفرنساوى يقتضى بتدبيره بيد الوكلا المقامين لهذه الغاية من قبل الباب الأعلى وسرى العسكر كلهبر ، وإذا حصل خصام ما بين الوكلا المذكورين [ص١٨٤] وقت الرحيل فى هذا الصدد ، فينتخب من قبل حضرة سيدنهى سميت رجل لينهى المخاصمات المذكورة بحسب قواعد السياسة البحرية السالكون عليها ببلاد الإنكليز .

الشرط الرابع

قطيا والصالحية لابد عن خلوها من الجيش الفرنساوى فى ثامن يوم ، وأعظم ما يكون فى عاشر يوم من إمضا شروط الاتفاق هذه ، ومدينة المنصورة يكون خلوها من بعد خمسة عشر يوم ، وأما دمياط وبلبيس من بعد عشرين يوم وأما السويس فيكون خلوة سبعة أيام قبل مدينة مصر ، وأما المحلات الكاينة فى الجهة الشرقية من بحر النيل ، فيكون خلوها فى اليوم العاشر ، والدلطا أى الأقاليم البحرية يكون خلوها خمسة عشر يوم من بعد خلو مصر . والجهة الغربية وما يتعلق بها تستمر بيد الفرنساوية إلى حد خلو مدينة مصر ، ولكن من حيث أنها لابد أن تستمر بيد الفرنساوية إلى أن يكون انحدار العسكر من جهات الصعيد ، فجهة الغربية وتعلقاتها كما ذكر لمكن أن لا يتيسر خلوها إلا من بعد

١- فى جميع النسخ كتبت "الحسر" ولكن صححناها من عجائب الآثار حتى يستقيم المعنى .

انقضا وقت المهلة المعين ، إذا لم يمكن خلوها قبل هذا الميعاد ، والمحلات التى تترك من الجيش ، فتستلم إلى الباب الأعلى كما هى فى حالها الآن .

الشرط الخامس

ثم إن مدينة مصر إن أمكن ذلك يكون خلوها بعد أربعين يوماً ، وأكثر ما يكون بمدة خمسة وأربعين يوماً من وقت إمضا الشروط المذكورة .

الشرط االسادس

إنه لقد وقع الاتفاق صريحاً على أن الباب الأعلى يصرف كل اعتناه فى أن الجيش [ص١٨٥] الفرنساوى الموجود فى الجهة الغربية من بحر النيل ، عندما يقصد التنحى بكامل ما له من السلاح والعزال لنحو معسكرهم ، لا تصير عليه مشقة ولا أحد يشوش عليه ، إن كان ذلك مما يتعلق بشخص كل واحد منهم ، أم بأمتعته أو بكرامته ، وذلك إما من أهالى البلاد ، وإما من جهة العسكر السلطانى العثمنلى .

• الشرط السابع

وحفظاً لإتمام الشرط المذكور أعلاه ، وملاحظة لمنع ما يمكن وقوعه من الخصام والمعاداة ، فلابد عن استعمال الوسايط ، فى أن عسكر الإسلام يكون دايماً متباعداً عن العسكر الفرنساوى .

الشرط الثامن

فمن بعد تقرير وإمضا هذه الشروط ، فكل من كان من الإسلام أم من باقى الطوايف ، من رعايا الباب الأعلى ، بدون تمييز الأشخاص ، أوليك الواقع عليها الضبط ، أم الذين واقع عليهم الترسيم ببلاد فرانسا ، أو تحت أمر الفرنساوية بمصر ، يعطى لهم الإطلاق والعتق ، وبمثل ذلك فكل الفرنساوية المسجونين فى

كامل البلدان والأساكل من مملكة العثمنلي ، وكذلك كامل الأشخاص من أيَّتْمَا طايفة كانت ، أوليك الذين كانوا في تعلق خدمة المراسلات والقناصل الفرنساوية ، لابد عن انعتاقهم .

الشرط التاسع

فترجيع الأموال والأملاك المتعلقة بسكان البلاد والرعايا من الفريقين ، أم دفع مبالغ أثمانها لأصحابها فيكون الشروع به حالا من بعد خلو مصر ، والتدبير في ذلك يكون بيد الوكلا في اسلامبول القامين بوجه خاص من الفريقين لهذا المقصد .

الشرط العاشر

فلا يحصل التشويش لأحد من سكان الإقليم المصرى [ص١٨٦] من أية ملة كانت ، وذلك لا في أشخاصهم ولا في أموالهم ، نظراً إلى ما يمكن أن يكون قد حصل من الاتحاد ما بينهم وبين الفرنساوية ، بزمن إقامتهم بأرض مصر .

الشرط الحادي عشر

ولابد أن يعطى للجيش الفرنساوى ، إن كان من قبل الباب الأعلى أو من قبل المملكتين المرتبطين معه - أعنى بها مملكة إنكليزية ومملكة الموسكوية (١) - فرمانات الإذن وأوراق المحافظة بالطريق ، وبمثل ذلك السفن اللازمة لرجوع الجيش المذكور بالأمن والأمان إلى بلاد فرانسا .

١- في عجائب الآثار "مملكة إنكليزه ومملكة الموسكوب " وفي النسخة "ب" "مملكة إنكليتره " وفي النسخة (أ) "موسكوية " وصححناها لتناسب النص .

الشرط الثانى عشر

وعند نزول الجيش الفرنساوى (1) المذكور الكاين بمصر الآن ، فالباب الأعلى ، وباقى الممالك المتحدة معه ، يعاهدون بأجمعهم أنهم من وقت ينزلون بالمراكب إلى حين وصولهم إلى أراضى فرانسا ، لا يحصل عليهم شئ قط مما يكدرهم ، وبنظير ذلك فحضرة الجنرال كلهبر سرى العسكر العام ، يعاهد من قبله وصحبته الجيش الفرنساوى الكاين بمصر بأنه لا يصدر منهم مما يؤول إلى المعاداة على الإطلاق ما دامت المدة المزبورة ، وذلك لا ضد العمارة ، ولا ضد بلدة من بلدان الباب الأعلى ، وباقى الممالك المرتبطة معه ، وكذلك أن السفن التى يسافر بها الجيش المشار إليه ، ليس لها أن ترى فى حد من الحدود إلا بتلك التى تختص بأراضى فرانسا ما لم يكن ذلك فى حادث ماضرورى .

الشرط الثالث عشر

ونتيجة ما قد وقع الاتفاق عليه من الإمهال المشترط أعلاه ، بما يلاحظ خلو الإقليم المصرى ، فالجهات الواقع بينهم هذا الاشتراط ، قد اتفقوا [ص١٨٧] على أنه إذا حضر فى حد هذه المدة المذكورة مركب من بلاد فرانسا بدون معرفة غلايين الممالك المتحدة ، ودخل بمينا اسكندرية ، فلازم عن سفره حالاً ، وذلك من بعد أن يكون قد تحوج بالماء والزاد اللازم ، ويرجع إلى فرانسا ، وذلك بسندات أوراق الإذن من قبل الممالك المتحدة ، وإذا صادف الأمر أن مركب من هذه المراكب تحتاج إلى الترقيع ، فهذه لا غير مباح لها بالإقامة إلى أن ينتهى إصلاحها المذكور وفى الحال من ثم تتوجه إلى بلاد فرانسا ، نظير الذى قد تقدم القول عليها ، عند أول ريح يوافقها .

١- كلمة "الفرنساوى" غير مذكورة فى النسخ (ب) .

الشرط الرابع عشر

وقد يستطيع حضرة الجنرال كلوبر سرى العسكر العام ، أن يرسل خبر إلى أرباب الأحكام الفرنساوية فى الحال ، ولمن يصحب هذا الخبر لابد أن يعطى له أوراق الإذن بالإطلاق كما يقتضى ، ليسهل بهذه الواسطة وصول الخبر إلى أصحاب الحكم بفرانسا .

الشرط الخامس عشر

وإذ قد اتضح أن الجيش الفرنساوى يحتاج إلى المعاش اليومى ، ما دامت الثلاثة الأشهر المعينة لخلو الإقليم المصرى ، وكذلك لمعاش الثلاثة الأخرى التى يكون مبتدأوها من يوم [1] نزولهم بالمراكب ، فقد وقع الاتفاق على أن يقدم لهم مقدار ما يلزمهم من القمح واللحم والأرز والشعير والتبن ، وذلك بموجب القايمة التى تقدمت الآن من وكلا الجمهور الفرنساوى إن كان ذلك مما يخص إقامتهم ، أو ما يلاحظ سفرهم ، والذى يكون قد أخذه الجيش المذكور مقدار ما كان من شونه ، وذلك من إمضا هذه الشروط ، فينخصم مما قد ألزم ذاته بتقدمته الباب الأعلى .

الشرط السادس عشر

[ص١٨٨] ثم إن الجيش الفرنساوى من ابتدا وقوع إمضا هذه الشروط المذكورة ، ليس له أن يفرد على البلاد فردة ما من الفرايد قطعاً بالإقليم المصرى ، لا بل وبالعكس ، فإنه يخلى للباب الأعلى كامل فرد المال وغيره ، مما يمكن توجيه قبضه ، وذلك إلى حين سفرهم ، وبمثل ذلك الجمال والهجن والجبخانة والمدافع ،

١- كلمة " يوم " غير موجودة فى النسخة (ب) .

وغير ذلك مما يتعلق بهم ولا يريدون أن يحملوه معهم ، ونظير ذلك شون الغلال الواردة لهم من تحت المال ، وأخيراً مخازن الخراج هذه كلها لابد عن الفحص عنها وتسعيرها من أناس وكلا موجهين من قبل الباب الأعلى لهذه الغاية ، ومن أمير البحر الإنكليزى ، وبرفقة الوكلا المتصرفين بأمر الجنرال كلهبر سرى العسكر، وهذه الأمتعة لابد عن قبولها من وكلا الباب الأعلى المتقدم ذكرهم بموجب ما وقع عليه السعر إلى حد قدر مبلغ ثلاثة آلاف كيس ، التى تقتضى للجيش الفرنساوى المذكور ، لسهولة انتقاله عاجلاً ونزوله بالمراكب ، وإذا كانت الأسعار فى هذه الأمتعة المذكورة لا توازى المبلغ المرقوم أعلاه ، فالخس والنقص فى ذلك ، لابد عن دفعه بالتمام من قبل الباب الأعلى ، على جهة السلفة ، تلك التى يلتزم بوفايها أرباب الأحكام الفرنساوية ، بأوراق التمسكات المدفوعة من الوكلا المعينين من الجنرال كلهبر سرى عسكر العام ، لقبض واستلام المبلغ المذكور .

الشرط السابع عشر

ثم إنه إذا كانت تقتضى للجيش الفرنساوى بعض مصاريف لخلوهم مصر ، فلابد أن يقبض ، وذلك من بعد تقرير صك الشروط المذكورة القدر المحدد [ص١٨٩] أعلاه ، بالوجه الآتى ذكره ، أعنى فمن بعد مضى خمسة عشر يوم خمسماية كيس ، وفى غلاق الثلاثين يوم خمسماية كيس أخرى ، وعند كمال الخمسين يوم ثلثماية كيس شرحه ، وفى الستين يوم ثلثماية كيس أيضاً ، وفى السبعين يوم ثلثماية يوم كيس أخرى وعند تمام الثمانين يوم ثلثماية كيس أخرى ، وعند غلاق التسعين يوم خمسماية كيس أخرى ، وكل هذه الأكياس المذكورة هى عن كل كيس خمسماية قرش عثمنلى ، ويكون قبضها على سبيل السلفة من يد الوكلا المعينين لهذه الغاية من قبل الباب الأعلى ، لكى يسهل إجرا العمل بما وقع

الاعتماد عليه ، فالباب الأعلى من بعد وضع الإمضا على النسختين من الفريقين ، يوجه حالا الوكلا إلى مدينة مصر ، وفى بقية البلاد المستمر بها الجيش الفرنساوى .

الشرط الثامن عشر

ثم إن فرد المال الذى يكون قد قبضته الفرنساوية [من بعد تاريخ تحرير الشروط المذكورة ، وقبل أن يكون اشتهر هذا الاتفاق فى الجهات المختلفة بالإقليم المصرى ، فقد تنخصم من قدر مبلغ الثلاثة آلاف كيس المتقدم القول عنها .

الشرط التاسع عشر

[ثم إنه لكى يسهل خلو المحلات سريعاً ، فالنزول فى المراكب الفرنساوية] (١) المختصة بالحمولة ، والموجودة فى المين بالإقليم المصرى مباح به ما دامت الثلاثة أشهر المذكورة المعينة للمهلة ، وذلك من دمياط ورشيد حتى إلى الأسكندرية ، ومن أسكندرية حتى إلى رشيد ودمياط .

الشرط العشرون

فمن حيث أنه للطمان الكلى فى جهات البلاد الغربية ، يقتضى الاحتراس الكلى لمنع الوبا الطاعونى عن أنه يتصل هناك ، [ص١٩٠] فلا يباح ولا لشخص من المرضى أو من أوليك الذين مشكوك بهم برايحة من هذا الداء الطاعونى ، أن ينزل بالمراكب ، بل أن المرضى بعلة الطاعون أو بعلة أخرى أيتما ما كانت تلك التى بسببها لا يقتضى أن يسمح بسفرهم بمدة خلو الإقليم المصرى الواقع عليها الاتفاق ، يستمرون بمارستان المرضى حيث هم الآن تحت أمان جناب الوزير

١- الفقرة التى بين القوسين غير موجودة فى النسخة (ب) وبذلك ففى هذه النسخة تداخل بين الشرطين الثامن عشر والتاسع عشر ، ودُمجا فى شرط واحد .

الأعظم عالى الشان ، ويعالجونهم الأطبا من الفرنساوية ، أوليك الذين يجاورونهم بالقرب منهم ، إلى أن يتم شفاهم ، [يسمح لهم بالرحيل ، الشئ الذى لابد عن اقتضا الاستعجال به بأسرع ما يمكن ويحصل لهم ، ويبدوا] [1] نحوهم ما ذكر فى الشرطين الحادى عشر والثانى عشر من هذا الاتفاق ، نظير ما يجرى على باقى الجيش ، ثم إن أمير الجيش الفرنساوى يبذل جهده فى إبراز الأوامر الأشد صرامة لرؤسا العسكر النازلة بالمراكب بأن لا يسمحوا لهم بالنزول بميناً خلاف المين [التى تتعين لهم من روسا الأطبا ، تلك المين] [2] التى يتيسر لهم بها أن يقضوا أيام الكارنتينة بأوفر السهولة ، بحيث أنها من مجرى العادة ولابد عنها .

الشرط الحادى والعشرون

فكلما يمكن حدوثه من المشاكل التى تكون مجهولة ، ولم يمكن الاطلاع عليها فى هذه الشروط ، فلابد عن نجازها بوجه الاستحباب ، ما بين الوكلا المعينين لهذا القصد ، من قبل جناب الوزير الأعظم عالى الشان ، وحضرة الجنرال كلهبر سرى العسكر العام ، بوجه يسهل ويحصل الإسراع بالخلو .

الشرط الثانى والعشرون

وهذه الشروط لا تعد صحيحة ، إلا من بعد إقرار الفريقين وتبديل النسخ ، وذلك بمدة ثمانية أيام ، ومن بعد [ص١٩١] حصول هذا الإقرار ، لابد عن حفظ هذه الشروط الحفظ اليقين من الفريقين كليهما . صح وثبت وتقرر بختوماتنا الخاصة بنا بالمعسكر ، حيث وقعت المداولة بحد العريش ، فى شهر بلويوز سنة ثمانية من إقامة المشيخة الفرنساوية ، وفى ٢٤ شهر كانون الثانى

١- الفقرة التى بين القوسين ناقصة فى طبعة وزارة التربية والتعليم . ولكنها موجودة فى نسخ المخطوطات .

٢- الفقرة التى بين القوسين ناقصة من النسخة (ب)

غربي من سنة ١٨٠٠ الواقع فى ٢٨ شهر شعبان هلالية سنة ١٢١٤ هجرية (١) الممضيين الجنرال متفرقة دزه ، البلدى بوسيهلغ ، المفوضين بكامل سلطان الجنرال كلهبر ، وجناب سامى مقام مصطفى رشيد أفندى دفتردار ، ومصطفى راسيشه أفندى رئيس الكتاب ، المفوضين بكامل سلطان جناب الوزير الأعظم عالى الشان " منقوله عن النسخة الأصلية الموافقة لتلك الموجهة بالفرنساوى إلى الوكلا العثمنلى بدلاً من التى قد وجهوها باللغة التركية ممضى دزه ويوسيهلغ . تقرير الجنرال سرى العسكر العام محرر فى آخر النسخة التركية التى بقيت محفوظة بيد الوزير الأعظم "إننى أنا الواضع اسمى أدناه الجنرال سرى العسكر العام ، أمير الجيش الفرنساوى بالإقليم المصرى ، أثبت وأقرر شروط الاتفاق المذكور . أعلاه للحصول على إجرايه ، بالعمل بالنوع والصورة ، إذ كان من اللازم أن أتيقن بأن الاثنين وعشرين شرط المشروحة إلى الآن ، هى موافقة على التدقيق للترجمة باللغة الفرنساوية الممضى عليها من الوكلا أصحاب ولاية الوزير الأعظم والمقررة من جناب عالى الشان ، الترجمة التى لابد عن الاعتماد بإجرايها كل مرة ، إن كان لسبب أم لآخر ، يمكن حصول بعض الاختلافات ، ومن ثم فتتلد(٢) بعض المشاكل، صح وجرى بمحل المعسكر العام [ص١٩٢] بالصالحية فى ٨ شهر بلويوز سنة ٨ من المشيخة ، ممضى كلهبر عن نسخة صحيحة . الجنرال متفرقة رأس صاحب

١- يوم الجمعة ٢٨ شعبان ١٢١٤هـ الموافق ٢٤ يناير (كانون الثانى) ١٨٠٠م . ويلاحظ أن يوم الجمعة ٢٤ يناير يوافق ٢٧ شعبان فى " التوفيقات الإلهامية " ، وهذا هو التاريخ الذى اعتمده الرافعى مؤكداً أن الجبرتى أخطأ فى نقل التاريخ . ولكن الجبرتى لم يخطئ وإنما هو الاختلاف فى مطلع الشهر بين روية الهلال والحساب الفلكى .

٢- فى عجائب الآثار " فتقلد "

ختام فى الجيش الفرنساوى ، ممضى داماس " انتهى بحروفه ، وما فيه من خطأ أو تحريف فهو طبق الأصل المطبوع بالمطبعة الفرنساوية باللغة العربية .[1]

شهر رمضان المعظم ١٢١٤هـ

استهل بيوم الأحد[2] فى ثانيه حضر كبير الفرنسيس إلى جهة العادلية وصحبته أغا من رجال الدولة العلية[3] يسمى محمد أغا فأرسل كبير الفرنسيس إلى حسن أغا المحتسب يأمره بأن يتلقاه وينزله فى بيته ويكرمه إكراماً زايداً .

فلما كان بعد العشا[4] دخل ذلك الأغا إلى مصر فى موكب ، فازدحم الناس على مشاهدته ، وحصل لهم ضجة عظيمة ، وارتفعت أصواتهم ، وعلا ضجيجهم

١- تتضمن الاتفاقية المحاور الآتية : المحور الجوهرى - ترتيبات الانسحاب العسكرى ويليه فى الأهمية . تغطيه نفقات هذا الانسحاب سواء خلال تجميع القوات الفرنسية فى أماكن معينة ، أو خلال نقل هذه القوات من البر إلى السفن أو خلال مسيرة السفن من الشواطى المصرية إلى الموانئ الفرنسية .

- المحور الثالث : يتناول الشعب المصرى بعد رحيل الفرنسيين خاصة من حيث حماية من تعاون مع الفرنسيين خلال وجود الحملة وما أكثرهم سواء كانوا من المسلمين أو من الأقباط وغيرهم . ولكن نلاحظ العبارة التالية ، فقد نصت المادة العاشرة على ألايضار أحد من سكان مصر من أى دين كان .... بسبب اتصاله بالفرنسيين . وفى الحقيقة فإن الذين اتصلوا بالفرنسيين وتعاونوا معهم كانوا من كافة الطوائف . من ثم فإن هذا التحفظ فى نص الاتفاقية كان فعلاً مطلوباً حتى لا يضار مصرى بجلاء الفرنسيين .كما ورد فى الاتفاقية حصول الفرنسيين المنقولين من مصر إلى فرنسا على "جوازات سفر "تطبيقاً لما كان مطبقاً فى أوروبا من هذا الصدد لأى مغادر إلى بلد أخرى ، وفى نفس الوقت منعاً لدخول غير الفرنسيين ضمن المنقولين من مصر إلى فرنسا .

٢-يوم الأحد غرة رمضان ١٢١٤ هـ الموافق ٢٧ يناير ١٨٠٠م هذا ويذكر محمد مختار أنه استهل بيوم الاثنين وليس الأحد .

٣- يغير الجبرتى "العلية " إلى "العثمانية " فى عجائب الآثار .

٤- عشاء يوم الاثنين ثانى رمضان ١٢١٤ هـ الموافق ٢٨ يناير ١٨٠٠م .

عند قدومه ، وزاد فرحهم وسرورهم وهنأ بعضهم بعضاً برؤية رجال الدولة العلية ، ولم يزل سايراً حتى وصل إلى بيت المحتسب بسويقة اللالا ، فنزل هناك وحضر الناس للسلام عليه فى المشاعل والفوانيس تلك الليلة .

ولما أصبح النهار ،[1] عمل ديواناً وجمع العلما والوجاقلية وأعيان المسلمين، وكبار النصارى من الأقباط والشوام ، وأبرز لهم فرماناً من حضرة الصدر الأعظم قرئ عليهم بالمجلس ، دل مضمونه على تصرف محمد أغا المذكور على أمر الدواوين والكمارك ، وجمع الذخيرة اللازمة للنفقة بالشرا ، بمعونة حسن أغا المحتسب ، وحفظ ذلك بالمخازن . وأبرز فرماناً أخر بإقامة حضرة الصدر الأعظم السيد مصطفى باشا[2] قايمقام ووكيلا عن حضرة الصدر الأعظم إلى حين حضوره ، وأن السيد أحمد [ص١٩٣] المحروقى [3] كبير التجار ملزوم ومقيد بتحصيل الثلاثة آلاف كيس السلفة المعينة لترحيل الفرنساوية ، وحضر السيد

١- نهار يوم الثلاثاء ٣ رمضان ١٢١٤هـ الموافق ٢٩ يناير ١٨٠٠م .

٢- مصطفى باشا هو الذى كان أسيراً لدى الفرنسيين فى معركة أبى قير البرية . وكان محبوساً بالجيزة .

٣- بالرغم من ورود اسم أحمد المحروقى قبل ذلك عدة مرات فقد فضلنا تأخير التعريف به لهذا المكان لبروز موقفه فيه .نشأ أحمد المحروقى فى بيئة تجارية إذ لم يكن من رجال الأزهر ، وقد عمل المحروقى تاجراً بالجملة فى القاهرة ، وخلف أبوه فى مكانته "شاهبندر التجار" وزادت شهرته فاتصل بأمراء مصر من المماليك مثل إسماعيل بك ومراد بك وإبراهيم بك ومما يدل على مكانته بين الناس أنه لما اعتزم أداء فريضة الحج ١٢١٢هـ كان يوم خروجه مشهوداً فقد اجتمع الكثير من العامة والنساء وجلسوا بالطريق لوداعه والفرجة عليه – وأثناء الحملة اختير عن التجار ضمن أعضاء الديوان العمومى ثم الخصوصى ، ولقد اصطحبه بونابرت فى رحلته للسويس ولما قامت ثورة القاهرة الثانية كان من زعمائها وهاجر مع "عمر مكرم" بعد فشلها إلى سوريا ، وصادر الفرنسيون أملاكه فى غيبته ، ولم يعد إلى مصر إلا بعد توقيع اتفاقية العريش . عبد الرحمن الرافعى – مرجع سابق جـ٢ ، ص ٢٨٢ وما بعدها .

مصطفى باشا من الجيزة ، وسكن بيت عبد الرحمن كتخدا بحارة عابدين ، واجتهد السيد أحمد المحروقى فى توزيع القدر المذكور على التجار(١) وجمعه فى أيام قليلة ، وقد كان كل من توجه عليه مقدار من ذلك أخرجه عن طيب قلب وانشراح خاطر لعلمهم أن ذلك معونة لترحيل الفرنسيس وخلو أرض مصر منهم ، وإذا توجه على واحد منهم الطلب أظهر الفرح والسرور ، وبادر فى تحصيل المطلوب منه وهو يقول : "هذه سنة مباركة ويوم سعيد بذهاب الكلاب الكفرة " ، كل ذلك بمشاهدة الفرنسيس ومسمعهم ، وهم يحقدون ذلك على أهل مصر ويضمرونه فى نفوسهم .وأما الرعايا من أهل مصر فإنهم نظروا للفرنسيس بعين الذلة والاحتقار وأنزلوهم عن درجة الاعتبار وكشفوا نقاب الحيا معهم بالكلية ، وتطاولوا عليهم بالسب واللعن والسخرية ، ولم يملكوا لأنفسهم صبراً حتى ينقضى أمر عدوهم ويرتحل عنهم ، على أن ذلك لم يثمر إلا الحقد والعداوة التى تأسست فى قلوب الفرنسيس وأوجبت ما حصل بعد ذلك من وقوع العذاب البئيس . وقد قيل :"قاتل بجد وإلا فدع " وقال الشعبى من جملة كلام :"وصادفنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقيا ولا فجرة أقويا" ومن أمثال العامة "اصبر على الجار السوء فإما أن يرحل أو يموت " وفى بعض الآثار "إنا لنبش فى وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم " (٢)

١- فى عجائب الآثار يبدو موقف الجبرتى مغايراً تماماً فيقول " وفرضوه على التجار وأهل الأسواق والحرف ، وشرعوا فى تحكير الأقوات فغلت أسعارها، وضاقت مون الناس ، ودهى الناس من أول أحكامهم بهاتين الداهتين ، وكان أول قادم منهم أمير المكوسات ومحكر الأقوات ، وأول مطلوبهم مصادرة الناس وأخذ المال منهم ".

٢- عند مقارنة هذه اليومية بما كتبه الجبرتى فى عجائب الآثار يتضح أن الجبرتى غير بعض رأيه فى "العجائب" وأصبح أكثر هجوماً وسخرية على الجانب العثمانى بل وعلى المصريين المؤيدين لهم الذين فرحوا بقرب نهاية الحملة ورحيلها ووضعهم من أهل مصر استولى عليهم سلطان الغفلة " لمزيد من المقارنات راجع عجائب الآثار ، جـ٣ ، ص ٨٨ وما بعدها .

وأخذ الفرنسيس فى أهبة الرحيل ، وشرعوا فى بيع أمتعتهم وما فضل من سلاحهم ودوابهم وسلموا غالب الثغور والقلاع ؛ ما عدا قلعة مصر والأبراج التى بنوها المحيطة [ص١٩٤] بها .

وورد(١) الخبر بوصول حضرة الصدر الأعظم (٢) إلى بلبيس وصحبته الأمرا المصرية ، وأرسلوا إلى مراد بيك وأكدوا على حضوره ، فاستأذن الفرنسيس سراً ، فأذن له فى المقابلة ، وسفيره المتولى نفاق الطرفين عثمان بيك البرديسى ، فحضر المذكور وقابل حضرة المشار إليه بصحبة إبراهيم بيك وأخلع عليهما ورجع مراد بيك فأقام بجهة العادلية ، وحضر حسن أغا نزلة أمين (٣) ودخل مصر ، وحضر أيضاً غالب الفارين عند حلول مصر الفرنسيس من الأعيان والوجاقلية والأفندية والكتبة ، وأخلى الفرنساوية قلاع مصر ونزلوا منها ، وأهمل شأنها ، اتكالاً على تمام أمر الصلح وعدم خيانة الفرنسيس(٤) وأرسل إبراهيم بيك إلى

١- قبل هذه اليومية مباشرة دون الجبرتى فى عجائب الآثار يومية أخرى ما كان ليدونها فى مظهر التقديس ونصها " وصار فى كل يوم يدخل منهم جماعة بعد جماعة وأخذوا يشاركون الناس فى صناعاتهم وحرفهم مثل القهوجية والحمامية والخياطين والمزينين وغيرهم ، فاجتمع العامة وأصحاب الحرف إلى مصطفى باشا قائمقام وشكوا إليه فلم يلتفت لشكواهم ، لأن ذلك من سنن عساكرهم وطرائقهم القبيحة " عجائب الآثار جـ٣ ، ص ٨٩.

٢- يلاحظ أن الجبرتى فى عجائب الآثار يحذف الصدر الأعظم ويحولها إلى " الوزير " .

٣- فى النسخة (ب) "نزل أمين" وما أثبتناه من بقية النسخ هو الصواب .

٤- يبرر الجبرتى عدم اهتمام العثمانيين باحتلال القلاع باتكالهم على تمام الصلح وعدم خيانة الفرنسيس ، ولكنه فى عجائب الآثار له رأى آخر فيقول " ونزلوا منها ، فلم يطلع إليها أحد من العثمانيين ، ولم يلتفتوا لتحصينها ولا ربطها بالعساكر والجبخانة ، وأعرضوا عن المحاذرة وركبهم الغرور ، لأجل نفاذ المقدور .

السيد أحمد المحروقى بطلب كساوى وثياب وسراويل (١) للمماليك ولخاصة نفسه، فأرسل إليه مطلوبه وأخرجت لهم الخيام والتراتيب والنظام ، وهيأت نسا الأمرا والأجناد ترتيباتهم وعاداتهم ونظامهم ، ولازمت الفراشون الغدو والراوح إلى عرض أسيادتهم وهم راكبون البغال والرهوانات ، وفى جحورهم بقج القماش والثياب المزركشة بالذهب والفضة وكذلك الخدم يحملون طبالى الأطبخة والأطعمة المغطاة بالثياب الملونة ، وهم يغنون برفع أصواتهم ويتجاوبون بكلام وسخريات ولعن للنصارى البلدية والفرنسيس ، بمرأى منهم ومسمع ، إلى غير ذلك مما يحرك الحفيظة ويوغر صدر العدو . فلما استقر ركاب حضرة المشار إليه بمدينة بلبيس ، وقد كان أذن [ص١٩٥] للعساكر والمجاهدين والمتطوعين عند تمام عقد الصلح بالرجوع إلى بلادهم ، وهو إذ ذاك بالعريش ، وترك الأثقال والمدافع والجبخانة ، ولم يصحب معه إلا اللوازم التى لاغنا عنها ، وحضر إلى بلبيس فى الثانى والعشرين من شهر رمضان (٢) واستأذن العلما والتجار والأعيان المصرية السيد مصطفى باشا فى التوجه لأجل السلام فاستأذن ، ثم أذن لهم ، فذهبوا أيضاً إلى كلهبر كبير الفرنسيس واستأذنوه ، فأذن لهم أيضاً ، فذهبوا عند ذلك للسلام ، فوصلوا لنصوح باشا والى مصر وسلموا عليه ، وباتوا بوطاقة ثم استأذن لهم حضرة المشار إليه فأذن لهم ، فلما وصلوا إليه واستقر بهم الجلوس استفسر عن أسمائهم ، وكذلك التجار وأكابر النصارى ثم أخلع عليهم خلعاً سنية ، ورجعوا إلى

١–فى جميع النسخ "شراويل" ولكن صححناها حتى يستقيم المعنى والسروال لباس يغطى السرة والركبتين وما بينهما ولكن سراويل المماليك كانت أكثر طولاً واتساعاً وتُضم من أسفل بتكة حتى لا تعوق الحركة .

٢– الأحد ٢٢ رمضان ١٢١٤هـ الموافق ١٦ فبراير ١٨٠٠م .

المدينة ، بعد أن سلموا على أكابر الدولة بالعرضى ، وعلى إبراهيم بيك وباقى الأمرا المصرية ودخلوا المدينة وعليهم تلك الخلع وصحبتهم قاضى عسكر ووصل نصوح باشا والأمرا إلى جهة الخانكة ثم إلى المطرية .

وفيه حضر درويش باشا والى الصعيد إلى خارج القاهرة جهة الشيخ قمر ، فمكث أياماً ثم توجه إلى قبلى ، وصحبته نحو الماية نفر، وكذلك توجهت طايفة من العساكر الإسلامية (١) للسويس ودمياط والمنصورة ، وأنبث العسكر فى البلاد ودخلت مصر شيا فشيا .

شهر شوال ١٢١٤هـ

واستهل شهر شوال (٢) فى سابعه(٣) وقعت حادثة وهو أن جماعة من العساكر العثمانية تشاجروا مع جماعة من عسكر الفرنساوية ، وقتل بينهم [ص١٩٦] شخص فرنساوى ووقع فى الناس زعجة وكرشة وأغلقوا الحوانيت وتترس العسكر العثمنلى بالمتاريس ونصبها بخط الجمالية وما والاها ، واجتمعوا هناك فوقعت المناوشة فى الحرب ، وقتل من الفرنسيس أشخاص (٤) وباتوا ليلتهم مزمعين على الحرب ثانى يوم ، فتوسطت كبرا العسكر فى الصلح وأزالوا المتاريس ، وانكف كل فريق عن صاحبه ، ثم بحث السيد مصطفى باشا عمن أثار الفتنة ، وهم ستة أنفار فقتلهم وطيب خاطر الفرنسيس ، وأمر بخروج العساكر العثمانية من مصر إلى حيث العرضى وإذا دخلوا المدينة فلا يدخلونها بسلاح مطلقاً ،

١- فى عجائب الآثار يحذف الجبرتى "العساكر الإسلامية " ويسميهم العسكر العثمنلى .
٢- استهل شهر شوال بيوم الأربعاء ٢٦ فبراير ١٨٠٠م .
٣- يوم الأربعاء ٧ شوال ١٢١٤هـ الموافق ٤ مارس ١٨٠٠م .
٤- فى عجائب الآثار يكتب الجبرتى "قتل أشخاص قليلة من الفريقين "

ووكلوا جماعة من الفرنسيس بذلك خارج البلد (١)

وفى منتصفه ، توجه جماعة من كبار الفرنسيس إلى الأسكندرية بمتاعهم وأثقالهم وفيهم دوجا قايمقام ودزه صارى عسكر الصعيد ، وبوسليك رئيس الكتاب ومدبر الحدود ، ونزل جماعة منهم إلى البحر يريدون السفر إلى بلادهم ، فيقال أنه تعرض لهم الإنكليز ومنعوهم (٢) فأرسلوا إلى كبيرهم بمصر ، وعرفوه الحال ،

١- أهمل الجبرتى هنا ذكر جزء كبير من الحقيقة فقد ذكر فى عجائب الآثار ذلك الموقف بقوله "ثم بحث مصطفى باشا عمن آثار الفتنة وهم ستة أنفار فقتلهم وأرسلهم إلى صارى عسكر الفرنساوية ، فلم يطب خاطره بذلك وقال لابد من خروج عساكرهم إلى عرضيهم حتى تنقضى الأيام المشروطة ، وإذا دخل منهم أحد إلى المدينة لا يدخلون إلا بطريقة وبدون سلاح ، فعند ذلك أمر مصطفى باشا بخروج الداخلين من العساكر ، ولا يبقى منهم أحد ووقف جماعة من الفرنساوية خارج باب النصر ، فإذا أراد أحد من العسكر أو من أعيان العثمانية الدخول إلى المدينة ، فعند وصوله إليهم ينزل عندهم ، وينزع ما عليه من السلاح ويدخل وصحبته شخص أو شخصان موكلان به يمشيان أمامه حتى شغله ويرجع ، فإذا وصل إلى الفرنساوية الملازمين خارج البلد أعطوه سلاحه فيلبسه ، ويمضى إلى أصحابه ، فكان هذا شأنهم" .

٢- كانت إنجلترا تخشى أنه فى حالة عودة الحملة الفرنسية إلى أوروبا فأنها سوف تنضم إلى قوات نابليون فى أوروبا مما يعنى إضافة قوات جديدة متمرسة له ، لذا كان التصميم الإنجليزى على إفشال مشروع الاتفاقية ، ففى ١٠مارس ١٨٠٠م تلقى كليبر رسالة من سيدنى سميث [مرسله من قبرص فى ٢٠ ، ٢١ فبراير] وفى هذه الرسالة يخبره بعدم قبول صاحب الجلالة أى اتفاق مع الجيش الفرنسى إلا فى حالة إلقائه السلاح وتسليم نفسه لذا فهو لن يسمح بمرور الجنود الفرنسيين إلا كأسرى وهذا ما رفضه كليبر ، أما الصدر الأعظم فهو قد توجه بالخطاب إلى سيدنى سميث ووضح له عدم فهمه للموقف البريطانى الذى أدى إلى تأزم الأمور وخاصة عندما قام الأدميرال الإنجليزى "كيث " بضبط عدد من قادة وجنود الحملة الذين تركوا مصر وهم فى طريقهم لفرنسا مثل ديزيه واحتجزوا فى ميناء "ليفورن " فى إيطاليا رهن الاعتقال ، حيث سمح لهم بعد ذلك بالسفر إلى فرنسا . وبذلك سقطت الاتفاقية قبل سريانها نتيجة للموقف الإنجليزى .

فأرسل بذلك إلى حضرة الوزير ، فسوفه فكان ذلك من أسباب نقض الصلح ، وانتقل عرضى همايون من بلبيس إلى جهة سطح الخانكة قريباً من مصر ، وتقدم أمامه عرضى نصوح باشا والأمرا المصرية ، وجملة من العسكر العثمانية ، فنصبوا وطاقهم بالبلد المسماة بالمطرية ، وكان ذلك أخر أيام المهلة ، وطلب الفرنسيس أجلة ثمانية أيام أخرى ؛ فأجيبوا إلى ذلك ، فجعلوها ظرفاً لجمع عساكرهم وطوايفهم من البلاد [ص١٩٧] القبلية والبحرية ، ونصبوا وطاقهم بساحل البحر متصلاً بأطراف مصر ، وردوا ذخايرهم إلى القلاع كما كانت ، واجتهدوا فى ترجيح آلات الحرب بعد أن كان يسافر معظمها ، والبارود على الجمال والعربات ليلاً ونهاراً ، والناس يتعجبون من ذلك ، ومصطفى باشا قايمقام والعساكر العثمانية يشاهدون ذلك فلا يقولون شيئاً ، والبعض يقول أنهم أمروا برد ذلك إلى القلاع ، فلما قضوا أشغالهم من أمر القلاع وتحصينها وأبقوا من أبقوه وقيدوه بها من عساكرهم ، واستوثقوا من ذلك ، خرجوا بأجمعهم إلى ظاهر المدينة جهة قبة النصر ، وانتشروا فى تلك النواحى ، ولم يبق بداخل المدينة منهم إلا من كان بالقلاع ، وجملة ببيت الألفى ، وبعض بيوت الأزبكية ، وغلب على ظن الناس أنهم برزوا للرحيل .

وفى العشرين [1] منه ، طلبوا مصطفى باشا وحسن أغا نزلة أمين فلما حضر إليهما أرسلوهما للجيزة .

فلما كان اليوم الثالث والعشرين من شوال [2] ركب كبير الفرنسيس كلهبر

١- يوم الاثنين ٢٠ شوال ١٢١٤هـ الموافق ١٧ مارس ١٨٠٠ م .

٢- يوم الخميس ٢٢ شوال١٢١٢هـ الموافق ٢٠ مارس ١٨٠٠م وهو تاريخ معركة عين شمس واشتعال ثورة القاهرة الأولى .

قبل طلوع الفجر بعساكره وصحبتهم المدافع وآلات الحرب وقسم عساكره طوابير ، منهم من توجه إلى عرضى همايون ومنهم من مال على من بجهة المطرية ، فدهموهم على حين غفلة من غير أن يكون للمسلمين استعداد للقتال ، لأنهم كانوا مطمينين ، لم يخطر ببالهم خيانة الخاينين ، وغالب عساكرهم بالمدينة والقرى لتشهيل الكلف واللوازم فضربوا عليهم بالبنادق والمدافع ، فركب القوم وناوشوهم القتال ، ثم تركوا خيامهم ووطاقهم ومدافعهم ، فتركه العسكر الفرنساوى على ما هو عليه غير أنه [ص١٩٨] سد فالية (١) المدافع بالمسامير والتحق ذلك الطابور بالطوابير الزاحفة لجهة عرضى همايون (٢) فلما بلغ حضرة المشار إليه ذلك ، وسمع ضرب المدافع ، وتحقق الخيانة ، أمر بالرحيل والرجوع إلى جهة الصالحية ، حرصاً على هيبة الدولة وحرمة السلطنة ، ولئلا ينسب إليه نقض الصلح والخيانة، ومقابلتهم من جنس فعلهم ، ولقلة تعبية العساكر والاستعداد للحرب ، ولكون أكثر العسكرقد كان رجع لبلاده لما تقرر أمر الصلح ، ومهمات آلات الحرب تركت بالعريش اتكالاً على ذلك ، وكثير من العساكر أيضاً كان مفرقاً فى القرى والبلاد لأغراض ولوازم ، فكان الانتقال بالعرضى من حسن السياسة والتدبير ولقد قال

١- الفالية :هى الثقب الموجود فى أعلى المدفع لإشعال البارود .

٢- معركة عين شمس : علم كليبر بموقف الإنجليز من معاهدة العريش وفى الوقت نفسه كان يوسف باشا الصدر الأعظم يتقدم بجنوده فى داخلية البلاد تنفيذاً للمعاهدة قد خلت جنوده قطية والصالحية وبلبيس والسويس والمنصورة وعزبة البرج ودمياط بدون قتال ، واستقر فى بلبيس وتقدم جزء من الجيش العثمانى بقيادة ناصف باشا والياً على الصعيد ، ولكن كليبر أدرك بعد إنذار "كيث " إليه أن الصلح منقوض لذلك فقد منع دخول العساكر العثمانية إلى القاهرة وقام بإعادة تجميع قواته وتحصين القلاع حول القاهرة ، ووقعت المعركة بينه وبين العثمانيين وانتصر فيها يوم ٢٠مارس ١٨٠٠م . عبد الرحمن الرافعى : مرجع سابق ، جـ١ ، ص ١٤٤ وما بعدها .

أرباب الحروب العارفون بها أن أمير الجيوش ينبغى أن يكون كالتاجر الكيس إن رأى ربحاً تقدم وحارب ، وإن رأى غير ذلك وفَر نفسه وجيشه ، ورجع لإعْمَال حيلة غير الحرب ، وهذا كله مندرج تحت "الحرب خدعة" ، وأما عرضى المطرية من نصوح باشا ومن كان معه فإنهم تنحوا عن جهة الفرنسيس وانحانوا لجهة ما ، فلما لحق الطابور الذى ناوشهم القتال ببقية الطوابير كما تقدم ، قصد نصوح باشا ومن بصحبته جهة مصر وتركوا عسكر الفرنسيس وراهم ، وأما أهل مصر فإنهم لما سمعوا صوت المدافع كثر فيهم اللغط والقيل والقال ، ولم يدركوا حقيقة الحال، فهاجوا ورمحوا إلى أطارف البلد ، وقتلوا أشخاصاً من الفرنساوية صادفوهم خارجين من البلد ، ليذهبوا إلى أصحابهم ، وذهبت [ص١٩٩] شرذمة من عامة أهل مصر ، فانتهبت الخشب وبعض ما وجدوه من نحاس وغيره ، حيث كان عرضى الفرنسيس ، وخرج السيد عمر أفندى نقيب الأشراف ، والسيد أحمد المحروقى وانضم إليها غزخان الخليلى والمغاربة الذين بمصر ، وكذلك حسين أغا شنن أخو أيوب بيك الصغير ، وتبعتهم كثير من عامة أهل مصر ، وتجمعوا على التلول خارج باب النصر ، وبأيد الكثير منهم النبابيت والعصى والقليل معه السلاح، وكذلك تحزب طوايف كثيرة من العامة ، ومشوا بأزقة المدينة ، وخرج كثير إلى أطراف البلد وقامت الناس كلهم على ساق وقدم .

فلما تضحى النهار [١] حضر بعض الأجناد من المصريين ، [٢] ودخلوا مصر وفيهم بعض مجاريح ، فصار الناس يسألونهم فلم يخبروهم بشئ لجهلهم أيضاً حقيقة الحال ، ثم لم يزل الحال كذلك إلى أن دخل وقت العصر ، فوصل جمع

١- ضحى يوم الخميس ٢٣ شوال الموافق ٢٠مارس ١٨٠٠م .

٢- يقصد من المماليك حيث يطلق عليهم لقب المصريين أو المصرلية .

عظيم من العامة ممن كان خارج البلد ، ولهم صياح وجلبة ، وخلفهم إبراهيم بيك ، ثم أخرى ، وخلفهم سليمان أغا ، ثم أخرى كذلك ، وخلفهم عثمان كتخدا الدولة ، ثم نصوح باشا ، ومعه عدة وافرة من العساكر السلطانية [1] وصحبتهم السيد عمر نقيب الأشراف ، والسيد أحمد المحروقي ، وحسن بيك الجداوى ، وعثمان بيك المرادى ، وعثمان بيك الأشقر ، وعثمان بيك الشرقاوى ، وعثمان أغا الخازندار ، وإبراهيم كتخدا ومراد بيك السنارى ، وصحبتهم مماليكهم وأتباعهم[2] فدخلوا من باب النصر وباب الفتوح ومروا على الجمالية ، حتى [ص٢٠٠] وصلوا إلى وكالة زين الفقار ، فقال نصوح باشا :"قاتلوا النصارى وجاهدوا فيهم "[3] فلما سمعت العامة منه هذا القول هاجوا ورفعوا أصواتهم ومروا مسرعين ، يقتلون من يصادفوه من نصارى القبط والشوام وغيرهم ، فذهبت طايفة إلى حارات النصارى، وبيوتهم التى بناحية بين الس ين وباب الشعرية وجهة الموسكى ، فصاروا يكبسون الدور ، ويقتلون من يصا عوه من الرجال أو النسا أو الصبيان ،

١- فى عجائب الآثار يحذف الجبرتى "كلمة " العساكر السلطانية ويكتبها "ومعه عدة وافرة من عساكرهم ".

٢- كانت هذه القوات تقيم فى المطرية ، بينما كان جيش يوسف باشافي الخانكة ولما هاجم الفرنسيون قوات المطرية التى يقودها نصوح باشا ، استطاع الفرار بقواته ومن معه من المماليك ودخل القاهرة فى عصر ذلك اليوم ، بينما استمر الفرنسيون فى الزحف جهة الخانكة حيث معسكر الوزيرفدارت المعركة قرب ضاحية عين شمس .

٣- لا شك أن نصوح باشا لم يكن يقصد النصارى البلديين من الأقباط وغيرهم ، وإنما يقصد الفرنسيين ، ولكن بعض العامة من الراغبين فى السلب والنهب هم الذين بالغوا فى القضية لتحقيق أغراضهم ، بدليل أنهم نهبوا بيوت المسلمين أيضاً ، كما أن نصوح باشا بوصفه ممثلاً للدولة العثمانية ، ما كان ليأمر بقتل الأقباط ، والمعروف أن دولته أقامت نظاماً للملل تمتع فى ظله الأقباط وغيرهم بوضع أفضل مما عاشه غيرهم من الأقليات فى أوربا نفسها.

وينهبون ويأسرون ، حتى اتصل ذلك بالمسلمين المجاورين لهم ، فتحزبت أيضاً النصارى واحترسوا ، وجمع كل منهم ما قدر عليه من العسكر الفرنساوى والأروام ، وقد كانوا قبل ذلك محترسين وعندهم الأسلحة والبارود والمقاتلون لظنهم وقوع هذا الأمر ، فوقع الحرب بين الفريقين ، وصارت النصارى تقاتل وترمى بالبندق والقرابين من طيقان الدور على المجتمعين بالأزقة من العامة والعسكر والآخرون يرمون من أسفل ويكسبون الدور ، وبات نصوح باشا وكتخدا الدولة وإبراهيم بيك وبعض من صناجق مصر والكشاف والأتباع وطوايف من العساكر بخط الجمالية .

فلما أصبح الصباح[1] أرسلوا إلى المطرية وأحضروا منها ثلاثة مدافع فوجدها مسدودة الفالية ، فعالجوها حتى فتحوها وركبوهم بالأزبكية ، وضربوا بهم على بيت الألفى وكان به جملة من عساكر الفرنساوية ، فضربوا أيضاً بالمدافع والبنادق ، واستمر الحرب بين الفريقين إلى أخر النهار فسكن الحرب .

وفى هذا اليوم ، شرع العسكر السلطانى وأهل مصر فى صنع متاريس بالأطراف كلها [ص٢٠١] وبجهة الأزبكية ، وشرعوا فى بنا بعض جهات السور ، واجتهدوا فى تحصين البلد بقدر الطاقة ، وبات الناس فى هذه الليلة خلف المتاريس . فلما أظلم الليل أطلق الفرنساوية المدافع والبنب على البلد من القلاع ، ووالوا الضرب بالخصوص على خطة الجمالية ، لكون معظم رؤسا العساكر الإسلامية بها وأكثر العسكر فيها .

وفى هذه الليلة [2] أجمع رأى كبرا العسكر على الخروج من البلد ، لعدم

١- صباح يوم الجمعة ٢٤ شوال الموافق ٢١ مارس ١٨٠٠م .

٢- ليلة السبت ٢٥ شوال ١٢١٤هـ الموافق ٢٢ مارس ١٨٠٠م .

آلات الحرب والبارود ، وعِزَّة الأقوات ، وأن القلاع بيد الفرنساوية ، ومصر لا يمكن محاصرتها لاتساعها وكثرة أهلها ، وليس لها سور يحيطها [1] وغالب قوت أهلها يجلب كل يوم من قراها ، فلما أحس كبرا العساكر بأن الحال يطول فى الحرب أجمعوا على الخروج بالليل ، وتسامع الناس بذلك فتجهز المعظم للخروج أيضاً ، وغصت خطة الجمالية وما والاها من الأخطاط بإذدحام الناس الذين يريدون الخروج من المدينة ، ووقع للناس فى هذه الليلة من الكرب والمشقة والانزعاج والخوف مالا يوصف ، وتسامع أهل خان الخليلى من الألضاشات وبعض مغاربة الفحامين والغورية ذلك ، فجاءوا للجمالية وأكثروا التشنيع على من يريد الخروج ، وعضدهم طايفة عساكر الإنكشارية ، وعمدوا إلى خيول الأمرا فحبسوها ببيت القاضى وبقية الوكايل ، وأغلقوا باب النصر ، وبات فى تلك الليلة معظم الناس على مصاطب الحوانيت ، وبعض الأعيان فى بيوت أصحابهم بالجمالية وفى أزقة الحارات أيضاً وكل متهيئ [ص٢٠٢] للخروج [2]

وأصبح يوم السبت [3] فتهيأ كبرا العساكر والعساكر ، ومعظم أهل مصر ما عدا الضعيف الذى [4] لا قوة له على الحركة ، تهيأ كل للحرب ، وذهب معظم

١- فى النسخة (ب) "محيط بها" والحقيقة أن تبريرات الجبرتى تبدو غير مفهومة فالقاهرة كان يحيط بها سور كبير به أبواب معلومة ، أما عبارة أن "مصر لا يمكن محاصرتها " فهل كان القادة يرغبون أن يحاصر الفرنسيون القاهرة وعلى أية حال فهذه التبريرات محذوفة فى عجائب الآثار واكتفى الجبرتى بإرجاع هذه الرغبة فى الخروج إلى شدة الضرب على الجمالية ، وعدم آلات الحرب لدى المسلمين ، ووجود القلاع بيد الفرنساوية.

٢- ربما الصواب "وكل متهيئ للحرب " بدليل ما سوف نراه فى الفقرة التالية .

٣- السبت ٢٥ شوال الموافق ٢٢ مارس ١٨٠٠م .

٤- كلمة "الذى" غير موجودة فى النسخة (ب) فأثبتناها من بقية النسخ .

الأمرا المصرية ، مع نصوح باشا والأكثر من العساكر العثمانية إلى جهة الأزبكية ، لأن معظم الفرنسيس بها ، فجلس من ذكرنا في البيوت التي ليس فيها عسكر ، والبعض ورا المتاريس ، وأخذوا مدافع زيادة على الثلاثة المتقدمة وجدت في بعض بيوت مصر(١) واستمر عثمان كتخدا بوكالة زين الفقار بالجمالية ، وكان كل من قبض على نصراني أو يهودي أو فرنساوي أخذه وذهب به إلى الجمالية ، حيث عثمان كتخدا و يأخذ منه بقشيشاً ، فالبعض من المأسورين يحبس حتى يظهر أمره ، وربما قتل البعض لريبة أو شبهة ، وكذلك كل من قطع رأساً من رؤس الفرنساوية يذهب بها إما لنصوح باشا بالأزبكية ، وإما لعثمان كتخدا بالجمالية ، فيأخذ في مقابلة ذلك جملة من الدراهم والدنانير ، ثم بعد أيام أغلق باب النصر ، وباب البرقية ، وباب القرافة ، وساير الأبواب التي في أطراف البلد ، وزاد الناس في اصطناع المتاريس وفي الاحتراس وجلس عثمان بيك طبل عند متاريس المحجر ، ومحمد بيك المبدول عند الشيخ ريحان ، ومحمد كاشف أيوب وجماعة أيوب بيك الكبير والصغير عند الناصرية ، ومصطفى بيك الكبير بقناطر السباع ، وسليمان كاشف الحمودي عند سوق السلاح ، وأولاد القرافة ، والعامة وزعر الحسينية والعطوف عند باب [ص٢٠٣] النصر مع طايفة من الإنكشارية ، وباب الحديد وباب القرافة ، وألضاشات خان الخليلي والجمالية عند باب البرقية ، وبالجملة كل من كان في حارة من أطراف البلد انضم إلى العسكر الذي بجهته ، بحيث صار جميع

١- في عجائب الآثار يذكر الجبرتي أنها كانت مدفونة في بعض بيوت الأمراء ، كما يشرح لنا كيف استعملوا هذه المدافع فيقول "وأحضروا من حوانيت العطارين من المثقلات التي يزنون بها البضايع من حديد وأحجار ، استعملوها عوضاً عن الجلل للمدافع ، وساروا يضربون بها بيت ساري عسكر بالأزبكية " .

أهل مصر والعساكر كلها واقفة بأطراف البلد عند الأبواب والمتاريس والأسوار ، وبعض عساكر من العثمانية وما انضم إليهم من أهل مصر المتسلحين مكثت بالجمالية ، وإذا جاء صارخ من جهة من الجهات أمد بطايفة من هؤلاء وصار جميع أهل مصر إما بأزقة مصر ليلاً ونهاراً ، وهو من لا يمكنه القتال ، وإما بالأطراف وراء المتاريس وهو من عنده إقدام وتمكن من الحرب ولم ينم أحد ببيته سوى الضعيف والجبان والخايف. وأنشأ عثمان كتخدا الدولة معمل بارود ببيت قايد أغا بخط الخرنفش ، وأحضر القندقجية [1] والعربجية والحدادين والسباكين ، لإنشا مدافع وبنبات ، وتصليح بعض مدافع وجدت بمصر فى بيوت بعض الأمرا وعمل عجل للمدافع وجلل وغير ذلك من المهمات الحربية ، فصار هذا كله يصنع ببيت القاضى [والخان الذى بجانبه والرحبة الواسعة التى قدام باب بيت القاضى][2] من جهة المشهد الحسينى [واهتم فى ذلك اهتماماً زائداً ، وأعطى أجراً وافراً [3] وفرق فى هذا المهم أموالاً واسعة ، وترك الملاذ والرفاهية الملائمة لجنابه واجتهد فى حرب الكفار ونصرة الأبرار ، ورأت الناس منه حلماً واسعاً ، وصدراً رحباً ، ويداً بالعطا مبسوطة ، ووجهاً طلقاً يعظم الكبير والصغير ، وكل من طلب منه شيئاً أعطاه من بارود وسلاح ومال وغير ذلك ، فجزاه الله خيراً][4] وتترس حسن بيك الجداوى بناحية الرويعى ، وربما فارق المتراس فى بعض

١- فى النسخة (أ) "القندقلية " وكلاهما صواب وأيضاً "البندقلية " ومعناها صناع السلاح والبنادق .

٢- ما بين القوسين غير موجود فى النسخة (ب) وكذلك غير موجودة فى طبعة وزارة التربية والتعليم .

٣- فى النسخة (ب) "أجرة وافرة " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٤- العبارة التى بين القوسين حذفها الجبرتى من عجائب الآثار .

الليالى لوقوع زحف من العسكر الفرنساوى على بعض الجهات ، فيذهب هو ومن معـه لنصـرة [ص٢٠٤] من بتلك الجـهـة ، ورأى الناس من إقـدامـه على الحـرب وشجاعته وصبره على مجالدة العدو ليلاً ونهاراً ، ما ينبى عن فضيلة نفس ، وقوة قلب ، وسمو همة ، وقل أن وقع حدث فى جهة من الجهات إلا وهو مدير راحاتها ، ورئيس كماتها .

وحضر محمد بيك الألفى فى ثانى يوم[١] وتترس بجهة [٢] الأزبكية حيث إبراهيم بيك ونصوح باشا ، وبذل الهمة ، وظهرت منه ومن مماليكه شجاعة وإقدام،[٣] وحضر أيضاً رجل مغربى يقال أنه الذى كان يحارب الفرنسيس بجهة البحيرة سابقاً ، والتف عليه جماعة من المغاربة البلدية ، وجماعة من أهل الحرمين ، ممن كان قدم من مكة والمدينة وما والاهما ، مع الشيخ الجيلانى الذى تقدم ذكره ، وفعل ذلك الرجل المغربى أموراً تنكر عليه لكنه كان فى بعض الأوقات يجتهد فى الحرب ، إلا أنه ليس فى رتبة الجداوى ولا غيره من العساكر العثمانية ، وغالب ما وقع من النهب وقتل من لا يجوز قتله يكون صدوره عنه[٤] واتهم الشيخ البكرى

١- يوم الأحد ٢٦ شوال ١٢١٤هـ الموافق ٢٣ مارس ١٨٠٠م .

٢- فى النسخة (أ) "بجهات الأزبكية " وفى عجائب الآثار يذكر أنه " تترس بناحية السويقة التى عند درب عبد الحق وعطفة البيرق " .

٣- فى عجائب الاثار يفصل الجبرتى دور مماليك الألفى خصوصاً "إسماعيل كاشف المعروف بأبى قطية ، فإنه لم يزل يحارب ويزحف حتى ملك ناحية رصيف الخشاب وبيت مراد بيك الذى أصله بيت حسن بيك الأزبكاوى ، وبيت أحمد أغا شويكار وتترس فيهما ". عجائب الآثار جـ٣ ، ص ٩٣ - ٩٤ .

٤- يفصل الجبرتى ذلك فيقول عن ذلك المغربى "فكان يتجسس على البيوت التى بها الفرنسيس والنصارى ، فيكبس عليهم ، ومعه جمع من العوام والعسكر ، فيقتلون من يجدونه ، وينهبون الدار ، ويسحبون النساء وينهبون ما عليهن من الحلى والثياب ، ومنهم من قطع رأس البنية الصغيرة طمعاً فيما على رأسها وشعرها من الذهب وتتبع الناس حظوظ أنفسهم وحقدهم وضغائنهم " . جـ٣ ، ص ٩٤ .

بأنه يوالى (١) الفرنسيس ويرسل إليهم الأطعمة ، فهجم عليه طايفة من العسكر مع بعض أوباش العامة ، ونهبوا داره وسحبوه مع أولاده وحريمه وأحضروه إلى الجمالية ، وهو ماش على أقدامه ورأسه مكشوف ، وحصلت له إهانة بالغة ، وسمع من العامة كلاماً مؤلماً وتشمتاً ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، فلما رأى عثمان كتخدا ذلك ، هاله هذا الأمر واغتم له غماً شديداً ووعده بخير ، وطيب خاطره ،[إذ فى هذه الحالة لا يمكن تدارك ما فرط](٢) ، وأخذه أحمد بن محمود محرم التاجر مع حريمه إلى داره ، وأكرمهم وكساهم وأقاموا عنده حتى انقضت الحادثة . وباشر [ص٢٠٥] السيد أحمد المحروقى وباقى التجار ومساتير الناس الكلف والنفقات والمآكل والمشارب ، لما فى ذلك من المعونة للمجاهدين ، وكذلك جميع أهل مصر ، كل إنسان سمح بنفسه وبجميع ما يملكه عن طيب قلب وانشراح صدر (٣) وأعان الناس بعضهم بعضاً ، وفعل كل إنسان ما فى وسعه وطاقته من المعونة ، وأما الفرنسيس فإنهم تحصنوا بالقلاع المحيطة بالبلد وبيت الألفى وما والاه من البيوت الخاصة بهم ، وبيوت القبطة المجاورين لهم .

واستمر الناس بعد دخول العساكر الإسلامية مصر أياماً قليلة ، وهم يدخلون ويخرجون من المدينة والأبواب مفتحة ، وأهل الأرياف القريبة تأتى بالميرة (٤) وما يحتاجه أهل مصر ، يبيعونه ثم يذهبون إلى بلادهم ولم يعلم أحد

١- فى النسخة (ب) "يكاتب" .

٢- ما بين القوسين غير موجود فى النسخة (ب) .

٣- فى النسخة (أ) "وانشراح خاطر" .

٤- فى النسخة (ب) "الميرى" ولكن أثبتناها من بقية النسخ ، وفصلها الجبرتى فى عجائب الآثار بأنها الاحتياجات من السمن والجبن واللبن والغلة والغنم" .

من أهل مصر ولا غيرهم حقيقة حال الفرنسيس المتوجهة مع كبيرهم للحرب ، واختلفت الروايات والأخبار . وأما عرضي همايون فإنه ارتحل كما ذكر ورجع إلى جهة الصالحية ، وترك ببلبيس جملة من العسكر السلطاني ، وأما عثمان بيك حسن ، وسليم بيك أبو دياب ومن معهما فإنهما تقاتلا مع الفرنسيس ثم رجعا إلى بلبيس لقلة ما معهم من العسكر ، وقدمت الفرنسيس على بلبيس فحاصروا من بها من العسكر المتخلف ، ولم يكن العسكر المتخلف بها كثيراً ولا مستعداً بالآلات الحربية فحارب على قدر طاقته ، ثم نزل على أمان الفرنسيس فأخذ سلاحه وتركه ذهب إلى حيث شاء (١) [ثم لما لحق عثمان بيك ومن معه بالعرضي أخذوا معهم عدة من العسكر ورجعوا يريدون ملاقاة الفرنسيس فنزلوا بوهدة](٢) بالقرب من القرين على بعد من محط الفرنسيس ، وانفرد كبير الفرنسيس ، عند مقاربته القرين وصحبته نحو الأربعين من الخيالة ، [ص٢٠٦] فخرج عليهم طايفة من أهل

١- يضيف الجبرتي بعد ذلك عبارة شامته في عجائب الآثار يقول فيها "فذهبوا أشتاتاً في الأرياف ، يتكففون الناس ، ويأوون في المساجد الخربة ، ومات أكثرهم من العرى والجوع ".

٢- الفقرة التي بين القوسين توضح لنا موقفاً شجاعاً لعثمان بيك ، ولكنها لا توضح لنا كيف عاد بجنود من معسكر الوزير الذي كان يتراجع منهزماً ، وتوضيح ذلك يذكره الجبرتي في عجائب الآثار، حيث كان يستحيل طبعاً أن يذكره في مظهر التقديس لأنه موقف خاص بالوزير فيقول في عجائب الآثار "ثم لما لحق عثمان بيك ومن معه بالعرضي ناحية الصالحية تكلموا مع الوزير ، وأرجعوه بالكلام ، فاعتذرإليهم بأعذار منها عدم الاستعداد للحرب ، وتركه معظم الجبخانة والمدافع الكباربالعريش ، اتكالاً على أمرالصلح الواقع بين الفريقين ، وظنه غفلة الفرنساوية عماديره عليهم مع الإنكليز ، فقال له عثمان بيك أرسل معنا العساكر وانتظروا هنا ، فخاطب العسكر وبذل لهم الرغائب فامتنعوا ولم يمتثل منهم إلا المطيع والمتطوع ، وهم نحو الألف ، وعادوا على أثرهم ، وجمعوا منهم من كان مشتتا ومنتشراً في البلاد ، ورجعوا يريدون محاربة الفرنساوية ".عجائب الآثار -جـ٣ ص٩٤ وما بعدها .

القـرين بالنبـابيت ، لكونهم رأوه فى قلة من عـسكره وعلمـهم بعـسكر المسلمين فتضـاربوا معه ، وأصيب كبير الفرنسيس بنبوت وقع على سرج فرسه فكسره ، ووقـع ترجـمـاته إلى الأرض ، وأحس المسلمـون بذلك فـأقـبلوا عليـه وحـاربوه ، واسـتـصـرخ الفـرنسيس عـساكرهـم فلحقـوا بهم ، واسـتمـر القـتـال زمناً طويلاً بين الفريقين ، ثم انكف الفريقين وجلس كل فريق بمكان .

فلما دخل الليل واشتد الظلام أحاط العسكر الفرنساوى بعساكر المسلمين ، فـأصـبح المسلمـون وقـد رأوا إحـاطة العـسكر بهم من كل جـانب ، فـركبت الخـيـالة وتبعتهم المشاة واخترقوا تلك الدايرة بالحرب ، وسلم من سلم ، وعطب من عطب .

وأمـا مـراد بيك فإنه بمجرد ما عاين هـجوم الفرنسيس على الباشـا والأمـرا بالمطرية ، وكان هو بناحية الجبل ركب من ساعته هو ومن معه ومروا سفح الجبل ، وذهب إلى ناحية دير الطين ينتظر ما يحصل ويتجدد من الأمور وأقام مطميناً آمناً على نفسه.هذا حاصل خبر الشرقيين . ولما تحقق الباشا والأمرا الذين بمصر ذلك أخـفـوا بينهم ، وأشـاعـوا خـلافـه لئـلا تنحل عـزايم الناس عن القـتـال ، وتضـعـف نفـوسـهم عن ملاقاة العدو ، وأرسلوا جملة من المكاتبات للعرضى فى طلب النجدة والمعـونة ، وجـدوا فـيـمـا هـم فـيـه ، وتابعـوا المناداة على الناس والعـسكر باللسـان العـربى والتركى ، بالجـد فى الجـهـاد ، والتـحـريض على الصـبـر ومـلاقـاة العـدو ، ورجع طايفة من عسكر الفرنسيس من عرضى كبيرهـم نجدة للعسكر الذى بمصر ، فـتـقـوّت بهم نفـوس أصـحـابهم ، ووقفت منهم طايفـة خـارج باب النصـر [ص٢٠٧] والحـسـينيـة ، ونهـبـوا زاوية الشـيخ الدمـرطـاش وحـواليـهـا ، كـقـبـة الغـورى والمنيل ، وحـضـر جمـاعـة من عسكر الأرنـاؤط نحـو الثـلاثمـاية (١) كـانـوا ببـعـض القـرى لجلب

١- يذكر الجبرتى فى عجائب الآثار أنهم نحو الخمسمائة .

الذخيرة والكلف ، فعارضهم عسكر الفرنسيس الواقف على التلول الخارجة ، ووقعت محاربة يسيرة ، ودخلت الأرناؤط مصر على حمية ، ففرح الناس لقدومهم ، وضجت العامة لحضورهم ، وسئلوا فأخبروا أنهم حاضرون مدداً ، وسيأتى جماعة بعدهم .

وأما بولاق ، فإنها قامت على ساق وتهور فى ذلك ، وتشدد الحاج مصطفى البشتيلى وهيج العامة ، فأخذوا الأسلحة والعصى والنبابيت ، وذهبوا إلى وطاق الفرنسيس الذى تركوه بساحل البحر ، وعنده جماعة منهم للحرس ، فقتل من أدركه أهل بولاق منهم ، وفرّ من فر ، ونهبوا ما فيه من الخيام والمتاع وغيره ، وزحفوا إلى البلد ، وفتحوا مخازن الغلال والودايع التى للفرنسيس ، وأخذوا ما أحبوا منها ، وعملوا كرانك حوالى البلد ومتاريس ، واستعدوا للحرب والجهاد ، واستطالوا على من كان ساكناً ببولاق من نصارى القبط والشوام ، فأوقعوا بهم بعض نهب وربما قتل منهم أشخاص (١)

١- يبدو أن أهل بولاق أصلوا الفرنسيين ناراً حامية لذلك عاملهم كليبر بشدة تبلغ درجة الهمجية وتفصيل ذلك " أنذر القائد العام للمرة الثالثة سكان بولاق وناشدهم تقديم فروض الطاعة ووعدهم بنسيان الماضى إلى غير رجعة ، وبحماية فعالة في مقابل طاعتهم . فأجابوا بأنهم مصممون على أن يحذو حذو القاهرة وبأنهم سيدافعون عن أنفسهم حتى أخر رمق إذا هوجموا ولما استنفذت جميع أساليب التوفيق تلقى الجنرال "فريان " أمراً بالهجوم فى اليوم التالى على رأس جزء من رجال فرقته والاستيلاء على هذه المدينة بالقوة إذا لم يذعن سكانها عند رؤية الجنود . وقد نفذ هذا الأمر يوم ٢٥ وقصفت المدينة قنابل المدافع ، ووقع اشتباك من أعنف الاشتباكات واشتعلت النيران في أجزاء من أجمل مبانيها وسالت الدماء من كل جانب وسط هذا الأتون من النار عرض عليهم أيضاً السلام والتفاهم فرفضوا كل العروض واشتد القتال بأعنف مما كان ، وانتشرت الحرائق فى كل مكان . واستمرت عمليات السلب والنهب بضع ساعات ولم تنته إلا عندما جاء أعيان المدينة ولكن بعد فوات الأوان وهم يطلبون باسم الشعب رحمة المنتصر الكريم" . كورييه دى ليجيبت – العدد ٦٥ ص ٢٤٨ .

شهر ذى القعدة ١٢١٤هـ (١)

وأما كبير الفرنسيس ، فإنه لما تحقق عود العرضى ، وبلغته الأخبار عما حصل بمصر من دخول نصوح باشا والأمرا إليهما ، وقيام الرعية ، كرّ راجعاً حتى وصل إلى داره بالأزبكية ، وأحاطت عساكره بجميع مصر وبولاق ، ومنعوا الداخل من الدخول والخارج من الخروج ، وذلك بعد ثمانية أيام من ابتدا الحركة .

وقطعوا الجالب عن البلدين ، وأحاطوا بهما إحاطة السوار بالمعصم فكانت النصارى من القبطة والشوام يهربون بحريمهم وأولادهم ، ويتسلقون من الحيطان والأسوار ، أما إلى الجيزة [ص٢٠٨] أو مصر العتيقة أو للعرضى الفرنساوى . وعند ذلك اشتد الحرب ، وعظم الكرب ، وأكثروا من الرمى المتتابع ، بالبنادق والمدافع ، وواصلوا وقع النيران والبنبات ، من أعالى التلول والقلعات (٢) خصوصاً البنبات الكبار ، على الدوام والاستمرار ، آناءالليل وأطراف النهار ، فى الغدو والبكور والأسحار ، وعدمت الأقوات ، وغلت أسعار المبيعات ، وعزت المأكولات ، وفقدت الحبوب والغلات (٣) وارتفع وجود الخبز في الأسواق ، وامتنع الطوافون به على الأطباق ، وصارت العساكر يخطفون ما يجدونه بأيدى الناس من المآكل والمشارب ، وغلا سعر الماء المأخوذ من الأسبلة أو الآبار ، وأما البحر فلا يكاد يصل إليه أحد ، وتكفل التجار ومساتير الناس والأعيان بكلف العساكر المقيمة

١- فى غمرة الأحداث نسى الجبرتى أن يعلن عن استهلال شهر ذى القعدة وقد فضلنا وضع هذا العنوان فى هذا المكان لأن ما يلى من الأحداث وقع فى شهر ذى القعدة الذى استهل بيوم الخميس ٢٧ مارس١٨٠٠م .

٢- فى النسخة (ب) "القلاع " وما أثبتناه من النسخة (أ) هو الأصوب لأنه يوافق قافية السجع وموسيقى كلمة "البنبات .

٣- فى النسخة (ب) "الغلال " وما أثبتناه من بقية النسخ أوفق للسجع الذى يسير عليه المؤلف.

بالمتاريس المجاورة لهم . وأما أكابر القبط ، مثل جرجس الجوهرى وفلتيوس وملطى ، فإنهم طلبوا الأمان من المسلمين ، لكونهم انحصروا بدورهم وهم بوسطهم ، فأرسلوا لهم الأمان ، وحضروا فقابلوا الباشا والكتخدا ، وأما يعقوب اللعين[١] فإنه كرنك فى داره بالدرب الواسع جهة الرويعى ، واستعد استعداداً كبيراً بالسلاح والعسكر المحاربين ، فكان معظم حرب الجداوى معه . هذا والمناداة فى كل وقت ، بالعربى والتركى على الناس بالجهاد والمحافظة على المتاريس ، ونقل عن مصطفى أغا مستحفظان بأن عنده فى داره جماعة من الفرنسيس [فهجمت العساكر على داره بضرب الحجر ، فوجدوا الفرنسيس][٢] فقتلوا بعضهم وهرب الباقون على حمية ، فقبضوا على ذلك الأغا الخبيث ، وأحضروه بين يدى عثمان أغا كتخدا الدولة ، ثم تسلمه الانكشارية ، وخنقوه ليلاً بالوكالة التى عند باب النصر ، [ص٢٠٩] ورموا جيفته خارج باب النصر ، وولوا مكانه شاهين كاشف الساكن بالخرنفش ، فاجتهد واهتم وشدد على الناس ، وكرر المناداة ، ومنعهم من بيتهم بدورهم ، ومن وجده داخل داره شتمه وضربه ، فكان الناس يبيتون بالأزقة والأسواق حتى الأمرا والأعيان ، وهلكت البهايم من الجوع لعدم وجود العلف من التبن والفول والشعير والدريس ، بحيث صار ينادى على الحمار أو البغل المعدد الذى قيمته ثلاثون ريال وأكثر ، بماية نصف فضة ، ولا يوجد له مشترى .

١- بالرغم مما وصف به الجبرتى "الجنرال يعقوب " واتهامه بالخيانه وغيرها فإننا نلاحظ أن د/ لويس عوض قد حاول التحايل على هذه النصوص ولى عنقها حتى يستطيع أن يثبت أن يعقوب كان بطلاً قومياً ، وهو جزء من المشروع التغريبى الذى عاش له د/ لويس عوض ، وبدأه من الحملة الفرنسية التى كان يرى فيها بداية التحديث فى مصر، وكذلك اعتبار يعقوب أول من طالب "بالقومية المصرية "وغيرها من الإسقاطات التى تخرج عن الحيز العلمى إلى حيز الانحياز العاطفى .

٢- الفقرة التى بين القوسين غير موجودة فى النسخة (أ) فأثبتناها من ببقية النسخ .

وفى كل يوم يتضاعف الحال ، وتعظم الأهوال ، وزحف المسلمون على جهة رصيف الخشاب ، وترامى الفريقان بالمدافع والنيران ، حتى احترق ما بينهم من الدور ، وهدمت تلك المبانى والقصور ، التى كانت مطلة على البركة ، واحترقت جميع البيوت من عند باب المفارق بقرب جامع عثمان كتخدا ، إلى رصيف الخشاب، إلى خطة الساكت ، إلى حد بيت كبير الفرنسيس ، وصارت كلها خرايب ، وكذلك خطة الرويعى بالسيباطين الكبار ، وما فى ضمن ذلك من البيوت ، إلى حد حارة النصارى ،[1] وصارت كلها تلالاً وخرايب ، كأنها لم تكن مغنى صبابات ، ولا معاهد أنس ولذات ، وفيها يقول صديقنا العلامة المنوه بذكره ، ونظمه ونثره :" وكنت كثيراً ما أجول بالزوارق فيها ، وأسرح طرفى فى محاسن مبانيها وبنيها ، فأرى ما يدخل على النفس السرور ، ويذهل العقل حتى كأنه من النشوة مخمور ، وطالما مضت لى بها أيام وليالى ، هن فى عقد الدهر من يتيم اللآلى ، وأنا أنظر إلى انطباع صورة البدر فى وجناتها ، وفيضان لجين[2] نوره على حافاتها وساحاتها ، والنسيم [ص٢١٠] بأذيال أمواهها لعاب ، وقد سل على الجسور من اضطراب الأمواج ، قرضاب ، وقام على منابر أدواحها من الحمايم كل خطيب فصيح ، عند معترك الندامى على إراقة دم العنقود ليصطلحوا على الوجه المليح .

وقال شعراً .

بالأزبكية طابت لى مسرات ولذ لى من بديع الأنس أوقات

١- حارة النصارى : توجد بشارع قنطرة سنقر الذى أوله من باب قنطرة سنقر تجاه رأس حارة الحبانية وأخره رأس شارع درب الحجر وبهذا الشارع من جهة اليسار حارة النصارى التى سكنها الكثير من الأقباط النصارى وخاصة فى العصر العثمانى ، ويتوصل من حارة النصارى لشارع سويقة اللالا وغيره .على مبارك : مرجع سابق جـ٣ ، ص ٩٣ .

٢-اللجين : هى الفضة .

حيث المياة بها والفلك سابحة	كأنها الزهر تحويها السموات
وقد أدار بها دور مشيدة	كواتها [1] البدور الحسن هالات
مدت عليها الراوبى خضر سندسها	وغردت فى نواحيها حمامات
والماء حين سرى رطب النسيم به	وحل فيه من الأدواح زهرات
كسابغات دروع فوقها نقط	من فضة واحمرار الورد طعنات
مراتع لظبا الترك ساحتها	وللأسود بها فيهن غيضات
وللنديم بها عيش تجدده	أيدى الزمان ولا تخشى جنايات
يروح منها صريع العقل حين رأى	على محاسنها دار الزجاجات
وللرفاق بها جمع ومفترق	لما غدت وهى للندمان حانات

قلت[2] قد جنت عليها أيدى الزمان وطوارق الحدثان ، حتى تبدلت محاسنها ، وأقفرت مساكنها ، وهكذا عقبى سوء ما عملوا ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا .

وأرسلوا إلى مراد بيك[3] بالحضور أو يرسل الأمرا والأجناد الذين بصحبته، ليساعدوا إخوانهم ، فلم يجب إلى ذلك ، وأعتذر أنه محافظ على الجهة

١- الكوات جمع كوة وهى الطاقة أو النافذة الصغيرة الدائرية .

٢- الكلام هنا للجبرتى .

٣- بعد أن عقد مراد اتفاقيته مع الفرنسيين كان يستشار فى الأسلوب الناجح لإخماد ثورة القاهرة ، وقد بذل جهده لتخريبها من الداخل ، عن طريق الاتصال ببعض العناصر ، ومحاولة إقناعهم بالتسليم أوالانسحاب فلما أعيته الحيل اقترح مراد على "كليبر " ولى نعمته الجديد ، إضرام النار فى القاهرة لإخماد الثورة ويذكر ريبو أنه أرسل فعلاً إلى "كليبر " عدة مراكب محملة بمواد ملتهبة لإحراق العاصمة . ولكن الفرنسيين "ابقوا عليها حتى يحصلوا منها على الغرامة الحربية "

راجع . محمد جلال كشك : مرجع سابق ، ص ٢٩٥ وما بعدها .

التي هو فيها ، وأنه أرسل هجاناً إلى جهة الشرق من مدة عشرة أيام يستكشف خبر عرضي همايون ، ومنتظر عوده ، وأظهر هذا الجواب مع البرديسي وصحبته عثمان بيك الأشقر ، ثم رجع الأشقر ولا يعلم ما دار بينهما .

واستمر الحال على ما هو عليه في اشتعال نيران الحرب وشدة البلا والكرب، [ص٢١١] ووقوع البنب على الدور والمساكن من القلاع ، والهدم والحرق وصراخ النسا من البيوت ، والصغار من الخوف والجزع والهلع ، مع القحط وفقد المآكل والمشارب ، وغلق الحوانيت والطوابين والمخابز ، ووقوف حال الناس من البيع والشرا ، وتفليس الناس ، وعدم ما ينفقونه ، إن وجدوا شيئاً ، واستمرار ضرب المدافع والقنابر والبنادق والنيران ليلاً ونهاراً ، حتى كان الناس لا يهنأ لهم نوم ولا راحة ولا جلوس لحظة لطيفة من الزمن ، يجد فيه الشخص راحة ، ومقامهم دايماً بالأزقة والأسواق ، وكأنما على رؤس الجميع الطير ، وأما النسا والصبيان ، فمقامهم بأسفل الحواصل والعقودات تحت طباق الأبنية ، وصار مؤونة غالب الناس الأرز ، ويطحنون الرز بالعسل وباللبن ، ويبيعون ذلك في طشوت وأواني بالأسواق . وطلب الكتخدا دراهم سلفة ، دفع منها الشيخ السادات عشرة أكياس ، ودفع الشيخ مصطفى الصاوي جملة ، ووزع على بعض الناس باقي المبلغ المطلوب .

وفي كل ساعة تهجم الفرنساوية على جهة من الجهات ويحاربون من بها من المقاتلين ، ويملكون منهم بعض المتاريس ، فتصيح المناداة ، وتتسامع الناس ، ويصرخون على بعضهم البعض ، ويقولون عليكم بالجهة الفلانية ، إلحقوا إخوانكم ، فينفرون إلى تلك الجهة والمتراس ، حتى تنكشف عنه الفرنساوية ، وينتقلون إلى غيرها ، فيفعلون كذلك ، هذا والأغا والوالي يكررون المناداة ، وكذلك بعض أولاد

العلما كسيدى محمد نجل الشيخ الجوهرى ، وسيدى محمد نجل الشيخ الأمير ، والسيد عمر نقيب الأشراف ، وبعض شوربجية [ص٢١٢] الإنكشارية أيضاً ، ينادون بالتركى ، كل هؤلاء يمرون بجهات المدينة ، ليلاً ونهاراً ويحرضون الناس على الجهاد ، وجرى على الناس مالا يسطر فى كتاب ، ولم يكن لأحد فى حساب ، ولا يمكن الوقوف على كلياته ، فضلاً عن جزئياته ، منها عدم النوم ليلاً ونهاراً ، وعدم الطمأنينة ، وغلو الأقوات ، وفقد الكثير منها ، خصوصاً الأدهان ، وتوقع الهلاك كل لحظة ، والتكليف بما لا يطاق ، ومغالبة الجهلا على العقلا ، وتطاول السفها على الرؤسا ، ولغط الحرافيش وتهور العامة وغير ذلك مما لا يمكن حصره

ولم يزل الحال على هذا المنوال ، إلى نحو عشرة أيام [١] وكل هذا والرسل من قبل كبير الفرنسيس ، وهم عثمان بيك البرديسى تارة ، ومصطفى كاشف رستم تارة أخرى ، الاثنان من أتباع مراد بيك ، يترددون فى شأن الصلح وخروج العساكر العثمانية من مصر ، والتهديد بحرقها وهدمها ، إذا لم يتم هذا الغرض ، ثم نصب الفرنج فى وسط البركة فسطاطاً لطيفاً ، وأقاموا عليه علماً ، وأبطلوا الحرب تلك الليلة ، وأرسلوا رسولاً من قبلهم إلى الباشا والكتخدا والأمرا ، يطلبون المشايخ الذين كانوا مرتبين بالديوان ، يتكلمون معهم فى شأن هذا الأمر ، فأرسلوا الشيخ الشرقاوى ، والشيخ محمد المهدى ، والشيخ سليمان الفيومى ، والشيخ موسى السرسى ، فوصلوا إلى داماس من صوارى عساكر الفرنسيس ، وكان بالخيمة المنصوبة ، فجلسوا وخاطبهم على لسان الترجمان بما حاصله ، أن

١- أى تقريباً يوم السبت ٣ ذى القعدة ١٢١٤هـ الموافق ٢٩ مارس ١٨٠٠ وذلك إذا كان المقصود عشرة أيام من تاريخ بدء الثورة أما إذا كان المقصود عشرة أيام من تاريخ بدء حصار القاهرة ، وهو الأرجح فإن التاريخ المقصود يكون تقريباً هو يوم الأحد ١١ من ذى القعدة ١٢١٤هـ الموافق ٦ أبريل ١٨٠٠م .

كبير الفرنسيس قد أمن أهل مصر أماناً شافياً ، وأن الباشا والكتخدا ومن معهما من الأمرا المصرية يتوجهون بعساكرهم إلى عرضى حضرة الوزير ، وعلى الفرنساوية القيام بما [ص٢١٣] يحتاجون إليه من الذخيرة والمؤونة ، ومن أراد المقام بمصر من المماليك والأجناد الداخلة معهم ، فليقم ، ومن أراد الخروج فليخرج ، والجرحى من العثمانية يجردون من سلاحهم ويتخلفون وتعالجهم أطباء الفرنساوية حتى يشفوا ، ومن أقام منهم بعد البرء فليقم ، وإن شاء فليلحق بهم ، وعلى مصر الأمان ، فإنهم رعيتهم ، وأمثال ذلك من الكلام والشروط التى عددوها

فلما كان من الغد (١) وشاع أمر الصلح ، ورجع المشايخ بهذا الكلام ، وسمعه الناس ، قاموا عليهم وشتموهم وسبوهم ، وأسمعوهم قبيح الكلام ، وصاروا يقولون :"هؤلاء المشايخ ارتدوا وعملوا فرنسيس ، ومرادهم خذلان المسلمين ، وأنهم أخذوا دارهم من الفرنسيس " ، وأكثر السفلة والغوغا(٢) من أمثال هذا الفضول ، وتشدد فى ذلك الرجل المغربى الملتف عليه أخلاط العالم ، ونادى من عند نفسه ، بأن الصلح منقوض ، ووافق ذلك أغراض العامة ، لعدم إدراكهم لعواقب الأمور ، فالتفوا عليه وتعضد كل بالآخر ، لأن غرضه هو فى دوام

١- أى يوم ١٢ من ذى القعدة تقريباً ويوافق يوم الاثنين ٧ أبريل ١٨٠٠م .

٢- مرة أخرى يحتد الجبرتى وتشتد كلماته على العامة وتعنف ، والعامة هم وقود الثورة ودعائمها ، وهم قد تم شحنهم ضد الفرنسيين ورفعت روحهم المعنوية وبذلوا النفس والنفيس من أجل إنجاح ثورتهم وهم قد فسروا طلب الفرنسيين للمصالحة على أنه ضعف منهم ، كما كان الجميع يعتقدون بأن هناك قوات نجدة ستأتى للقاهرة ، كل هذا ويقوم العلماء بالتوسط فى الصلح لا شك أن ذلك العمل قد أثار العامة جداً وجعلهم يوجهون للعلماء أقذع الكلام ، أما العلماء فهم أيضاً قد تبين لهم الفارق فى التسليح بين الفرنسيين وبين قوات الثورة ، وأن الدائرة سوف تدور على الثائرين ، وأن المسألة مسألة وقت ليس إلا
- راجع د/ جاد طه : موقف الجبرتى من ثورات القاهرة ، ضمن الجبرتى دراسات وبحوث، ص ٣٣٨ .

الفتنة ، فإن بها يتوصل لما يريده من النهب والسلب ، والتصور بصورة الإمارة ، باجتماع الأوزاع عليه ، وتكفل الناس له بالمأكل والمشرب ، هو ومن انضم إليه ، واشتطاطة فى المأكل ، مع فقد الناس لأدون ما يوكل ، حتى إنه كان إذا نزل جهة من جهات المدينة لإظهار أنه يريد المعونة والحرس ، فيقدمون له بالطعام ، فيقول : "لا آكل إلا الفراخ" ويظهر أنه صايم ، فيكلف أهل تلك الجهة أنواع المشقات والتكلفات ، بتعنته فى هذه الشدة ، بطلب أفخر المأكولات وما هو مفقود ، ثم هو مع ذلك لا يغنى شيئاً ، بل إذا دهم العدو تلك الجهة التى هو فيها ، فارقها وانتقل لغيرها [ص٢١٤] وهكذا كان ديدنه وسبحه ، ثم هو ليس ممن له فى مصر مما يخاف عليه من مسكن أو أهل أو مال أو غير ذلك ، بل كما قيل :"لا ناقتى فيها ولا جملى" ، فإذا قدر والعياذ بالله أن العدو دخل البلد عنوه ، تخلص مع حزبه من بعض الجهات والتحق بالريف ، وتخلص ، وحينئذ يكون كآحاد الناس ، ويرجع لحالته الأولى ، وتبطل الهيئة الاجتماعية التى جعلها لجلب الدنيا فخاً منصوباً ، وتحرق بها على سخاف العقول وأخفا الأحلام ، وهكذا حال الفتن تكثر فيها الدجاجله ، ولو أن نيته ممحضة لخصوص الجهاد لكانت شواهد علانيته أظهر من نار على علم ، أو اقتحم – كغيره ممن شاهدناه من المخلصين فى الجهاد وفى بيع نفوسهم فى مرضاة رب العباد – لظا[1] الهيجا[2] ولم يتعنت على الفقرا ، ولم يجعل همته فى السلب مصروفه ، وحاله وسلوكه عند الناس ليست معروفة .

شعر

ومهما تكن عند أمرئ من خليقة — وإن خالها تخفى على الناس تعلم[3]

١- لظا : اللظى النار و (لظى) أيضاً اسم من أسماء النار معرفة لا ينصرف (والتظاء) النار التهابها . (مختار الصحاح).

٢- الهيجاء : الحرب تمتد وتقصر . (المعجم الوجيز) .

٣- هذا البيت من معلقة زهير بن أبى سلمى .

وبالجملة فكان هذا الرجل سبباً فى تهدم أغلب منازل الأزبكية ، ومن جملة ما رميت به مصر من البلا ، وكان مما نادى به حين أشيع أمر الصلح وتكلم به الأشياخ :"الصلح منقوص وعليكم بالجهاد ، ومن تأخر ضرب عنقه ". [وهذا منه افتيات فى حق السلطنة ، وفضول ودخول فيما لا يعنى ، حيث كان فى البلد مثل نصوح باشا ، ومثل الهمام الأعظم والرئيس الأفخم عثمان كتخدا ، وغير هذين من الأمرا المصرية][1] فما قدر هذا الأهوج ، حتى ينقض صلحاً أو يبرمه ؟ وأى شئ يكون هولينادى أو يترأس بدون أن ينصبه أحد لذلك ؟ لكنها الفتن يستنسر فيها البغاث [2] [ص٢١٥] سيما عند هياج العامة ، وثوران الرعاع والغوغا إذا كان ذلك مما يوافق أغراضهم .

شعر

وذنب جره سفهاء قوم ۝ وحل بغير جانيه العذاب

على أن المشايخ لم يأمروا بشئ ، ولم يذكروا صلحاً ولا غيره ، إنما بلغوا صورة المجلس الذى طلبوا لأجله لحضرة الكتخدا ، فبمجرد ذلك قامت العامة هذا المقام ، وفعلوا مع المشايخ ما فعلوا ، وصاروا يقولون :"لولا أن الملاعين تبين لهم العجز والغلبة ، ما طلبوا المصالحة " . وأخذوا فى ضرب البنادق والشوران فى الأزقة والضجيج ، فأرسل الفرنسيس رسلاً يسألون عن رد الجواب الذى توجه به المشايخ ، فأرسل الباشا والكتخدا يقولان لهم أن العساكر لم يرضوا بذلك ، وليس فى قدرتنا قهرهم على الصلح ، فأرسل الفرنساوية جواب ذلك فى ورقة ، ويقولون فى ضمنها :"وقد عجبنا من قولكم أن العساكر لم يرضوا بالصلح ، وكيف يكون الأمير

١- من البديهى أن يعدل الجبرتى هذه العبارة فى عجائب الآثار فيقول "وهذا منه افتيات وفضول ودخول فيما لا يعنى حيث كان فى البلد مثل الباشا والكتخدا والأمرا المصرية ".

٢- أصل ذلك هو المثل العربى القديم "إن البغاث بأرضنا يستنسر " والبغاث طائر ضعيف ويستنسر أى يقوى ويصبح نسراً .

أميراً على جيش لا ينفذ أمره فيهم " ونحو ذلك ، وأرسلوا أيضاً "راشتوا " إلى أهل بولاق بمثل ذلك ، فلم يرضوا ، فكرروا عليهم ذلك أربع مرار ، وفى الخامسة أرسلوا رجلاً من كبار الفرنساوية خيالاً ، وبيده ورقة ، وهو يقول :"أمان أمان ، سوا سوا "، فأنزلوه من على فرسه وقتلوه . واستمروا على كرنكتهم وتترسهم وتصميمهم على الحرب ، وحضر الألفى إلى عثمان كتخدا برأى ابتكره ، وهو أن يرفعوا على هلالات المنارات أعلاماً ، ويسرجون فى المنارات قناديل ، ليرى ذلك العسكر القادم ، فيعلمون بذلك أن البلد بيد المسلمين ، وكذلك صنع أهل بولاق .

واستمر الحرب بين الفريقين إلى يوم الخميس ثانى عشرينه ، الموافق لعاشر برمودة القبطى ، وسادس نيسان الرومى [1] [ص٢١٦] فاتفق أنه وقع غيم ورعد ومطر ، واشتد ذلك بعد المغرب ، وتوحلت السكك وحلاً كثيراً ، وسالت المياة فى الجهات ، واشتغل الناس بتجفيف الأرض وكسح الوحل والمياة ، فهجمت الفرنسيس بعد المغرب على أطراف البلد ، وجاء المعظم منهم جهة باب النصر والعطوف والحسينية ، والوقت إذ ذاك مظلم والغيم مطبق ، والمطر متكاثر ، فهرعت الناس المقاتلة لتلك الجهات ، ولبخت الأمرا والعساكر بسراويلهم ومراكيبهم فى الطين والوحل ، وانزعج الناس من هذه الكبسة مالم ينزعجوا فى غيرها ، وقد أعد الفرنسيس للحريق فتايل مغموسة بالزيت والقطران [وكعكات غليظة ملونة على أعناقهم معمولة بالنفط] [2] والأرواح المصنوعة المقطرة ، التى تشتعل ويقوى لهبها بالماء ، وأوصلوا الضرب بالبنادق والبنبات ، وبذل المسلمون فى هذه الليلة جهدهم وطاقتهم ، وقاتلوا بشدة همة ، وقوة عزيمة ، وتحول الأغا وأكثر المقاتلة

١- الصواب أن يوم الخميس ٢٢ ذى القعدة الموافق ١٠ برمودة ١٥١٦ قبطية يوافق ١٧ أبريل / نيسان ١٨٠٠م وليس ٦ نيسان كما ذكر الجبرتى .

٢- ما بين القوسين ناقص من النسخة (أ) .

إلى الجـهـة التى زحف مـعظمـهم عليـهـا ، وهاجت العـامـة ، وصـرخت النسـا والصبيان، ولاقى الناس فى تلك الليلة شدة عظيمة .

وأما بولاق ، فإنهم كبسوا عليها فى وقت الفجر [1] من ناحية البحر ، ومن ناحـيـة بوابة أبى العـلا بالمدافع وآلات الحـريق ، وحـصـروا أهل البلد ، وأشـعلوا الحـريق فى مـعظم الجـهـات العـامـرة ، ووالوا ضـرب المدافع المنجـرة مـعـهـم فى طوابيرهـم ، وتحصن جمع من المسلمين وتترسوا بجامع أبى العلا [2] وقـاتلوا من داخله ، وعلى منارته ، حـتى قـتلوا عن آخـرهم . وغـاية الأمـر ملكوا بولاق ، وفـعلوا بأهلـهـا مـا تشـيب من سـمـاعـه النواصى ، وصـارت القـتلى مطروحـة فـى الطرقـات والأزقـة ، واحـترقت الأبنيـة والدور ، خـصـوصـاً البيـوت المطلة على النيل والربا ع ، وكـذلك الأطارف [ص٢١٧] وهرب كـثـيـر من الناس عندمـا أيقنوا بالغلبـة ، فنجـوا بأنفسـهم ، ثم بعد أن ملكوا البلد ؛ أحاطوا بها ومنعوا من يخرج عنها ، واستولوا على الخـانات والوكـايل ، ومـا بـهـا من الحـواصل والطبـاق ، وأخـذوا جـمـيع مـا فـيـهـا من الودايع التى للناس والمتـاجـر ، وأخـذوا مـا فـى البـيـوت والحـوانيت ، وأخـذوا بعض نسـا مـأسـورات[3] واستولوا على جمـيع مـا فى البلد من غـلال وسكر وكتان

١- فجر يوم الجمعة ٢٣ ذو القعدة ١٢١٤هـ الموافق ١٨ أبريل ١٨٠٠م .

٢- جامع أبى العلا : يوجد ببولاق عند منتهى الجسر الموصل من جنينة الأزبكية إلى بولاق ، وهو جامع عامر مقام الشعائر إلى الآن له ثلاثة أبواب ويشتمل على إيوانين وثمانية أعمدة من الرخام وبداخله ضريح أبى العلا الحسينى وعليه قبة كبيرة ومقصورة من الخشب ويذكر على مبارك أن أبو العلا الحسينى تحريف وهو الحسين أبو على وترجم له الشعرانى فى طبقاته . على مبارك : مرجع سابق ، جـ٤ ، ص ١٠٨ .

٣- يتخذ د/ لويس عوض من أسر نساء بولاق مرحلة من مراحل تحرر المرأة المصرية . وهو قلب لحقائق التاريخ وتوظيفه لخدمة توجه أيدلوجى عن طريق لى عنق النص التاريخى وقراءته بطريقة خاطئة بعيدة تماماً عن المنهج العلمى .

وقطن وأبازير وأرز وأدهان ، وأصناف عطرية ، وما لا تسعه السطور ، وما لا يحيط به كتاب ولا منشور . والذى وجدوه منكفاً فى داره ولم يقاتل ، ولم يجدوا عنده سلاحاً ، نهبوا متاعه ، وعروه من ثيابه ، ومضوا وتركوه حياً .

وأصبح من بقى من ضعفا أهل بولاق وأعيانها الذين لم يقاتلوا فقرا لا يملكون ما يسترعوارتهم ، وذلك يوم الجمعة ثالث عشرينه [1] واختفى الحاج مصطفى البشتيلى [فدلوا عليه ، وكذلك باقى رؤسا أهل بولاق ، فحبسوا البشتيلى] [2] بالتكية ، وباقيهم عند الفرنسيس ببيت الألفى ، وضيقوا عليهم حتى منعوهم البول .

وفى اليوم الثالث [3] أطلقوهم ، وسلموهم البشتيلى ، وأمروا عصبة بقتله ، فطافوا به بولاق ، ثم قتلوه بالنبابيت ، ورتبوا من أهل بولاق تسعة أشخاص ممن بقى من أعيانها فى ديوان ،ألزموهم بقبض ماية ألف ريال فرانسة من أهل بولاق بعد الذى وقع لهم . وأما المدينة فلم يزل الحال بها على النسق المتقدم ذكره من الحرب والكرب ، والحرق والنهب والسلب ، إلى سادس عشرينه [4] حتى ضاق خناق الناس من استمرار الانزعاج والحريق والسهر وعدم الراحة لحظة من ليل أو نهار ، مع ما هم فيه من عدم القوت ، حتى هلكت الناس ، وخصوصاً الفقرا والدواب ، وإيذاء العسكر للرعية ، وأخذهم [ص ٢١٨] ما يجدونه معهم ، والحال كل وقت فى ازدياد ، وأمر المسلمين فى ضعف ، لعدم الميرة والمدد ، والأعدا كل يوم يزحفون إلى قدام ، والمسلمون يتأخرون إلى وراء ، فدخل الفرنسيس من باب

١- هو يوم الجمعة ٢٣ ذو القعدة ١٢١٤هـ الموافق ١٨ أبريل ١٨٠٠م .

٢- ما بين القوسين ناقص من النسخة (أ) .

٣- يوم الاثنين ٢٦ ذو القعدة ١٢١٤هـ الموافق ٢١ أبريل ١٨٠٠م .

٤- أى فى يوم الاثنين المذكورسابقاً .

الحـديد ، وناحـيـة كـوم الريش وقنطرة الحـاجب ، وتلك النواحي ، وهم يحـرقـون بالفـتـايل والنيـران على الشـرح المتـقـدم ويملكون المتـاريس ، إلى أن تجـاوزا باب العدوى ، ومن ناحية باب الحديد ، وخطة المقس ، إلى قرب باب الشعرية ، وكـان شـاهين أغـا مـتـترسـاً بكوم الريش فـأصـابتـه جـراحـة ، فـقـام من مكانه ، ورجع القهقرى ، فعند قيامه من متاريسه ، ورجوعه إلى خلف ، وقعت الهزيمة ، وداس النـاس بعـضـهم البـعض . هذا والبـرديسي والأشـقـر ومـصطفى كـاشف رسـتم ، يسـعـون في الصلح ، إلى أن تممـوه على الموادعـة وترك القـتـال ، وأن الفـرنسـيس يمهلون العسـاكر والأمرا ثلاثة أيام ، حتى يقضوا أشـغـالهم ويذهبـوا حيث أتوا ، وجـعلوا مـجـرى الخليج حـداً بين الفـريقين ، لا يتـعـدى أحـد من الفـريقين بين ذلك الحد، ويطل الحـرب وخـمـدت النار (١) وأخـذ العـسكر والأمـرا في أهبـة الرحـيل ،

١- أصدر كليبر البيان التالي للجنود الفرنسيين .من كليبر القائد العام إلى الجيش أيها الجنود :رغبة في حقن الدماء ، تابعت المفاوضات ، وفي نفس الوقت كانت العمليات الحربية تأخذ مجراها الطبيعي في ضرب العدو ، إن العقبة الكبرى التي صادفتني خلال المفاوضات هي محاولة إقناع السكان وإشاعة الطمأنينة في نفوسهم ضد عمليات السلب والتخريب ، إن ما رأوه مثلاً في بولاق ، حيث سمحت لكم بأن تشفوا غليلكم بانتقامكم العادل ، كان له وقع رهيب في نفوسهم ، وقد توصلت إلى تبديد مخاوفهم ووعدتهم بمنحهم الأمان والحماية لأشخاصهم وممتلكاتهم . وعند ذلك كفوا عن خلق العراقيل لمنع انسحاب الجنود العثمانيين
أيها الجنود ،-عندما يقطع قائدكم على نفسه تعهدات باسم الجيش ، فإن عليكم أنتم القيام بتنفيذها .
وإني أعتمد في هذا الشأن على طاعتكم وعلى إحساسكم الذاتي بمصلحتكم الخاصة . فأي تجاوز من قبلكم ، يمكن أن يجعل من اتفاقنا المبرم بشأن الاستسلام وهما يذهب مع إدراج الرياح .إذن عليكم بالامتناع عن إحداث أي شغب ، بل عليكم أن تمنعوه أيضاً على يد هؤلاء الذين يختفون عندما تحيق بكم المخاطر ، ولا يظهرون من مخابئهم إلا بعد زوال الخطر ، للعبث والاستزادة من العار . إني أحرم عليكم أي نوع من أنواع السلب وأحيلكم في هذا الشأن إلى الأمر اليومي الذي أصدرته في ٢٧ جرمينال الماضي .كليبر . كورييه دي ليجييت ، العدد ٦٦ ، ص ٢٥١ .

وقضا أشغالهم . وكان مما شرط فى الصلح ، تزويد الفرنساوية لهم ، وأعطاهم جمالاً وغير ذلك . فوفى كبير الفرنساوية بذلك ، وكتبوا بعقد الصلح ورقة شرطوا فيها أنهم يتركون عند الفرنسيس البرديسي والأشقر ، ويرسلون ثلاثة أشخاص من أعيانهم ، يكونون بصحبة العسكر عند رحيلهم مع عثمان كتخدا رهينة ، كما أن البرديسي والأشقر رهينة عند الفرنسيس ، وأن يذهب داماس بعساكر خلف العساكر العثمانية لحد الصالحية . ومن أراد الخروج [ص٢١٩] من أهل مصر فليخرج ، خلا عثمان بيك الأشقر ، فإنه إذا رجع الثلاثة أنفار من الفرنسيس يذهب هو مع البرديسي إلى مراد بيك بالصعيد ، إلى آخر المضمون ، وأرسلوا الثلاثة المذكورة إلى خطة الجمالية ، ومعهم الألفى ماشي ، هو ومماليكه وأجناده ، وبأيديهم البندق ، والثلاثة الفرنسيس مشاة مع الألفى ، والمماليك محدقة بهم من جميع الجوانب ، مخافة من ثوران العامة عليهم ، فيقتلون واحداً منهم أو يهينوه ، فيختل أمر الصلح ، ويتسع الفساد ، وخيولهم تقاد بين أيديهم ، فلما وصلوا للجمالية ، ثارت العامة ، وصاحوا وصرخوا ، وقالوا :"الصلح منقوض ، ولا يكون إلا القتال ". وأرادوا الفتك بالأنفار الثلاثة الرهاين ، فأصعدهم محمد بيك الألفى بجامع الجمالي ، وأوقف حراساً على بابه من مماليكه وبيدهم السلاح ، حتى بردت نار العامة ، وبطل صياحهم ، فذهبوا بهم لبعض البيوت بالجمالية ، واستمروا كذلك حتى سافروا مع عثمان كتخدا . وكذلك ثارت العامة فى هذا الوقت بعثمان كتخدا ، فأغلق دونهم باب خان ذى الفقار ، الذى كان جالساً به ، وزجرهم العسكر وطردوهم . وركب المغربى وذهب إلى الحسينية ، لإظهار أنه يريد محاربة الفرنسيس ، وأنه ينقض الصلح ، فحضر بعض عقلا أهل الحسينية إلى عثمان كتخدا ، يأخذون منه إذناً فى موافقة المغربى أو منعه ، فلم يأذن لهم ، وأمرهم بمنعه ، وركب المحروقى ومرّ بسوق الخشب ، وأمامه شخص ينادى بلزوم

المتاريس ، وأنه لاصلح ، فمنعة نزلة أمينى ، وفتح باب الخان وخرج منه عسكر بأيديهم العصى ، فطردوا العامة ففروا وسكن الحال .

شهر ذى الحجة ١٢١٤هـ

واستهل شهر ذى الحجة بيوم الجمعة (١) فيه ، خرج العثمانية [ص٢٢٠] وعسكرهم وإبراهيم بيك وأمراؤه والألفى ، والسيد عمر النقيب ، والسيد أحمد المحروقى ، وكثير من أهل مصر ركباناً ومشاه ، كذلك حسن بيك الجداوى ، وأما عثمان بيك حسن فإنه استمر بعرضى همايون ، فكانت مدة الحرب والمحاصرة ، بما فيها من ثلاثة أيام الهدنة ، سبعة وثلاثين يوماً(٢) وقع بها من الحروب والكروب والأنزعاج والشتات والهجاج وخراب الدور ، وعظيم الأمور ، وقتل الرجال، ونهب وسلب الأموال (٣) وتسلط الأشرار ، وهتك الأحرار ، وخصوصاً ما أوقع الفرنساوية بالناس بعد ذلك مما سيتلى عليك بعضه ، وخرب فى هذه الواقعة معظم عماير مصر ، وعدة جهات من أخطاط مصر الجليلة ، وخصوصاً بركة الأزبكية ذات المحاسن البهية ، وأما بركة الرطلى وما حولها من الدور والمتنزهات والبساتين ، فإنها صارت كلها تلالاً وخرايب وكيمان أتربة ، وقد كانت هذه البركة من أجل

١- يذكر مختار باشا أن ذى الحجة استهل بيوم السبت ٢٦ أبريل ، وأن يوم الجمعة كان ٣٠ ذو القعدة ، ولو صحت رواية الجبرتى لكان ذو القعدة ٢٩ يوماً . ولكننا سنسير على تقويم الجبرتى لأن هذه الأحداث العظيمة لا يمكن أن ينسى الجبرتى تاريخها ومن الصعب أن يخطئ فى تاريخ يوميات الشهر كله وبذلك فإن غرة ذى الحجة ١٢١٤هـ توافق يوم الجمعة ٢٥ أبريل ١٨٠٠م .

٢- بدأت الثورة فى يوم الخميس ٢٣ شوال ١٢١٤هـ الموافق ٢٠ مارس ١٨٠٠م ، وانتهت فى غرة ذى الحجة ١٢١٤هـ الموافق ٢٥ أبريل ١٨٠٠م .

٣- كلمة "وسلب" غير موجودة فى النسخة (أ) وأثبتناها من بقية النسخ .

متنزهات مصر قديماً وحديثاً ، وبالقرب منها المقصف المعروف بدهليز الملك ، والبربخ والجسر ، وكانت تعرف أيضاً ببركة الطوابين وببركة الحاجب ، نسبة للأمير بكتمر الحاجب من أمراء الناصر محمد بن قلاوون (١) لأنه هو الذى احتفرها وأجرى إليها الماء من الخليج الناصرى ، وبنى القنطرة المنسوبة إليه ، وعمر عليها الدور والمناظر ، وبنى على الجسر الفاصل بينها وبين الخليج دوراً بهية ، وكان هذا الجسر من أجل المتنزهات ، وقد خربت منازله فى القرن العاشر ، فى واقعة السلطان سليم خان مع الغورى ، وصار محله بستاناً عظيماً ، قطع أشجاره ونخيله الفرنسيس ، وفيه يقول بعضهم من قصيدة :

أصابت الجسر عين الدهر فانقصفا
ولاح بدر التصابى فيه منخسفا

[ص٢٢١] وأعين البحر قد فاضت معكرة
تبكى على زمن قد كان فيه صفا

ومنها

أيا رعى الله وقتاً مرّ حين حلا
بطيب عيش لنا فى الجسر قد سلفا

وكان للقاضى ابن الجيعان(٢) عليها دور جليلة ، ومسجده المعروف به إلى الآن بشاطيها ، ومسجد الحريشى . وعرفت ببركة الرطلى ، لأنه كان فى شرقها زاوية

١- يلاحظ أن الجبرتى قد اعتمد فى نقل هذا الجزء اعتماداً كاملاً على المقريزى الذى أورد كل هذا الكلام .

٢- لمزيد من المعلومات عن أبناء الجيعان ومدى ما كان لهم من نفوذ وخاصة فى الإدارة المالية لمصر فى العصر المملوكى إلى أن قضى عليهم خاير بك فى بداية العصر العثمانى . راجع – ابن اياس : مصدر سابق ، جـ٤ و جـ٥ .

بها نخل كثير وفيها شخص يصنع الأرطال الحديد التى تزن بها الباعة ، يقال له الشيخ على الرطلى ، فنسبت إليه ، وفيها يقول بعضهم .

" شعر "

في أرض طبّالتنا بركة مدهشة للعين والعقل
ترجح في ميزان عقلي على كل بحار الأرض بالرطل

وقوله "في أرض طبالبتنا بركة " ، يعنى أن هذه البركة من جملة أرض الطبالة ، والطبالة امرأة مغنية مشهورة في آخر دولة الإخشيد ، فلما حضر المعز بن معد الفاطمي إلى مصر ، وكان يدعي الإمامة والخلافة دون بنى العباس ، فخرجت إليه بجوقتها ومشت أمامه تزفه بالدفوف وتقول :

يا بني العباس ردوا مُلْك الأمير معدّ
مُلْكُكم ملك معار والعوارى تُسترد

فأعجبه ذلك وأراد أن ينعم عليها ، فتمنت عليه أن يقطعها هذه الأرض ، فأقطعها إياها فعرفت بها . وبهذه البركة بقعة يطلع بها البشنين ، وهو اللينوفر ، يقوم على ساق ، ممتد ذلك الساق إلى أعلى على قدر عمق الماء ، بحيث تكون نوارة كل ساق مساوية لسطح الماء ، ونواره أصفر ، وهو على هيئة الورد المتفتح ، ويحيط بالورق الأصفر ورق أخضر ، وفي داخل الورق الأصفر عروق بيض ، يدور نواره مع الشمس حيث دارت . وفيه يقول [ص٢٢٢] بعضهم .

"شعر "

وبركة تزهو بلينوفر شبهته طيبة نشر الحبيب
مفتح الأحداق في نومه حتى إذا الشمس دنت للمغيب
أطبق جفنيه على خده وغاص في البركة خوف الرقيب (١)

١- عند مقارنة ما أورده الجبرتي هنا من معلومات عن البشنين وغيره يتضح أنه نقله عن محمد بن أبي السرور البكري : "النزهة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية "تحقيق عبد الرازق عيسى ، العربي للنشر ، القاهرة ١٩٩٨م .

ومما تخرب أيضاً حارة المقس من قبيل سوق الخشب إلى باب الحديد ، وجميع ما فى ضمن ذلك من الحارات والدور ، وكذلك خطة العدوى والطنبلى والطرطوشى ، وصارت كلها خرايب متهدمة محترقة ، تسكب عند مشاهدتها العبرات ، وتتقطع النفس من الحسرات .

ودخل الفرنسيس إلى المدينة يسعون ، وإلى الناس بعين الحقد ينظرون ، واستولوا على ما كان اصطنعه وأعده العساكر العثمانية من المدافع والقنابر والبارود والجلل وآلات الحرب جميعه ، وركب المشايخ والأعيان عصر ذلك اليوم [1] وذهبوا إلى كبير الفرنسيس ، فلما وصلوا إلى داره ، وجلسوا ساعة ، أبرز إليهم ورقة مكتوب فيها :" النصرة لله الذى يريد أن المنصور يعمل بالشفقة والرحمة مع الناس ، وبناء على ذلك ، صارى عسكر العام يريد أن ينعم بالعفو العام والخاص على أهل مصر ، وعلى أهل بر مصر ، ولو كانوا يخالطون العثمنلى فى الحروب ، وأنهم يشتغلوا بمعايشهم وصنايعهم " . ثم نبه عليهم بحضورهم إلى قبة النصر بكره تاريخه ، ثم قاموا من عنده وشقوا المدينة ، وطافوا بالأسواق ، وبين أيديهم المناداة للرعية بالأمان والاطمينان .

فلما أصبح ذلك اليوم [2] خرجت المشايخ والوجاقلية والقلقات ، والنصارى القبط والشوام وغيرهم ، ودخل الموكب من باب النصر ، وقدامهم جماعة من القواسة ، يأمرون الناس بالقيام ، وبعض فرنساوية راكبين خيل ، بأيديهم سيوف مسلولة [ص٢٢٣] ينهرون الناس ويأمرونهم بالقيام ، ومن تباطئ فى القيام أهانوه ، فاستمرت الناس وقوفاً من ابتدا سير الموكب إلى انتهايه ، ثم تلى

١- يوم الجمعة غرة ذى الحجة ١٢١٤هـ الموافق ٢٥ أبريل ١٨٠٠م .

٢- السبت ٢ ذو الحجة ١٢١٤هـ الموافق ٢٦ أبريل ١٨٠٠م .

الطايفة الآمرة للناس بالوقوف جمع كثير من الهجانة الفرنساوية بأيديهم سيوف مسلولة ، وكلهم لابسون جوخاً أحمر ، وعلى رؤسهم طراطير من القراوى ، على غير هيئة خيالتهم ومشاتهم ، ثم تتالى بعد هؤلاء طوايف العساكر ببوقاتهم وطبولهم وزمورهم ، واختلاف أشكالهم وأجناسهم وملابسهم ، من خيالة ورجالة ، إلى أن قدم كبير الفرنسيس وخلف ظهره عثمان بيك البرديسى ، وعثمان بيك الأشقر ، ووراهم طوايف من خيالة الفرنسيس ، ولما انقضى أمر الموكب ، نادوا بزينة البلد ثلاثة أيام أخرها الثلاثا (١) مع السهر ووقود القناديل .

ثم دعاهم فى يوم الأربعا(٢) ومد لهم سماطاً عظيماً ، فيه أصناف المأكولات على طريقة أهل مصر ، وبعد انقضا الوليمة والطعام ، خاطبهم على لسان الترجمان ، أن صارى عسكر يقول لكم أنكم تأتون إليه بعد غد يوم الجمعة ، ويعمل لكم تدبيراً ويرتب لكم الديوان ، لأجل تنظيم البلد وصلاح حالكم وحال الرعية .

ولبسوا فى ذلك اليوم ، محمد أغا الطنانى أغاة مستحفظان ، ولبّسوا البكرى فروة ، وأعطوه بيت البارودى ، عوضاً عن بيته بالأزبكية ، ثم انفض المجلس ، وقاموا من عنده مستبشرين ، مغترين بالصورة الظاهرة . وركب الأغا ونادى فى البلد بالأمن والأمان .

فلما كان يوم الخميس سابعه (٣) ذهب كبير الفرنسيس ، وعظماوهم وعسكرهم إلى جزيرة الذهب ، باستدعا مراد بيك لهم ، وموعد بينه وبينهم ، فصنع لهم أطعمة ، ومد لهم أسمطة عظيمة (٤) وانبسط معهم ، وافتخر افتخاراً زايداً ، وأهدى لهم الهدايا ، وقدم [ص٢٢٤] لهم التقادم العظيمة ،وأعطاهم ما كان جمعه

١- يوم الثلاثاء ٥ ذو الحجة ١٢١٤هـ الموافق ٢٩ أبريل ١٨٠٠م .
٢- يوم الأربعاء ٦ ذو الحجة ١٢١٤هـ الموافق ٣٠ أبريل ١٨٠٠م .
٣- يوم الخميس ٧ ذو الحجة ١٢١٤هـ الموافق ١ مايو ١٨٠٠م .
٤- فى النسخة (ب) "سماطاً عظيماً ".

درويش باشا من الصعيد ، وأرسله لمن بمصر من العساكر العثمانية ، من الميرة والأغنام وغيرها ، وكان قد حجزه مراد بيك عنده ، وهو مقيم بطرا ، وكان شيا كثيراً فيه من الأغنام نحو أربعة آلاف .

وفى ذلك اليوم ، ولوه إمارة الصعيد ، من دجرجا إلى أسنا .

فلما كان فى صبحها يوم الجمعة (١) بكروا فى الذهاب إلى بيت كبير الفرنسيس ، ولما جلسوا بالديوان الخارج ، أهملوا حصة طويلة ، لم يؤذن لهم ولم يخاطبوا ، ثم طلبوا إلى المجلس الداخل ، وأهملوا كذلك حصة مثل الأولى ، ثم خرج عليهم كبير الفرنسيس ، وصحبته الترجمان وجماعة من أعيانهم فوضع له كرسى بوسط المجلس ، ووقف الترجمان وأصحابه حوله ، واصطف الوجاقلية والحكام ناحية ، وأعيان النصارى والتجار ناحية ، وحضر عثمان بيك الأشقر ، وعثمان بيك البرديسى ، فأخرج صارى عسكر ورقة من كمه ، وتكلم بما فيها ، وترجم عنه الترجمان فقال للحاضرين ، أن صارى عسكر يقول لكم أنه عفى عنكم مع استحقاقكم للعقوبة ، وإنما يطلب منكم عشرة آلاف ألف فرنج (٢) وذلك مقدار ألفى ألف فرانسه ، منها على الشيخ السادات ماية وخمسون ألفاً ، والشيخ محمد ابن الجوهرى خمسون ألفاً ، وأخوه السيد عبد الفتاح مثلها ، والشيخ مصطفى الصاوى مثلها ، والشيخ العنانى خمسة عشر ألفاً ، ومائتان وخمسون ألفاً نقتطعها عنكم من المبلغ نظير نهب دور (٣) الفارين مع العثمنلى ، [ص٢٢٥] مثل السيد عمر والمحروقى وحسين أغا شنن ، وتدبروا رأيكم

١- يوم الجمعة ٨ ذو الحجة ١٢١٤هـ الموافق ٢ مايو ١٨٠٠م ، وننوه إلى أن يوم الجمعة يوافق ٧ ذو الحجة فى تقويم مختار باشا .

٢- فى النسخة (ب) " عشرة آلاف ألف اريال إفرنجى " وفى عجائب الآثار "عشرة آلاف ألف ألف فرنك " .

٣- كلمة " دور " غير موجودة فى النسخة (أ) .

فى الباقى توزعوه على أهل البلد . وقام من فوره ودخل مع أصحابه إلى مكانه ، وغلق بينه وبينهم الباب ، ووقف عسكراً على الباب الذى فيه الجماعة ، يمنعون من يخرج من الجالسين ، فبهت الجماعة ، وامتقعت وجوههم ، وتحيرت أفكارهم ، ونظر بعضهم إلى بعض ، وتراموا على يعقوب القبطى وأنظاره ، فدخل على كبير الفرنسيس وخرج يقول أنه قال : يبقى منكم خمسة عشر شخصاً رهينة ، حتى يتغلق المطلوب ، فقالوا :"وكيف نعمل ، ومن يقدر علي هذا المقدار العظيم ، وإذا كنا محبوسين من يسعى فى ذلك ولم يزالوا فى هذه الحيرة والتداخل على القبطة إلى قبيل العصر ، حتى بال أكثرهم على ثيابه ، وبعضهم " شر شر " من الشبابيك المطلة على البركة ، والشيخ محمد المهدى يتشاور مع يعقوب ، ومن له التكلم فى تدبير ذلك وتوزيعه وترتيبه ، وعملوا بذلك قوايم ، وشرعوا فى تحرير دفاتر ، حتى ضاق الوقت ، فاستأذنوا للجماعة ، فأذنوا لهم بالذهاب ، وركب الشيخ السادات ، فلزمه عشرة من العسكر ببنادقهم ، وذهبوا معه إلى داره ، وأما الشيخ الصاوى والسيد عبد الفتاح الجوهرى ، فحبسوهما ببيت قايمقام ، والشيخ العنانى لم يحضر تلك الجمعية ، بل هرب من قبل ، وكانت داره قد احترقت مدة الحرب بسوق الخشب ، ولما لم يجدوه ، أضافوا غرامته على باقى الغرامات ، وانفض المجلس على ذلك ، وركب كبير الفرنسيس من يومه ، وعدى إلى الجيزة ، وأقام بقصر مراد بيك ، وفوض أمر ذلك ليعقوب [ص٢٢٦] القبطى ، يفعل فى المسلمين ما يشاء . وأقام بمصر قايمقام والخازندار ، لمرجع الأمور والمشورة والتدبير وقبض الأموال ، وشرعوا فى تفريد الغرامات ، وتوزيعها وتقسيمها على عموم الناس وخاصتهم من الملتزمين والتجار والمتسببين ، وجماعة الغورية وخان الخليلى والصاغة والنحاسين والدلالين والقبانية ، حتى قضاة المحاكم ، وأهل الجمالية وساير الأخطاط ، بما

تحوى من الوكايل والعطارين والزياتين والجزارين والمزينين والحدادين وجميع الصنايع والحرف ، حتى الحواة والمفزلكين والمفاخرين والقرايداتية والأمور السافلة ، كل طايفة من هذه الطوايف (١) ألزمت بمال له صورة ، مثل ثلاثين ألف ريال فرانسة إلى ثلاثماية فما فوق .

وأما الشيخ السادات ، فإنه لما توجه إلى داره وصحبته العسكر ، جلس العسكر عند بابه فلما مضت حصة من الليل(٢) حضر إليه مقدار عشرة من العسكر أيضاً ، فأركبوه وطلعوا به إلى القلعة وحبسوه في مكان ، فأرسل إلى عثمان بيك البرديسي فتكلم في شأنه ، فقال كبير الفرنسيس :" أما القتل فلا نقتله، وأما المال فلابد من دفعه " ثم قبضوا على مقدمه وفراشه وحبسوهما أيضاً، ثم أنزلوه إلى بيت قايمقام ، فحبس به يومين ، ثم أصعدوه إلى القلعة ثانياً ، وسجنوه في حاصل مظلم ، ينام فيه من غير فراش ، فطلب زين الفقار كتخدا ، فطلع إليه هو وبرطملين ، فتوسطا في إنزاله إلى داره ، ليقضي أشغاله ويسعى في تحصيل المطلوب ، فأنزلوه فجمع ما أمكنه من النقد ، وما وجده من المصاغ [ص٢٢٧] والفراء والملابس فقوموه بأبخس الأثمان ، فبلغ المدفوع نقدية ومقومات ، إحدى وعشرين ألف فرانسة ، كل هذا والمحافظون عليه من العسكر ملازمون له ، لا يفارقونه ولا يتركوه يدخل إلى حريمه ، وكان الحريم اختفى بمكان . فلما فرغوا

١-نظام طوائف الحرف : كان الصناع والحرفيون ينتظمون في طوائف متعددة لها نظام دقيق ، ولكل طائفة شيخ أو نقيب يشرف عليهم ويدبر شئونهم وقد استمر نظام طوائف الحرف في مصر طوال العصر العثماني والقرن التاسع عشر حتى تم الغاؤه عام ١٨٩١ م.لمزيد من المعلومات راجع :د. عبد السلام عامر : طوائف الحرف في مصر في القرن التاسع عشر .هـ . م . ع ، سلسلة تاريخ المصريين .

٢- ليلة يوم السبت ٩ من ذى الحجة ١٢١٤هـ الموافق ٣ مايو ١٨٠٠م .

من تقويم الأعيان ، وقبض الدراهم جاسوا خلال الديار يفتشون ويحفرون الأرض ، حتى فتحوا الكنيفات[1] فلم يجدوا شيئاً ثم نقلوه إلى بيت قايمقام وشددوا عليه بالحبس والضرب ، وطلبوا حريمه وابنه فلم يجدوهما ، فأحضروا ابن النوبى تابعه، وقرروه وهددوه ، فعرفهم بمكانهما ، فأحضروهما وحبسوا ابنه عند أغاة الإنكشارية وحبسوا حريمه معه ، لترى وتشاهد ما هو فيه من الضيق والإهانة ، فتقر بالدراهم ، ثم إن الشيخ الشرقاوى والمهدى والفيومى وزين الفقار كتخدا تشفعوا فى نقلها إلى مكان أخر ، فنقلوها إلى بيت الفيومى ، وبقى الشيخ على حاله ، وأخذوا يقررون أتباعه على ما يعلمونه [2] فتغيب أكثر أتباعه واختفى وقد وقعت المراجعة والشفاعة فى غرامة الشيخ الصاوى والشيخ عبد الفتاح الجوهرى ، فأنقصوهما ، وتقرر على كل منهما خمسة عشر ألف فرانسة ، وردوا الباقى على الفردة العامة . وأما الشيخ محمد ابن الشيخ الجوهرى فإنه اختفى ، فلم يجدوه ، فنهبوا داره ، ودار نسيبه وصهره المعروف بالشويخ ، ثم أنه توسل سراً بالست نفيسة زوجة مراد بيك ، وهو بالقرب من الفشن ، فأرسل من طرفه كاشفاً ، وتشفع فيه ، فقبلوا شفاعته ورفعوها [ص٢٢٨] عنه ، وردوها أيضاً على الفردة العامة ، وكان هذا شأنهم كلما وقعت المرافعة فى شئ ردوه على الباقى ، ولا ينقصون مما قدروه فى الأصل

١- المراحيض .

٢- كان كليبر قد اشتبه فى أن الشيخ السادات هو المسئول عن ثورة القاهرة الثانية لذا فقد جرى إلقاء القبض عليه وسجنه فى القلعة وضربه مرتين فى اليوم لإجباره على دفع ضريبته الضخمة ، وهو يتوسل إلى كليبر بعدم إهانته ويقول له "ولم يحدث قط أن والدى ولا من ربونى قد ضربنى ، على العكس ، أن الكبراء والعلماء قد كرمونى واحترمونى دائماً، وقد أبدى الأمراء الاحترامات نفسها" هنرى لورنس :مرجع سابق ، ص ٤٩٢

شيئاً . ثم إن يعقوب "اللعين"[1] عمل ديواناً لخاصة نفسه ، ورتبه ببيت البارودى ، وأحضر المباشرين ، ومشايخ الحرف والأخطاط ، وكتبوا القوايم ، وقرر على الأماكن والعقارات والأوقاف أجرة سنة ، وألزم كل كبير فى خطة بتحصيل ما تقرر على جهته ، وأعطوهم عسكراً من الفرنسيس يستعينون بهم فى التحصيل . وعمل كل كبير فى جهة له ديواناً ، واجتمع عنده كتبة مختصة به ، قبطة ومسلمون وأعوان ، وبعض من عسكر الفرنسيس ، فطلبوا من الناس ضعف ما قرره يعقوب ، ليكتسبوه لأنفسهم ، وبثوا أعوانهم من القواسة وعسكر الفرنسيس ، فى طلب الناس وحبسهم وضربهم وعقابهم ، والمرجع فى ذلك كله إلى الديوان الكبير ، وهو ديوان يعقوب ، فدهى الناس بهذه الداهية التى لم يصابوا بمثلها ولا ما يقاربها .

ومضى عيد النحر [2] ولم يشعر به أحد، ونزل بهم من البلا والذل ما لا يوصف ، فإن الواحد من الناس غنياً كان أو فقيراً لابد و أن يكون من ذوى الصنايع أو الحرف ، فيلزمه شقص [3] ما وزع عليه فى حرفته أو حرفتيه ، وأجرة داره أيضاً وحانوته سنة معجلة ، فكان يأتى على الشخص الواحد غرامتان أو ثلاثة أو أكثر ، إذ قد يتجر الإنسان فى بضايع متعددة ، وكل نوع من أنواع المتاجر ألزم أهله بغرامة ، وفرغت من الناس الدراهم ، واحتاج كل واحد إلى الاقتراض ، فلم يجد من يدفع له على [ص٢٢٩] سبيل الاقتراض لاشتغال كل إنسان بغرامته ومصيبته، فاضطروا لبيع المتاع ، فلم يجدوا من يشتريه أيضاً ، وإذا أعطوهم ذلك

١- كلمة " اللعين " محذوفة من عجائب الآثار .

٢- عيد النحر يوافق يوم الأحد ١٠ من ذى الحجة ١٢١٤هـ الموافق ٤ مايو ١٨٠٠م .

٣- الشِقْص بكسر الشين القطعة من الأرض والطائفة من الشئ [مختار الصحاح] والمقصود يدفع نصيبه من الفردة .

فلا يقبلوه ، فضاق خناق الناس وتمنوا الموت فلم يجدوه . ثم وقع الترجى فى قبول المصاغ والحلى وأوانى الذهب والفضة ، فإذا أحضر الإنسان ما عنده [1] قوم بأبخس الأثمان ، وأما آثاث البيوت من فرش ونحاس وملبس ، فلا يوجد من يأخذوه ، وأمروا بجمع البغال ، ومنعوا المسلمين من ركوبها مطلقاً ، سوى خمسة أنفار ، وهم الشرقاوى والمهدى والفيومى والأمير وأحمد بن محمود محرم ، والنصارى لا حرج عليهم فى ذلك .

وفى كل وقت وحين ، يشتد الطلب وتنبث المعينون من القواسة والعسكر فى طلب الناس ، وهجم الدور وسحب الأشخاص ، بالكره والعنف ، حتى النسا من أكابر وأصاغر فيأتون بهم على أسوأ حال ، ويهينوهم ويحبسوهم ويضربونهم ، والذى لم يجدوه لفراره أو اختفايه ، يقبضون على ابنه أو زوجته أو قريبه ، أو ينهبون داره ، فإن لم يجدوا شيئاً ردوا غرامته على أبناء جنسه وأهل حرفته إن كانت الغرامة من قبل الحرفة ، فإن كانت من قبل الحانوت أو المنزل ردوها على جيرانه ، وتطاولت النصارى البلدية على المسلمين بالسب والضرب [2] والاستهزاء والسخرية ، ونالوا منهم أغراضهم ، وطعنوا فى دين الإسلام ، وصرحوا بانقضايه وإذا ضربوا مسلماً وتألم واستغاث ، يقولون له :"وأين محمدكم الذى تزعمون أنه يشفع لكم "، وأمثال هذا الكلام الذى يقشعر القلب من سماعه . هذا والكتبة والمهندسون والبانون [ص٢٣٠] يطوفون ويحررون أجر الأماكن والعقارات ، ويكتبون أسماء أربابها وقيمتها . وخرجت الناس من المدينة ، وهربوا إلى القرى والأرياف .

١- " ما عنده " غير موجودة فى النسخة (ب) .
٢- كلمة "بالسب " غير موجودة فى النسخة (أ) وأثبتناها من بقية النسخ .

وكان ممن خرج من مصر ، صاحبنا المشار إليه [1] فتوجه لجهة الصعيد وأقام بأسيوط ، حتى لم يبق بمصر أحد من الفرنسيس رجع ، فكانت مدة غيبته نحو ثمانية عشر شهراً ، وكان كثيراً ما يراسلني بالمكاتبة ، ويبالغ في ذكر تشوقه إلى مصر . ومن جملة رسايله ، وقد أرسلت له كتاباً فأجاب بقوله :" قد وصل إلى - أعزك الله - كتابك . الذى بَرّدَ - بوروده - لهيب الحشا ، وأودع من البلاغة مانطق بأن الفضل بيد الله يوتيه من يشا ، فهو كالبُرد الموشى ، والروض الذى هو بلآلى الزهو مُغَشى ، جاء مفصحاً عن بلاغةٍ وبراعةٍ ، منبياً عن قريحةٍ لدى تحرير القول وتحبيره منقادة منطاعة .

شعر

ففي كل سطر منه شطر من المنى وفي كل لفظ منه عقد من الدر

فلله هو من كتاب ، جمع محاسن الخطاب ، حرك عندى ما كان كامناً في الفؤاد ، وأضرم في الأحشا نار الهوى كورى الزناد ، وطالما كنت متشوقاً لأخبار ، ومتشوفاً لاستعلام أحوال وآثار ، فجاء كتابك يا سيدى شافياً عليل التذكر ، مبرداً غليل التشوق والتفكر ، سرت حميا ألفاظه في فؤاد المشوق ، ووقعت عنده موقع لقا العاشق المعشوق ، فلله من كتاب أخبر عن محاسن الأحبة ، وقال له القلب [2] حين مازجه وحبه ، إيه أحاديث نعمان وساكنه ، [ص٢٣١] وهات حديث عن نجد وقاطنه ، تلك شؤون طال بها العهد ، وأنجر عليها ذيل الحوادث وامتد ، وما كنت

١- يقصد الشيخ حسن العطار .

٢- كلمة "القلب" غير موجودة فى النسخة (أ) فاثبتناها من بقية النسخ .

أوثر أن يمتد بى الزمان ، حتى أرى الأسفار تتلاعب بى كالكرة فى ميدان البلدان ، حصل لى القهر بخروجى من القاهرة ، واغْبَرَّ أخضر أيامى الزاهرة ، ولقد الجأتنى خطوب الأغراب ، واضطرتنى شؤون السفر الذى هو قطعة من العذاب ، إلى التقلب فى قوالب الاكتساب ، والتلبس بتلبيس الانتساب ، وإخفا معالم المجى والذهاب .

شعر

فطوراً شيخ زاوية وفقر   وأخرى كاتب فى باب والى

أسلك الوفاق مع الرفاق ، ولا أركب المشاق بجلب الشقاق : (١)

طوراً إيمان إذا لاقيت ذا يمن   وإن رأيت معدياً فعد يانى(٢)

وبهذا وأشباهه تم الدست ، وثبت حبل الحبالة آمناً من السبت ، بأخذى بالتخلق بأخلاق من عاصرنا من أبناء الدهر ، الذى حلبوا أشطره ، ومارسوا أخضر العيش وأغبره ، حتى انطبعت فى مرآة عقولهم حقايق الأشيا ، ولاحت لهم أكنتها بغير خفا ، وغير خاف أن الماء يمازج اللبن والراح ، وكما يكون به الحتف يكون به الارتياح .

شعر

لئن كنت فى بعض المواضع عالماً   فَلَلْجَهل فى بعض المواضع أحوج

١- هذا السطر كتب كبيت شعر فى النسخة (ب) ولكنه كتب نثراً فى بقية النسخ وفى عجائب الآثار .

٢- فى النسخة (ب) وفى عجائب الآثار ، وفى طبعة التربية والتعليم ، ولجنة البيان العربى "فعد نانى" ولكنها غير مفهومة ولا يستقيم بها المعنى ، فأثبتناها من بقية النسخ .

[فصل]

"وقد كدت من الشوق الذى اجتلبه كتابك أطير بلا جناح ، وأركب متن اليم بائياً (١) بالهلك أو النجاح ، وكان من أقوى أسباب القدوم ، مشاهدة طلعتكم المزرية بأزاهر النجوم ، ولقى أحباب ينفتح بهم باب المسرة ، ويفوح عبير الرياض التى بعدنا صارت مغبرة [ص٢٣٢] فحين عزمت على السفر وصممت وأخذت فى الاستعداد وتأهبت ، حدثت عوايق فى الطريق وموانع ، ولا وزر مما قضى الله شافع ، بسبب الكرنتينات ، التى هى من البلا والآفات ، أقيمت كالشجا فى فم البر والبحر ، بداعية أمر الطاعون الذى يتلى علينا من حديثه سورة الانشقاق والفجر ، وحلوله بالقاهرة وضواحيها ، وانتشاره فى أرجايها ونواحيها ، وكل هذا هين بالنسبة للمتوقع ، التى كادت الأفئدة من أصغره السابق تتقطع ، وبه كان فراقى للوطن ، ونبوى عن الأهل والسكن ، فحينئذ تحققت أن لا خلاص ، من هذه البلاد ولات حين مناص ، إذ لا يلدغ مسلم من جحر مرتين ، ولا يكر العاقل على نفسه بالندامة كرتين ، فراجعت نفسى عما عزمت عليه من السفر ، وأشفقت عليها من ورود موارد الخطل والخطر ، وخاطبت ما هجس فى البال ، من السفر والارتحال ، الذى قواه مطالعة كتابك ، وأيقظه من رقدته سحر خطابك .

" شعر "

طَرَقَتْكَ صايدة القلوب وليس ذا   وقت الزيارة فارجعى بسلام "

ثم أطال فى أغراض أخرى ، وجال فى أساليب الكلام وفنونه .

ثم رجع أكثر الفارين لضيق القرى ، وعدم ما يتعيشون به فيها واختلاف

١- فى النسخة (أ) "باينا" وفى النسخة (ب) "بائيا" وفى عجائب الآثار "آبيا" وربما المقصود "آبياً" أى عائداً ، أو "باينا" أى مفارقاً .

الأرياف وانزعاجها ، بقطاع الطريق والعرب والمناسر بالليل والنهار ، والقتل فيما بينهم ، وتعدى القوى على الضعيف . واستمرت أسواق المدينة مجفرة ، والطرق معفرة ، والحوانيت مقفولة ، والعقول مخبولة ، والوكايل مغلوقة ، والنفوس [ص٢٣٣] مطبوقة ، والغرامات هاطلة ، والأرزاق عاطلة ، والمطالب عظيمة ، والمصايب عميمة ، والمكوسات مقصودة ، والشفاعات مردودة ، وإذا أراد الإنسان، أن يفر إلى أبعد مكان ، وينجو بنفسه ، ويرضى بغير أبناء جنسه ، لا يجد طريقاً للذهاب ، وخصوصاً من أشرار الأعراب ، الذين هم أقبح الأجناس ، وأعظم بلاء محيط بالناس . وبالجملة فالأمر عظيم ، والخطب جسيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، و [كذلك أخْذُ ربك إذاأخَذَ القرى وهى ظالمة ، إن أخْذَهُ أليم" شديد] (١)

وفى عشرينه(٢) انتقلوا بديوان الفردة من بيت البارودى إلى بيت القيسرلى بالميدان ، ووقع التشديد فى الطلب ، والانتقام بأدنى سبب .

مجمل حوادث عام١٢١٤هـ (٣)

وانقضى هذا العام (٤) وما جرى فيه من الحوادث العظام ، بإقليم مصر

١- سورة هود الآية رقم ١٠٢ .

٢- يوم الأربعاء ٢٠ ذى الحجة ١٢١٤هـ الموافق ١٤ مايو ١٨٠٠م .

٣- العنوان من وضع المحققين .

٤- كلمة "العام" غير موجودة فى النسخة (ب) وأثبتناها من بقية النسخ وكان انقضائه يوم السبت ٣٠ من ذى الحجة ١٢١٤هـ الموافق ٢٤ مايو ١٨٠٠م . وننوه إلى أن يوم السبت ٢٤ مايو ١٨٠٠م يوافق ٢٩ ذو الحجة فى تقويم مختار باشا وهو غاية الشهر عنده أيضاً .

والشام ، والروم والبيت الحرام ، فمنها وهو أعظمها ، تعطيل الثغور ، ومنع المسافرين براً وبحراً ، ووقوف الإنكليز بثغر الأسكندرية ودمياط ، يمنعون الصادر والوارد ، وتخطوا بمراكبهم أيضاً إلى بحر القلزم .

ومنها انقطاع الحج في هذا العام أيضاً .

ومنها وقوف العرب وقطاع الطريق ، بجميع الجهات القبلية والبحرية والشرقية والغربية والمنوفية والدقهلية ، وساير النواحي ، فمنعوا السبل ولو بالخفارة ، وقطعوا طريق السفار ، ونهبوا المارين من أبناء السبيل والتجار ، وتسلطوا على القرى والفلاحين وأهل البلاد ، بالعرى والخطف للمتاع والمواشي من البقر والغنم والجمال والحمير ، وإفساد المزارع ورعيها ، حتى كان أهل البلاد لا يمكنهم الخروج بمواشيهم [ص٢٣٤] إلى المزارع للرعي أو للسقي ، لترصد العرب لذلك ، ووثب أهل القرى على بعضهم ، وتلبسوا بأنواع الشرور ، واستعان بعضهم على بعض بالعرب ، فداخلوهم وتطاولوا عليهم وضربوا عليهم الضرايب ، وتقوى القوى على الضعيف ، وطمعت العرب في أهل البلاد ، وطالبوهم بالثارات والعوايد القديمة الكذابة ، وأن وقت حصاد الزروع ، فاضطروا لمسالمتهم . ولما انقضت حروب الفرنسيس ، نزل عسكرهم إلى البلاد ، واحتجوا على الفلاحين بمصادقتهم للعرب ، فنهبوهم وطالبوهم بالمغارم والكلف الشاقة ، فإذا انتقلوا عنهم رجعت العرب على أثرهم ، فلا يمكن أهل البلاد منعهم ، وهكذا استمر الحال .

ومنها أن النيل قصر مَدُهُ في هذه السنة ، فشرقت (١) البلاد ، وارتحل أهل

١- شرقت الأرض "أى جفت وتشققت من قلة الماء .

البحيرة إلى المنوفية والغربية (١) فانسحبت أرجل عربان البحيرة معهم ، وبقى لهم – كما قال العامة فى المثل – بالحى نخيل .

ومنها أنه لما حضرت عساكر العثمانية ، وشاع أمر الصلح وخضوع الفرنساوية ، نزل طايفة من الفرنسيس إلى المنوفية ، وطلبوا من أهلها كلفة لرحيلهم ، فلما مروا بالمحلة الكبيرة ، تعصب أهلها ، واجتمعوا على قاضيها ، وخرجوا لحربهم ، فاكمن الفرنسيس لهم ، وضربوهم بالمدافع والبنادق ، فمات من أهل البلد نيف وستماية إنسان ، وفيهم القاضى وغيره ، ولم ينجح منهم إلا من فرّ، وكذلك أهل طندتا (٢) عند حضور الفرنسيس إليهم ، صادف أنه وصل إليهم رجل من الجرارين المنتسبين للعثمانية من جهة الشرق ، بقصد زيارة سيدى أحمد البدوى ، وهو راكب على [ص٢٣٥] فرس وحوله نحو خمسة أنفار ، وكان بعض الفرنسيس بداخل البلدة يقضون أشغالهم ، فصاحت السوقة والباعة ، عند رؤية ذلك الرجل بقولهم "نصر الله دين الإسلام" ، وهاجوا وماجوا ، وزغرطت النساء

١– كانت مديرية البحيرة أول من يتأثر بالفيضان المنخفض وذلك لارتفاع أرضها نسبياً عن وسط الدلتا .

٢– طنطا : قاعدة مديرية الغربية وهى من المدن القديمة ذكرها أميليتو فى جغرافيته فقال أن أسمها القبطى "Tantatho" طنتا سو ، وفى كتب الديوان مثل قوانين ابن مماتى وتحفة الإرشاد والتحفة : طندتا من أعمال الغربية – وزادت شهرة هذه المدينة لوجود قبر السيد أحمد البدوى بها . ومنذ عام ١٨٣٦ حولت عاصمة مديرية الغربية من المحلة الكبرى لطنطا لأنها تتمركز فى وسط البلاد .

وطنطا من أشهر المدن المصرية وأكبرها ومما زاد فى عمارتها وأهميتها وقوعها فى وسط الدلتا ووجود محطة سكة حديد كبيرة بها يتفرع منها شبكة من الطرق الحديثة .

راجع . محمد رمزى – مرجع سابق – القسم الثانى جـ٢ ص ١٠٢ .

والصبيان ، وسخروا بالفرنسيس ، وترامــوا بما على روسهم ، وضربوهم وجرجروهم وطردوهم ، فتسحبوا من عندهم فغابوا ثلاثة أيام ، ورجعوا إليهم بجمع من عسكرهم ، ومعهم آلات الحرب والمدافع ، فاحتاطوا بالبلدة ، وضربوا عليها مدفعاً ، ثم هجموا على البلد ودخلوها وبأيديهم السيوف مسلولة ، ويقدمهم طبلهم . وطلبوا خدمة الضريح الذين يقال لهم أولاد الخادم ، وهم ملتزمون البلدة وأكابرها ، ومتهمون بكثرة المال ، وكانوا قبل ذلك بنحو ثلاثة أشهر قبضوا عليهم بإغرا نصارى القبط ، وأخذوا منهم خمسة عشر ألف ريال فرانسة ، بحجة مسالمتهم للعرب ، فلما وصلوا إلى دورهم طلبوهم ، وأخذوهم خارج البلد وقيدوهم ، وأقاموا نحو خمسة أيام يأخذون كل يوم من البلد كلفة وقدرها من الدراهم ستماية ريال ، ومن الأغنام والجواميس والأقوات شئ كثير . ثم ارتحلوا وأخذوا المذكورين صحبتهم إلى منوف وحبسوهم أياماً ، ثم نقلوهم إلى الجيزة في مدة الحرب بمصر، فلما انقضت تلك الأيام ، ومشت عساكرهم في البلاد ، نزلت طايفة إلى طندتا [1] وبصحبتهم الجماعة المذكورين ، وقرروا عليهم أحدى وخمسين ألف ريال فرانسة ، وعلى أهل البلد ماية ألف ، وأقاموا حول البلد محافظين عليهم ، وأطلقوا بعضهم ، وحجزوا المسمى بمصطفى الخادم ، لأنه صاحب الأكثر في الوظيفة والالتزام ، وطالبوه [ص٢٣٦] بالمال ، وفي كل وقت ينوعون عليه العقاب والعذاب والضرب ، حتى على كفوف يديه ورجليه ، ويربطونه بالشمس في قوة الحر

١- كتبت في النسخة (ب) "طانطة" .

والوقت مصيف ، وهو رجل جسيم كبير الكرش ، فخرجت له نفاخات ، ثم أخذوا خليفة المقام ، وذهبوا به إلى منوف ، ثم ردوه وولوه رآسة [1] جمع الدراهم المطلوبة من البلد ، فوزعت على الدور والحوانيت والمعاصر وغير ذلك ، واستمر الحال على ذلك إلى آخر العام ، حتى أخذوا الطلايع الذهب التى على المقام ، وكانت من ذهب خالص ، زنتها نحو خمسة آلاف مثقال . وأما المحلة الكبرى فإنهم رجعوا عليها ، وجعلوا عليها نيفاً وماية ألف ريال فرانسة ، وأخذوا فى تحصيلها وتوزيعها على الناس ، وهجموا عليهم الدور ، وتتبعوا الأغنيا من أهلها ، كل ذلك مع استمرار طلب الكلف الشاقة فى كل يوم ، منها ومن طندتا ، والتعنت عليهم وتسلط طوايف الكشوفية التابعين لهم ، الذين هم أقبح فى الظلم من الفرنسيس ، بل ومن العرب فإنهم معظم البلا أيضاً ، لأنهم يعرفون دسايس البلاد و خفياتها ويتتبعون أحوال أهلها ، ويتجسسون على عوراتهم ، ويغرون بهم ، واستمروا على ذلك أيضاً .

ومنها أنه لما وقع الصلح بين العثمانية والفرنساوية أرسل حضرة الوزير فرمانات إلى الثغور بإطلاق الأساقيل وحضور المراكب والتجار بالبضايع والتجارات إلى الثغور المصرية ، فحضر عدة مراكب إلى ثغر الأسكندرية ، وصحبتها ثلاثة غلايين سلطانية ، وسفن مشحونة بالذخيرة لحضرة الوزير ولوازم العسكر ، فلما قربوا من الثغر أقامت أهل المراكب البنديرات ، [ص٢٣٧] وضربوا مدافع للشنك ، فطمعهم الفرنساوية ، وأظهروا لهم المسالمة ، وأقاموا لهم البنديرات

١- هكذا فى جميع النسخ والصواب "رئاسة" .

العثمانية ، فدخلوا إلى المينة ، ورموا المراسى ، ووقعوا فى فخ الفرنسيس ، فاستولوا على الجميع وأخذوا مدافعهم وسلاحهم ، وحبسوا القباطين وأعيان التجار ، وأخذوا المراكبية والغليونجية والمتسببين وأكثرهم نصارى أروام ونجرجية، وهم عدة وافرة ، وأعطوهم سلاحاً ، وتزيا البعض بزيهم وأضافوهم إلى عساكرهم ، وأرسلوا منهم طايفة لمصر ، فكانوا أقبح حالاً من الفرنسيس فى تسلطهم بالإيذا على المسلمين . ثم أخرجوا شحنة المراكب من بضايع ويميش وحازوه بأجمعه لأنفسهم ، وكان ذلك فى وسط شهر ذى القعدة . (١)

ومنها أنه بعد نقض الصلح أرسل الفرنسيس عسكراً إلى متسلم السويس الذى كان تولاها من طرف حضرة الوزير فتعصب معه أهل البندر وحاربوهم فتغلب الفرنسيس وقتلوا جماعة ونهبوا البندر وما فيه من أنواع المتجر ، بحواصل التجار وغير ذلك .

ومنها أن مراد بيك عند توجهه للصعيد ، بعد انقضا الصلح أخذ ما جمعه درويش باشا من الصعيد ، من أغنام وخيول وميرة ، وكان شيئاً كثيراً ، فتسلم الجميع منه ، وعدى درويش باشا للجهة الشرقية متوجهاً إلى الشام ، وأرسل مراد بيك ما تسلمه لكبير الفرنسيس بمصر (٢)

١- أى تقريباً يوم الخميس ١٥ ذى القعدة ١٢١٤هـ الموافق ١٠ أبريل ١٨٠٠ م فى الوقت الذى كانت فيه الثورة فى القاهرة مشتعلة .

٢- سبق أن ذكر المؤلف ذلك فى يوميته بتاريخ يوم الخميس ٧ ذو الحجة ١٢١٤هـ والمعتاد أن الجبرتى يجمل الحوادث التى لم يستطع ضبط تاريخها .

ومنها أنه بعد انقضا المحاربة ، واستيلا الفرنسيس على المخازن والغلال التى جمعها العثمانية من البلاد الشرقية وبعض البلاد الغربية وغيرها ، والشعير والتبن ، طلب [ص٢٣٨] الفرنساوية مثل ذلك ، وفردوا على البلاد غلالاً وشعيراً وفولاً وتبناً وزادوا خيلاً وجمالاً ، فوقع على كل إقليم ألف فرس وألف جمل ، سوى ما يدفع مصالحة على قبولها نحو ثمنها وأزيد ، وكذلك التعنت فى نقص الغلال وغربلتها ، وغير ذلك ، وكل ذلك بإرشاد النصارى القبطة لأنهم هم الذين تقلدوا المناصب الجليلة ، وتقاسموا الأقاليم ، والتزموا لهم بجمع الأموال ، ونزل كل كبير منهم إلى إقليم وأقام أبهة نفسه ، وتمثل فى صورة أمير كبير ، ومعه عدة من العساكر الفرنساوية ، وصحبته الكتبة والصيارف والأتباع والأجناد من الغز البطالة وغيرهم ، والخيام والخدم والفراشون والطباخون والحجّاب ، وتقاد بين يديه النجايب [1] والبغال والرهوانات والخيول المسومة ، والقواسة والمقدمون ، وبأيديهم الحراب المفضضة والمذهبة والأسلحة الكاملة ، ويرسل إلى ولايات الأقاليم من جهته المستوفيين من القبط أيضاً بمنزلة الكشاف ، ومعهم العسكر من الفرنسيس والطوايف والجاويشية والصيارف والمقدمون على الشرح المار ، فينزلون على البلاد والقرى ، ويطلبون المال والكلف الشاقة بالعسف ، ويضربون لهم أجلا بالساعات ، فإن مضت ولم يوفوهم المطلوب حل بهم ما حل من الحرق والنهب

١- المقصود "النجائب " وهى الخيول الأصيلة النجيبة .

والسلب والسبى ، وخصوصاً إذا فرّ مشايخ البلدة من خوفهم وعدم قدرتهم ، وإلا قبضوا عليهم ، وضربوهم بالمقارع والكسارات على مفاصلهم وركبهم ، وسحبوهم معهم فى الحبال ، وأذاقوهم العذاب والنكال ، وخاف الباقون [ص٢٣٩] فصانعوهم وأتباعهم بالبراطيل والرشوات ، وانضم إليهم الأسافل من القبط والأراذل من المنافقين ، وتقربوا إليهم بما يستميلون به قلوبهم ، وما يستجلبونه لهم من المنافع والمظالم ، وأجهدوا أنفسهم فى التشفى من بعضهم ، وما يوجبه الحقد والتحاسد الكامن فى قلوبهم (١)

١- بعد انقضاء سنة ١٢١٤هـ أضاف الجبرتى فى عجائب الآثار ثلاث يوميات هى تراجم لأشهر من مات فى هذه السنة وهم الشيخ عبد العليم بن محمد بن عثمان الأزهرى الضرير ، والشيخ شامل أحمد رمضان بن سعود الطرابلسى المقرئ الأزهرى ، والسيد الشريف الحسين على البدرى العوضى .

يوميات سنة ١٣١٥ هـ

شهر المحرم ١٢١٥هـ (١)

ثم دخلت سنة خمسة عشر ومايتين وألف ، وكان ابتدا المحرم فى يوم الأحد، فى خامسه ، أصعدوا الشيخ السادات إلى القلعة ، ومنعوه الاجتماع بالناس ، وهى المرة الثالثة .

وفيه (٢) ، أشيع حضور مراكب غلايين سلطانية إلى ثغر الأسكندرية ، وسافر كبير الفرنسيس وصحبته عساكر ، فغاب أياماً ثم راجع ، ولم يظهر لهذا الخبر أثر .

وفى حادى عشرينه (٣) أعادوا الشيخ أحمد العريشى إلى القضا كما كان ، وعملوا له موكباً ، وركب معه أعيان الفرنسيس وصوارى عساكرهم ، بطبولهم وزمورهم ، وبجانبه قايمقام عبد الله منوا، الذى كان صارى عسكر برشيد ، فلم يزالوا معه حتى وصل إلى المحكمة . (٤)

وفى ذلك اليوم وقعت نادرة غريبة ، وهو أن كلهبر كبير الفرنسيس كان مع

---

١ - يوم الأحد غرة المحرم ١٢١٥ هـ الموافق ٢٥ مايو ١٨٠٠م .

٢ - أى فى خامسه يوم الخميس ٥ محرم ١٢١٥هـ الموافق ٢٩ مايو ١٨٠٠م

٣ - يوم السبت ٢١ محرم ١٢١٥ هـ الموافق ١٤يونيو ١٨٠٠م .

٤ - وردت أخبار هذا التنصيب فى سجلات محكة القسة العربية ونص الوثيقة هو : " لما كان فى اليوم المبارك الموافق لحادى عشرين شهر محرم الحرام افتتاح سنة ١٢١٥ ؛ جلس بالحكم العزيز سيدنا مولانا فخر علما الإسلام ، كمال بلغا الأنام ، الناظر فى الأحكام الشرعية ، وأمور القسمة العربية ، قاضى القضاة يومئذ بمصر المحمية ، الواثق بلطف ربه المعيد المبدى ، أحمد أبو الأتقيا العريشى الحنفى ، جعل الله قدومه خير ، وأجرا الخير على يده ، بجاه سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم " محكمة القسمة العربية سجل رقم ٢٣٠ ، ص ٣١٣ .

كبير المهندسين من الفرنسيس يسيران بدهليز البستان الذى فى داره ، فدخل عليه شخص وقصده، فأشار عليه بالرجوع وقال له : " مافيش " وكررها ، فلم يرجع وأوهمه أنه صاحب حاجة وهو ملهوف ، فلما دنا منه مد إليه يده اليسار ، فمد إليه الآخر يده ، فقبض عليها وضربه بخنجر كان أعده فى يده اليمنى ثلاث ضربات متوالية ، فسقط إلى الأرض صارخاً ، فصاح رفيقه فذهب إليه [ص٢٠٤] وضربه أيضا ضربات وهرب ، فسمع العسكر صرخة المهندس ، فدخلوا مسرعين ، فوجدوا كبيرهم مطروحاً وبه بعض الرمق ، فانزعجوا وضربوا طبلهم ، وجروا من كل ناحية يفتشون على القاتل ، واجتمع العساكر ورؤساوهم ، وهرعوا إلى الحصون والقلاع، وظنوا أنها من فعل أهل مصر ، فاحتاطوا بالبلد ، وعمروا المدافع والبنبات، وقالوا لابد من قتل أهل مصر عن آخرهم ، ووقعت هوجة عظيمة ، فى الناس وكرشة ، وشدة انزعاج وأكثرهم لا يدرى حقيقة الحال ، ولم يزالوا يفتشون على ذلك القاتل حتى وجدوه منزويا (١) فى البستان المجاور لبيت صارى عسكر ، المعروف بغيط مصباح ، بجانب حايط منه متهدم ، فقبضوا عليه ، فوجدوه شامياً، فأحضروه وسألوه عن اسمه وعمره وبلده ، فوجدوه حلبياً واسمه سليمان ، فسألوه عن محل مأواه ، فأخبرهم أنه يأوى ويبيت بالجامع الأزهر ، فسألوه عن معارفه ورفقايه وهل أخبر أحداً بفعله ؟ وهل شاركه أحد فى رأيه وأقره على فعله أو نهاه عن ذلك ؟ وكم له بمصر ؟ وعن صنعته وملته ؟ فأخبرهم أنه على ملة النبى صلى الله عليه وسلم ، وعمره أربعة وعشرون سنة ، وصنعته كاتب عربى ، وله فى مصر خمسة أشهر ، وأنه حضر إلى مصر سابقاً ، وسكن بها ثلاث سنوات ، فسألوه هل يعرف الوزير الأعظم ؟فأخبر أنه لا يعرفه، ولم يزالوا يسألوه عن مسائل ويدققون معه ، وهو يخلط لهم ويغالطهم ، فلما علموا منه المغالطة ضربوه وعاقبوه،

١ - فى النسخة [ب] مرميا " ولكن الصواب ما أثبتاه ن بقية النسخ .

حتى [٢٤١] أقر لهم أنه حضر من غزة من نحو ثلاثين يوماً ، وحضر على هجين فى ستة أيام ، بقصد قتل صارى عسكر ، وأن الذى أرسله أغاة الإنكشارية ، وذلك بعد رجوع العثمانية من مصر إلى الشام ، فسألوه هل سارر أحدا من أهل مصر وأخبره بحقيقة حاله وكشف له سره ؟ فأخبرهم أنه أخبر السيد محمد الغزى (١) والسيد أحمد الوالى ، والشيخ عبدالله الغزى ، والسيد عبد القادر الغزى ، وأشاروا عليه أنه يرجع عن هذا الفعل ، فإنه لا يمكنه ويموت ، وأن أمس تاريخه [٢٤٣] قال لهم أن مراده يقضى غرضه فى غد ، ثم أنه ذهب إلى الجيزه ، واستخبر من نواتية القنجة التى لصارى عسكر ، حتى علم بنزوله وتعديته إلى مصر ، فلم يزل يراصده حتى وصل إلى داره بالأزبكية وقضى غرضه ، ثم أنهم تركوا ما كانوا عزموا عليه من حرب البلد حين تبينت لهم حقيقة الحال ، وأمروا بإحضار الشيخ عبدالله الشرقاوى ، والشيخ أحمد العريشى ، وأعلموهم بذلك، وعوقوهم إلى منتصف الليل ، وألزموهم بإحضار الجماعة الذين ذكرهم (٢) ، فركبوا وصحبتهم الأغا وحضروا إلى الجامع الأزهر ، وطلبوا الجماعه ، فوجدوا

١- فى النسخه [أ] كتبت " العدسى " وفى النسخه [ب] " القدسى " وفى عجائب الآثار " الغزى " وربما الأصوب هى لأن كلمة السيد محمد الغزى تكررت كثيراً فى وقائع المحاكمة التى أوردها الجبرتى بنصها الذى نشره الفرنسيون ، لذا أثبتناها " الغزى " فى المتن .

٢ - عندما قتل " الحلبى" " كليبر" كان يبلغ من العمر " ٢٤ عاما " ويذكر البعض أنها لم تكن حادثة فردية بأية حال من الأحوال ، بل هى من إعداد وتنظيم ذلك التشكيل الذى ترد أخباره فى شكل همسات متناثرة فى كتابات المؤرخين ، ذلك التنظيم الذى دبر ثورة القاهرة الأولي وأعدم منه بونابرت ثمانين من القادة ، هذا التنظيم استطاع أن يوجه ضربه رائعة فى هدفها وأحكامها وذلك بتنفيذ اغتيال صارى عسكر، هذه العملية أعدتها أحدى خلايا التنظي فى الأزهر ، و بالرغم من المبالغة الواضحة فى هذا الكلام إلا أننا لا نستطيع أن ننفيه كله. راجع محمد جلال كشك : ودخلت الخيل الازهر . دار المعارف ٩٧٨: ص٣٧٥ وما بعدها

ثلاثة ولم يجدوا الرابع ، فأخذهم الأغا و حبسهم ببيت قايمقام بالأزبكية ، ثم أنهم رتبوا صورة محاكمة من رؤسايهم ومدبريهم ، وعملوا صورة دعوى وشهود ، وتحاكموا فيما بينهم بعد إقامة الدعوى والتفحص ، فحكموا بقتل الثلاثة أنفار المذكورين ، لكونهم لما سمعوا منه [ص٢٤٢] وأخبرهم ليلة أمس بأنه عازم على قصده صبح تاريخه ، كان الواجب عليهم أن يخبروا الفرنسيس بذلك، وكان من جملة من أخبر عنهم ، أنه عاشره واجتمع به ، مصطفى أفندى البرصلى الخطاط ، فأحضروه أيضا وسألوه ونجاه الله منهم لكونه لم يخبره بقصده ، وأنه عاشره فى إقامته السابقه بمصر ، وكان يتعلم منه تجويد الخط ، فحكموا ببراته ، وأطلقوا سبيله وانقضت الحكومة ، وألفوا فى ذلك كتاباً فى حجم الثلاث كراريس ، ذكروا فيه صورة الواقعة وكيفيتها والفحص عن القاتل وإحضار الشهود وإقرارهم ، وترتيب المحكمة ، ومحاكمة القضاة ، وأسمايهم وتفصيل الدعوى ، ويصمموا من ذلك جملة نسخ باللغات الثلاث : العربية والفرنساوية، والتركية (١) ، ولما فرغوا من ذلك ، اشتغلوا بأمر صارى عسكرهم المقتول ، فنقلوه إلى بيت حسن كاشف جركس الذى بالناصرية ، وصنعوا له صندوق من رصاص مسنم (٢) الغطاء ،

---

١ – لم يدون الجبرتى نص المحاكمة فى مظهر التقديس ، ولكنه عاد ودونها بنصها العربى فى عجائب الآثار ، وهو يبرر سبب إعراضه عن تدوينها فى مظهر التقديس ثم تدوينها فى عجائب الآثار بقوله " وقد كنت أعرضت عن ذكرها لطولها و ركاكة تركيبها ، لقصورهم فى اللغة ، ثم رأيت كثيراً من الناس تتشوق نفسه للاطلاع عليها لتضمنها خبر الواقعة وكيفية الحكومة ولما فيها من الاعتبار وضبط الأحكام من هؤلاء الطائفة الذين يحكمون العقل ولا يتدينون بدين ، وكيف تجارى على كبيرهم ويعسوبهم رجل آفاقى أهوج وغدره ، وقبضوا عليه وقرروه ، ولم يعجلوا بقتله و قتل من أخبر عنهم بمجرد الإقرار ، بعد أن عثروا عليه ووجدوا معه آلة القتل ملطخه بدم صارى عسكرهم وأميرهم " ، عجائب الآثار جـ٣ ، ص ١٠٨ .

٢– مسنم : أى مرتفع الغطاء كسنام الجمل .

وربما أخرجوا حشوته ، وطلوه بالأدهان الماسكة لأجزايه ، ووضعوه فى ذلك الصندوق ، ولحموا عليه الغطا بمذاب الرصاص ، وكانت قتلته يوم السبت حادى عشرينه (١) وقضوا أشغالهم فى يومين .

ونادوا ليلة الثالث (٢) فى المدينة ، بالكنس والرش فى جهات عينها حكام الشرطة ، فلما أصبحوا وضعوا ذلك الصندوق فى عربة ووضعوا عليه برنيطته وسيفه والشيش الذى قتل به وهو مغموس بدمه ، وعملوا فى العربة أربع بيارق صغار فى أركانها معمولين بشعر ، وذهبوا بها إلى الأزبكية من طريق [ص٢٤٣] المدابغ ، واجتمع أكابرهم وعساكرهم (٣) وكذلك أحضروا أكابر المسلمين من المشايخ والوجاقلية والتجار ، وخرجوا بموكب مشهده ركباناً ومشاة، ويضربون بطبولهم بغير الطريقة المعتادة ، والعسكر بأيديهم البنادق وهى منكسة إلى أسفل ، وكل شخص منهم معصب ذراعه بخرقه حرير سودا ، ولبسوا ذلك الصندوق بالقطيفة السودا وعليها قصب مخيش ، ثم انجرت جنازته ، وضربوا لها شنك مدافع وبنادق ، ومروا بها من طريق الموسكى على باب الخرق ، إلى درب الجماميز إلى جهة الناصرية ، فلما وصلوا إلى تل العقارب ، حيث القلعة التى بنوها هناك، ضربوا عدة مدافع ، وكانوا أحضروا سليمان الحلبى القاتل ، والثلاثة أنفار المظلومين (٤) ، [فخوزقوا فى ذلك الوقت الشهيد سليمان الحلبى ، وضربوا رقاب الثلاثة ، وحرقوا أبدانهم ، ورفعوا رؤسهم على خوازيق بجانبه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم] (٥) ، ثم ساروا بالجنازة إلى أن وصلوا باب قصر العينى

١- السبت ٢١ محرم ١٢١٥هـ الموافق ١٤يونيو ١٨٠٠م .

٢ – يوم الثلاثاء ٢٤ محرم ١٢١٥هـ ، الموافق ١٧ يونيو ١٨٠٠م .

٣ – هناك وصف تفصيلى للجنازه وما تم فى الموكب فى " كوربية دى لجيبت " العدد ٧ ص٢٧٠ وما بعدها .

٤ – فى النسخة (أ) " المطلوبين " وفى عجائب الآثار " المذكورين " فأثبتناها من بقية النسخ .

٥ – الفقرة التى بين القوسين محذوفه من عجائب " الآثار وكتب الجبر.تى محلها " فأمضوافيهم ما قدر الله " وعلى أية حال فالمراجع الفرنسية تشير إلى أن أعدامهم كان بعد الدفن وليس قبله .

، فرفعوا الصندوق الرصاص ووضعوه على علوة من التراب ، بوسط تخشيبه صفوها واعدوها لذلك ، وعملوا حولها درابزين [١] ، وفوقه كساء أبيض ، وزرعوا حوله أعواد سرو ، ووقف عند بابها شخصان من العسكر ببنادقهما ملازمان ليلاً ونهاراً ، يتناوبون الملازمة على الدوام ، وانقضى أمره [وذهب إلى لعنة الله] [٢] ، وولوا عوضه قايمقام الذى يسمى عبد الله جاك منوا وهو الذى كان متولى رشيد عند أول قدومهم ، وقد كان أظهر أنه أسلم ، [ص٢٤٤] وتسمى عبد الله ، وتزوج بامرأة مسلمة كرها من أهلها [٣] .

فلما أصبح ثاني يوم [٤] حضر قايمقام والآغا إلى الأزهر ودخل إليه ، وشق

١ - فى النسخه (أ) " درابزى" وفى النسخه "ب درابزون " والمقصود درابزين أى سياج خشبى ، وصححناها حتى تستقيم العبارة .

٢ - هذه العبارة محذوفه من عجائب الآثار .

٣ - كتب فى الهامش الايمن من النسخة (ب) هذه العبارة ، مطلب إظهار إسلام سرعسكر مينو و تزوجيه مسلمه وارتداده خذ الله ورحمة الله على المسلمة المخدوعة ، ويراجع وثيقة إعلان مينو لإسلامة ووثيقة زواجه من السيدة زبيدة فى سجلات محكمة رشيد الشرعية وفى : عبد الرحمن الرافعى : مرجع سابق ، جـ٢ ، ص ٣٦٢ وما بعدها .

٤ - يوم الخميس ٢٦ محرم ١٢١٥هـ الموافق ١٩ يونيو ١٨٠٠م .

فى جهاته وأورقته بحضرة المشايخ [1]

وفى ثانى يوم أيضاً حضر كبيرهم وقايمقام والأغا ، وطافوا به أيضاً ، وأرادوا حفر أماكن للتفتيش على السلاح ونحو ذلك ، ثم ذهبوا ، فشرعت المجاورون به فى نقل أمتعتهم منه ، ونقل كتبهم وإخلا الأروقة ، ونقل الكتب الموقوفة به إلى أماكن خارجة عن الجامع ، وكتبوا أسماء المجاورين فى ورقة ، وأمروهم أن لا يبيت عندهم غريب ، ولا يأوى إليه أفاقيا [2] مطلقاً ، وأخرجوا منه المجاورين من طايفة الترك ثم أن الشيخ الشرقاوى والمهدى والصاوى ، توجهوا فى عصريتها إلى عند كبير الفرنسيس منوا ، وأستأذنوه فى قفل الجامع وتسميره ، فقال بعض القبطة الحاضرون للأشياخ ، هذا لا يصلح ولا يتفق ، فحنق عليه الشيخ الشرقاوى وقال : " إكفونا شر دسايسكم يا قبطة " ، وقصد المشايخ

١ - القيادة العامة بالقاهرة فى ٢٦ بريريال . سنه ٨ ، من الجنرال عبد الله . ج . مينو ، القائد العام لجيش الشرق بالنيابة إلى الجيش :-

" أيها الجنود لقد وقع اعتداء أثيم عليكم ، واغتيل من بينكم جنرال كنتم تحبونه وتحترمونه ، اقترف ذلك عدو لايستحق إلا احتقار ومقت العالم أجمع ، ولما لم يتمكن عدوكم من قهر الفرنسيس تحت قيادة كليبر الشجاع لجأ إلى حيله دنيئة وأرسل إليه خلسة احد المجرمين لأغتياله ..... وعليكم أن تتذكروا دائما أنكم جمهوريون ، وعليكم أينما وجدتم أن تكونوا قدوه للآخرين بمعنوياتكم وطاعتكم لرؤسائكم مثل ما أنتم عليه من قدوة للشجاعة والجرأة فى المعارك التى تخوضونها .

أيها الجنود أن الأقدمية فى الرتب العسكرية هى التى جعلتنى أتحمل مؤقتاً أعباء قيادة الجيش وليس لدى فى ذلك ما أقدمه سوى الأخلاص الذى لاحد له للجمهورية وحرية فرنسا وسعادتها ، سأستمد قوتى من روح كليبر وعبقرية بونابرت ، وسنعمل جميعاً فى وفاق تام لمصلحة الجمهورية .

وسوف يطلع الجيش فى القريب العاجل على تفاصيل الاغتيال الفظيع والإجراءات التى ستتبع للقبض على المجرم وعقابه هو وشركائه فى الجريمة "

إمضاء . عبد الله .ج . مينو .

٢- أفاقيا أى غريب من الآفاق البعيدة .

من ذلك منع الريبة بالكلية ، فإن الأزهر لسعته لايمكن الإحاطة بما يدخله [١] ، فربما دس العدو من يبيت به ، واحتج بذلك على إنجاز غرضه ونيل مراده من المسلمين والفقها ، ولايمكن الاحتراس من ذلك ، فأذن كبير الفرنسين بذلك [٢] لما فيه من موافقة غرضه باطناً .

فلما أصبحوا [٣] ، قفلوه وسمروا أبوابه من ساير الجهات .

وفى غايته [٤] ، جمعوا الوجاقلية وأمروهم بإحضار ما عندهم من الأسلحة ، فأحضروا ما أحضروه [ص٢٤٥] فشددوا عليهم فى ذلك ، فقالوا لم يكن عندنا غير الذى أحضرناه ، فقالوا وأين الذى كنا نرى لمعانه عند متاريسكم ، فقالوا تلك أسلحة العساكر العثمانية والأجناد المصرية ، وقد سافروا بهم .

شهر صفر ١٢١٥هـ

استهل فى يوم الثلاثا [٥] ، فى أوايله ، سافر بعض الأعيان من المشايخ وغيرهم إلى بلاد الأرياف بعيالهم وحريمهم ، وبعضهم بعث حريمه وأقام هو ، فسافر الشيخ محمد الحريرى ، وصحب معه حريم الشيخ السحيمى ، وصهره الشيخ المهدى ، فلما رآهم الناس، عزم الكثير منهم على الرحلة ، واكتروا المراكب والجمال وغير ذلك ، فلما أشيع ذلك كتب الفرنسيس أوراقاً ، ونادوا فى الأسواق ، بعدم انتقال الناس ورجوع المسافرين ، ومن لم يرجع بعد خمسة عشر يوماً ، نهبت

١- " بما يدخله" غير موجودة فى النسخة (ب) وإثبتناها من بقية النسخ .
٢- "بذلك" غير موجودة بالنسخة (أ) .
٣ - فى صباح يوم الجمعة ٢٧ محرم ١٢١٥هـ الموافق ٢٠يونيو ١٨٠٠م .
٤ - يوم الاثنين غاية المحرم الموافق ٢٤ يونيو ١٨٠٠م .
٥ - يوم الثلاثاء غرة صفر ١٢١٥هـ الموافق ٢٤ يونيو ١٨٠٠م .

داره ، فرجع أكثر الناس ممن سافر أو عزم على السفر ، إلا من أخذ له ورقة بالإذن من مشاهير الناس ، أو احتج بعذر ، كأن يكون فى خدمة لهم ، أو قبض خراج من التزامه .

وفيه ، قرروا فردة أخرى ، وقدرها أربع ملاوين [1] ، وقدر المليون ماية وسته وثمانون ألف فرانسة ، وكان الناس ما صدقوا قرب إتمام الفردة الأولى ، بعد ما قاسوا من الشدايد ما لا يوصف ، ومات أكثرهم فى الحبوس وتحت العقوبة ، وهرب الكثير منهم ، وخرجوا على وجوههم فى البلاد ، فدهوا بهذه الداهية العظيمة ، ففردوا على العقار والدور ماتى ألف فرانسة، وعلى الملتزمين ماية وستين ألفاً ، وعلى التجار ماتى ألف ، وعلى [٢٤٦] أرباب الحرف المستورين ستين ألفا ، وأسقطوا فى نظير المنهوبات مايه ألف ، وقسموا البلدة ثمانية أخطاط ، وجعلوا على كل خطة خمسة وعشرين ألفاً ، ووكلوا بقبض ذلك مشايخ الحارات ، والأمير الساكن بتلك الخطة ، مثل المحتسب بجهة الحنفى وعمرشاه وسويقة السباعين وضرب الحجر ، ومثل زين الفقار كتخدا جهة المشهد الحسينى وخان الخليلى والغورية والصناديقية والاشرفية ، وحسن كاشف جهة الصليبة والخليفة ، وما فى ضمن ذلك كل من الجهات والعطف والبيوت ، فشرعوا فى توزيع ذلك على الدور الساكنة وغير الساكنة ، وقسموها عالاً ووسطاً ودوناً ، وجعلوا العال ستين

---

١ – هذه هى المرة الأولى التى يستخدم فيها الجبرتى رقم المليون وقد جمعه على " ملاوين " جدير بالذكر أن العرب قد طوروا عن الهنود مجموعتين من الأرقام وهى الأرقام العربية التى يكتب بها الغرب اليوم ، والأرقام الهندية وهى التى نكتب بها نحن ، ثم اخترع العرب الصفر ، وحددوا القيمة الوضعية للرقم حسب خانته وسموها خانات الآحاد والعشرات والمئات والألوف ، ولكنهم لم يعرفوا خانة المليون ، ربما لعدم حاجتهم إليها ، وكانوا إذا احتاجوها يقولون ألف ألف . راجع سجريد هونكة : شمس العرب العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون كمال الدسوقى ، دار الآفاق بيروت ، ط٧ ، ١٩٨٢ .

ريالاً ، والوسط أربعين ، والدون عشرين ، ويدفع المتساجر قدر ما يدفع المالك ، والدار التى يجدوها مغلوقه وصاحبها غايب عنها ، يأخذوا ما عليها من جيرانها .

وفى سادس عشرينه [1] ، أفرجوا عن الشيخ السادات ، ونزل إلى بيته بعد أن غلق الذى قرر عيه ، واستولوا على حصه وإقطاعه ، وقطعوا مرتباته وكذلك جهات حريمه والحصص الموقوفه على زاوية أجداده ، وشرطوا عليه عدم الاجتماع بالناس ، وأن لا يركب بدون إذن منهم ، ويقتصد فى أموره ومعاشه ، ويقلل أتباعه

شهر ربيع الأول ١٢١٥هـ

فيه [2] ، نادوا على الناس الخارجين من مصر من خوف الفردة وغيرها ، بأن من لم يحضر بعد اثنين وثلاثين يوماً من وقت المناداة ، [ص٢٤٧] نهبت داره ، وأحيط بموجوده وكان من المذنبين ، واشتد الأمر بالناس ، وضاقت صدورهم ، وتابعوا نهب الدور بأدنى شبهة ، ولا شفيع تقبل شفاعته ، أو متكلم تسع كلمته ، واحتجب كبير الفرنسيس عن الناس . وامتنع من مقابلة المسلمين وكذلك قلده عظماؤهم ، وانحرفت طباعهم عن المسلمين بزيادة عن أول ، واستوحشوا منهم ، ونزل بالرعية الذل والهوان ، وتطاولت عليهم الفرنسيس بالإهانة ، حتى صاروا يأمرونهم بالقيام إليهم عند مرورهم ، ثم شددوا فى ذلك حتى كان إذا مرّ بعض عظمايهم بالشارع ولم يقم إليه بعض الناس ، رجعت إليه الأعوان وقبضوا عليه ، وأصعدوه إلى الحبس بالقلعة ، وضربوه تأديباً وزجراً ، واستمر عدة أيام ثم يطلقوه بشفاعة بعض الأعيان .

---

١ – يوم السبت ٢٦ صفر ١٢١٥هـ الموافق ١٩ يوليو ١٨٠٠م .

٢ – استهل ربيع الأول ١٢١٥هـ بيوم الأربعاء ٢٣ يوليو ١٨٠٠م .

وفيه أنزلوا مصطفى باشا من الحبس ، وأهدوا إليه هدايا وأمتعة ، وأرسلوه إلى دمياط ، فأقام بها أياما ، وتوفى إلى رحمة الله تعالى، { ولقد كان شجاعا صارماً ، ورئيساً حازماً ، اعترف له اعداؤه باقدامه فى وقعة أبو قير ، وكاد يبيدهم لولا ما دهمه من تزايد مددهم الكثير ، ومغالبتهم له بجمعهم الكثير ، ومع ذلك فلم يقع فى حبالتهم ، حتى أفنى الكثير من أبطالهم وحماتهم ، صبر فى ذلك اليوم على المجالدة والحرب ، وأدرا راحاة الهيجا بالطعن والضرب ، ولم يأل جهداً فى نكايتهم حتى أتاح له المقدور ، ما هو فى اللوح قبل أن يخلق مقدر مسطور ، فاستسلم للقضا ، وقبل المحتم بالرضا ، وتمثل بقول من قال ، فى مثل [ص٢٤٨] هذا الحال من ظن ممن يلاقى الحروب بأن لا يصاب ، فقد ظن عجزا } . (١)

شهر ربيع الثانى ١٢١٥هـ

فيه (٢) اشتد أمر المطالبة بالمال ، وعين لذلك رجل نصرانى قبطى يسمى شكر الله ، فنزل بالناس منه ما لا يوصف فكان يدخل إلى دار أى شخص كان لطلب المال ، وصحبته العسكر من الفرنسيس والفعلة ، وبأيديهم آلات الهدم ، فيأمروهم بهدم الدار إن لم يدفعوا له المقرر وقت تاريخه من غير تأخير ، وخصوصاً ما فعله ببولاق ، فإنه كان يحبس الرجال مع النساء ، ويدخن عليهم بالقطن والمشاق ، وينوع عليهم العذاب ، ثم رجع إلى مصر يفعل ذلك

فيه ، أغلقوا جميع الوكايل والخانات على حين غفلة فى يوم واحد ، وختموا

---

١ – ما بين القوسين محذوف من " عجائب الآثار " .

٢ – كلمة فيه أى فى الشهر وهذه اليومية واليوميات التالية غير محددة التاريخ ، وكذلك يوميات شهر ربيع الأول سنة ١٢١٥هـ .

على جميعهم ، ثم كانوا يفتحونهم وينهبون ما فيهم من جميع البضايع والأقمشة والعطرى والدخان والبن وغير ذلك ، خاناً بعد خان ، فإذا فتحوا حاصلاً من الحواصل ، قوموا مافيه بما أحبوا بابخس الأثمان ، وحسبوا غرامته ، فإن بقى لهم شئ أخذوه من حاصل جاره ، وإن زاد لهم شئ أحالوه على جاره كذلك ، وهكذا حتى أخلوا جميع الوكايل والخانات من ساير البضايع ، على الرجال و الجمال والحمير والبغال ، وأصحابها تنظر وقلوبهم تتقطع حسرة على نهب أموالهم، وإذا فتحوا حاصلا أو مخزنا ، دخله أمناؤهم ووكلاهم فيأخذون ما يجدونه من الودايع الخفيفة ، وحرر الدراهم والدنانير ويخفونها وصاحب المحل لا يقدر على الدنو منه [ص٢٤٩] ولايتكلم ، بل ربما هرب ، أو كان غايبا .

وفيه ، حرروا دفاتر العشور ، وأحصوا جميع الأشياء الجليلة والحقيرة ، ورتبوها بدفاتر ، وجعلوها أقلاماً مفردة ، يتقلدها من يقوم بدفع مالها المحرر ، وجعلوا جامع أزبك (١) الذى بالأزبكية سوقاً لمزاد ذلك ، بكيفية يطول شرحها ، وأقاموا على ذلك أياماً كثيرة ، يجتمعون لذلك فى كل يوم ، ويشترك الاثنان فاكثر فى القلم الواحد ، وفى أقلام متعددة .

---

١ – جامع أزبك : هذا الجامع بشارع بركة الفيل ، أمر بإنشائه الأشرف الكريم العالى السيفى أزبك اليوسفى فى شهر شعبان سنة تسعمائة ، وعليه باب خشب بعضه ملبس بالنحاس ، وله طرقة مفروشة بالرخام لها بابان و أرضه مفروشة بالرخام الملون ، وبدائر صحنه من أعلى – حفرا فى الحجر – آيات قرآنيه ومكتوب بحائط الصحن القبلية : أمر بإنشاء هذه المدرسة المعز الاشرف الكريم العالى المولوى السيفى أزبك اليوسفى أمير سر نواب النوبة المالكى الأشرافى ، وكان الفراغ من ذلك المكان المبارك فى شهر صفر سنه تسعمائه ، وله أماكن موقوفه عليه للإتفاق عليه .
على مبارك ، مرجع سابق ، ج٤ ص١١٦ .

وفيه ، كثر الهدم في الدور ، وخصوصاً في دور الأمرا ومن فرّ من الناس ، وكذلك كثر الاهتمام بتعمير القلاع وتحصينها ، وإنشاء قلاع في عدة جهات ، وبنوا بها المخازن والمساكن، وصهاريج الماء وحواصل الجبخانات ، واستمر الحال على النسق .

شهر جمادى الأولى ١٢١٥هـ

واستهل شهر جمادى الأولى [١] والأمور من أنواع ما ذكر تتضاعف ، والظلمات تتكاشف ، وشرعوا في هدم أخطاط الحسينية وخارج باب الفتوح وباب النصر ، من الحارات والدور والبيوت والمساكن والمساجد والحمامات والحوانيت والاضرحة ، فكانوا إذا دهموا داراً وركبوها للهدم لا يمكنون أهلها من نقل متاعهم ، ولا أخذ شئ من أنقاض دارهم ، فينهبوها ويهدموها ، وينقلون الأنقاض النافعة من الأخشاب والبلاط إلى حيث عمارتهم وأبنيتهم، وما بقي يبيعون منه ما احبوا بأبخس الأثمان ولوقود النيران ، وما بقي من كسارات الخشب يجعلونه الفعلة حزماً ، ويبيعونه على الناس بأغلى الأثمان ، لعدم حطب الوقود ، فانهدم للناس من الأملاك [ص٢٥٠] والعقار مالا يقدر قدره ، وذلك مع مطالبتهم بما تقرر على أملاكهم ودورهم من الفردة ، فيجتمع على الشخص النهب والهدم والمطالبة في آن واحد ، وبعد أن يدفع ما على داره ، وما صدق أنه غلق مّا عليه دهموه بالهدم ، فيسفيث فلا يغاث ، فترى الناس حيارى وسكارى [٢] ، ثم بعد ذلك كله يطالب بالمنكر من الفردة ، وذلك أنهم لما قسموا الأخطاط كما تقدم ، وتولى ذلك

١- يوم السبت غرة جمادى الأولى ١٢١٥هـ الموافق ٢٠ سمبتمبر ١٨٠٠م .

٢- ومع ذلك يأتي من أحفادهم من يرغب في الاحتفال بالحملة الفرنسية و إقامة الأعياد بمناسبة مرور مئتي عام على مجيئها .

أمـيـر الخطة ، وشـيـخ الحـارة والكتـبـة والأعـوان ، وزعـوا ذلك برأيهم ومـقـتـضى أغـراضـهم ، فـأول مـا يجتـمـعون بديوانـهم يشـرع الكتـبـة فى كـتـابـة التنابيـه ، وهى أوراق صغار باسم الشخص ، والقدر المقرر عليه ، وعلى عقاره ، بحسب اجتهادهم ورأيهم ، وفى هامشـهـا حق طريق المعين ، ويعطون لكل واحـد من أوليك القـواسـة عدة من تلك الأوراق ، فقبل أن يفتح الإنسان عينيه ، مـا يشعـر إلا والمعين واقف على بابه ، وبيده ذلك التنبيه، فيوعده حتى يسعى على حاله ، فلا يجد بُداً من دفع حق الطريق ، فمـا هـو إلا أن يفارقه حتى يأتيه آخر بتنبيه مثله ، فيفعل معه مثل الأول ، وهكذا على عدد الساعات ، فإن لم يجد المعين المطلوب ، وقف ذلك القواس على داره ، ورفـع صـوته وتطاول على حـريمه أو خـادمـه بالسب والشـتم ، فـيـسـعى الشخص جهـده حتى يغلق مـا تقرر عليه الحال بشفاعة ذى وجاهة أو نصرانى ، ويظن أنه قد خلص إلا والطلب لاحـقه أيضـاً بمعين وتنبيه ، فـيقـول [ص٢٥١] مـا هذا ، فـقـال له أن الفـردة لم تكمل ، وبقى منهـا كـذا وكـذا ، وجـعلنا على العـشـرة خمسة أو ثلاثة أو ما سولت لهم أنفسهم ، فيرى الشخص أنه لابد من ذلك ، فما هو إلا أن خلص أيضـاً ، إلا ويطالب بمنكسر آخر ، وهكذا كان الحال ، ومثل ذلك ما قدر على الملتزمين ، فكانت هذه الكسورات من أعظم الدواهى المغلقة ، ونكسات الحمى المطبقة .

وفى خامسه [1] ، وكان عيد الصليب ، وهو انتقال الشمس لبرج الميزان ، والاعـتـدال الخـريفى ، وهو أول سنة الفـرنسـيس وهى السنة التـاسـعـة من تاريخ

---

١ – يوم الأربعاء يوافق يوم ١٥ توت ١٥١٧ قبطيه، ويبدو أن التواريخ التى ذكرها الجبرتى تقريبية لأن الاعتدال الخريفى يكون يوم ٢٣ سبتمبر والانتقال لبرج الميزان ٢٢ سبتمبر ، وعيد الصليب ١٧ توت وشهر فند يمير ٢٢ / ٢٣ سبتمبر، وعلى أية حال فإن يوم الأربعاء ٥ جمادى الأولى ١٢١٥هـ يوافق ٢٤ سبتمبر ١٨٠٠م .

قيامهم ، ويسمى عندهم فنديميير [1] ، وذلك يوم عيدهم السنوى ، فنادوا بالزينة بالنهار ، والوقدة بالليل ، وعملوا شنكات ومدافع وحراقات ووقدات بالأزبكية والقلاع ، وخرجوا صبح ذلك اليوم بمواكبهم وعساكرهم وطبولهم وزمورهم إلى خارج باب النصر ، وعملوا مصافهم وملاعب حروبهم ، وخطب خطيبهم بعد انقضاء مصافهم ، فقرأ عليهم كلاماً بلغتهم على عادتهم لا يدرى أين هو، وكأنه مواعظ حربية ، ثم راجعوا بعد الظهر [2] .

شهر جمادى الثانية ١٢١٥هـ

واستهل شهر جمادى الثانية [3] ، فيه ، قرروا على مشايخ البلاد مقررات يقومون بدفعها فى كل سنة ، أعلى وأدنى وأوسط ، الأعلى وهى البلدة التى مجتمع طينها ألف فدان فأكثر ، خمسماية ريال ، والأوسط وهى ما كانت خمسماية فدان فأزيد ، ثلاثماية ريال ، والأدنى ماية وخمسون ، وجعلوا الشيخ سليمان الفيومى وكيلاً فى ذلك فيكون عبارة عن " شيخ المشايخ " ، وعليه حساب [ص٢٥٢] ذلك ، وهو من تحت يد الوكيل الفرنساوى الذى يقال له " بريزون " ، فلما شاع ذلك ، ضجت المشايخ لأن منهم من لا يملك عشاه ، فاتفقوا على توزيع ذلك على الأطيان ، وزيدت فى الخراج ، واستملوا البلاد والكفور من القبطة

---

١ – شهر فنديميير : " Vendemiare" وهو الشهر الأول من تقويم الجمهورية الفرنسية الأولى ويبدأ من ٢٢ أو ٢٣سبتمبر وينتهى فى ٢١ / ٢٢ اكتوبر .

٢– أضاف الجبرتى يومية فى عجائب الآثار إلى يوميات شهر جمادى الأولى ونصها " وفى هذه السنة زاد النيل زيادة مفرطة لم يعهد مثلها فيما رأينا حتى انقطعت الطرقات وغرقت البلدان وطف الماء من بركة الفيل وسال إلى درب الشمسى وكذلك حارة الناصرية ، وسقطت عدة دورمن المطلة على الخليج ، ومكث راقداً إلى آخر توت " .

٣ – استهل شهر جمادى الآخر بيوم الاثنين ٢٠ أكتوبر ١٨٠٠م .

فأملوهما عليهم ، حتى الكفور التى خربت من مدة سنين بل سموا أسماء من غير مسميات .

وفيه ، شرعوا فى ترتيب الديوان على نسق غير الأول من تسعة أنفار متعممين ، أى علما لا غير (١) ، وليس فيهم قبطى ولا وجاقلى ولا شامى ولا غير ذلك ، وليس فيه خصوصى ولا عمومى على ماسبق شرحه ، بل هو ديوان واحد مركب من تسعة أشخاص وكاتبين مسلمين وكاتب فرنساوى ، وترجمانين كبير وصغير والوكيل المسمى [بلسانهم " كمسارى " ومعناه لفظ الوكيل ، واسم ذلك الوكيل] (٢) " فوريه " ويقال له " مدبر سياسة الأحكام الشرعية " (٣) وجعلوا لمقدمة ذلك الديوان مقدماً ، وخمسة رجال قواسة .

وفى خامس عشره (٤) ، شرعوا فى جلسة ذلك الديوان .

---

١ – كان عدد الأعضاء فى الديوان الجديد تسعة : الشرقاوى والفيومى والأمير والمهدى ، والبكرى والسرسى ومؤرخنا الجبرتى والسيد على الرشيدى صهر مينو وكان مينو قد أفرج عن السادات إلا أن هذا الأخير قد جرد من الجزء الأعظم من ممتلكاته وهو لا يمارس بعد تدخلاً عاماً ، ومن جديد يصبح فورييه مفوضاً فرنسياً لدى الديوان . ووجه مينو بياناً للشعب أن الفرنسيين ما جاءوا إلى مصر إلا لجلب السعادة إليها وما إلى ذلك ، ثم طلب منهم مينو أن يكتبوا رسالة لبونابرت فحررها الشيخ المهدى وأرسلها إليه فسر بونابرت من ذلك سروراً عظيماً . راجع هنرى لورنس ، مرجع سابق ، ص٥٤٤ وما بعدها .

٢ – العبارة التى بين القوسين غير موجود فى النسخة (أ) فأثبتناها من بقية النسخ ، ولفظ كمسارى هنا يقصد بها قومسير أى الوكيل Commissaire .

٣ – كان المسيو فورييه Fourier من علماء الرياضيات ، و سكرتيراً للمجمع العلمى ، وتولى رئاسة الإدارة القضائية فى أواخر عهد الحملة ، وله أبحاث هامة فى وصف مصر ، وهو الذى وضع مقدمة الكتاب ، وبعد عودته إلى فرنسا انتخب عضواً بالمجمع العلمى الفرنسى سنة ١٨١٦ ، وتوفى عام ١٨٣٠م ، وأقيم له تمثال فى بلده أوكسير Auxerre مسقط رأسه . راجع الرافعى : مرجع سابق ، جـ١ ، ص ١٢٦ .

٤ – يوم الاثنين ١٥ جمادى الآخرة ١٢١٥هـ الموافق ٣ نوفمبر ١٨٠٠ م .

وفى ثالث عشرينه (1) أمروا بجمع الشحاذين - أى السؤال - بمكان ، وينفق عليهم نظار الأوقاف .

وفيه أيضاً ، أمروا بضبط إيراد الأوقاف ، وجمعوا المباشرين لذلك ، وكذلك الرزق الأحباسية و الأطيان المرصدة على مصالح المساجد والزوايا ، وأرسلوا بذلك إلى حكام البلاد والأقاليم .

وفى غايته (2) ، حضر رجل إلى الديوان يشكو ويستغيث ، بأن قلق الفرنسيس قبض على ولده وحبسه عند قايمقام ، وهو رجل زيات ، وسبب ذلك أن امرأة جاءت لتشترى منه سمناً ، فقال لها : " لم [ص٢٥٣] يكن عندى سمن " ، فكررت عليه السؤال حتى حنق منها ، فقالت له : " كأنك تدخره (3) حتى تبيعه على عسكر العثمنلى " ، تريد بذلك السخرية ، فقال لها : " نعم رغماً عن أنفك وأنف الفرنسيس " ، فنقل مقالته غلام (4) كان حاضراً معهما ، حتى أنهوه إلي قايمقام فأحضره وحبسه ، ويقول أبوه : " أخاف أن يقتلوه " ، فقال الوكيل : " لا يقتل بمجرد هذا القول وكن مطمئنا ، فإن الفرنسين لا يظلمون

فلما كان فى اليوم الثانى (5) ، قتل ذلك الرجل ، ومعه أربعة لا يدرى ذنبهم ، [وذهبوا إلى رحمة الله تعالى] (6)

---

١ – الثلاثاء ٢٣ جمادى الأخر الموافق ١١ نوفمبر ١٨٠٠ م .

٢ – يوما الاثنين ٢٩ جمادى الآخر ١٢١٥هـ الموافق ١٧ نوفمبر ١٨٠٠م .

٣ – فى النسخة (ب) تخزنه " والصواب ما أثبتناها من بقية النسخ

٤ – فى النسخة (ب)"فنقل ذلك عن "غلاما" والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٥ – أى فى غرة رجب ١٢١٥هـ الموافق يوم الثلاثاء ١٨ نوفمبر ١٨٠٠م .

٦– هذه العبارة محذوفة من عجائب الآثار وكتب بدلها "وذهبوا كيوم مضى " وهذا هو العدل الفرنسى الذى زعموه عند محاكمة قاتل كليبر التى كانت ذراً للرماد ، فهم لا يحاكمون إلا من ثبتت عليه التهمة ، وأما البرئ فيقتل بغير محاكمة " .

شـهـر رجـب ١٢١٥هـ

واستهل شهر رجب [١] ، والطلب والهدم والنهب والسلب مستمر ومتزايد ، وأبرزوا أوامر أيضاً بتقرير مليون على الصنايع والحرف ، يقومون بدفعه كل سنة ، وهو مـاية ألف ريال فرانسة وستة وثمـانون ألف فرانسة ، ويكون الدفع على ثلاث مرات ، كل أربع أشهر يدفع من المقرر الثلث ، وهو اثنان وستون ألفاً . فتحيرت أفكار الناس بما دهاهم ، واختلطت أذهانهم ، وزاد وسواسهم ، وأشيع أن يعقوب القـبطى هو الذى تكفل بقـبض ذلك من المسلمين، ويقلد أمـر ذلك إلى شكر الله وأضرابه [٢] ، من شياطين أقباط النصارى ، واختلفت الروايات فقيل أن قصده توزيعها ، وأن يجعلها على العقـارات والدور ، وقيل بل قصده توزيعها بحسب الفردة السابقة ، وذلك عشرها لأن الفردة السابقة كانت عشرة ملايين ، فالذى دفع عشرة فى الفردة السابقة ، يدفع واحد فى فردة المليون ، وذلك على الدوام والاستمرار . ثم قيدوا [ص٢٥٤] لذلك شخصاً فرنساوياً يقال له " دناويل " ، وسموه " مدبر الحرف " فجمع العرفا وفرد عليهم كل عشرة أربعة ، فمن دفع عشرة فى الفردة يدفع أربعة الآن ، فعورض فى ذلك، وقيل له إن هذا غير المنقول ، فقال هذا باعتبار من خرج من البلد ومن لم يدخل فى هذه الفردة ، كالمشايخ والفقها والفارين ، فإن الذى جعل عليهم أضيف على من بقى ، فاجتمع التجار وتشاوروا يما بينهم فى شأن ذلك ، فرأوا أن هذا شئ لا طاقة للناس به من وجوة الأول وقف الحال ، وكساد الصنايع ، وانقطاع الأسفار ، وقلة ذات اليد ، وذهاب البقية التى كانت فى أيدى الناس فى النوازل والفرد والدواهى المتتابعة ، الثانى

١- استهل شهر رجب ١٢١٥هـ بيوم الثلاثاء ١٨ نوفمبر ١٨٠٠م

٢ - فى النسخة (ب) "وأقرانه"

أن الموكلين بالفرد السابقة وزعوا على التجار والمتسببين ، وكل من كان له اسم فى الدفتر من مدة سنين ، ثم ذهب ما في يده ، وافتقر حاله ، وخلى حانوته وكيسه ، فألزموه بشقص من ذلك ، وكلف به وكتب أسمه فى دفتر الدافعين ، ويلزمه ما يلزمهم ، وليس ذلك فى الإمكان ، الثالث أن الحرفة التى دفعت مثلاً ثلاثون (١) ألفاً يلزمها ثلاثة آلاف فى السنة على الرأى الأول ، وعلى الثانى اثنى عشر الفاً ، وقد قل عددهم ، وأغلقت أكثر حوانيتهم لفقرهم وهجاجهم ، وخصوصاً إذا ألزموا بذلك المليون يفر الباقون ، ويبقى من لا يمكنه الفرار ، ولا قدرة للبعض بما يلزم الكل .

وفيه ، أمر وكيل الديوان بتحرير قايمة تتضمن أسما الذين تقلدوا قضا البلدان من طرف القاضى ، والذين لم يتقلدوا ، وأخبر أن [ص٢٥٥] السر فى ذلك أن مناصب الحكام الشرعية، استقر النظر فيها له ، وأنه لابد من استيناف ولايات القضا - حتى قاضى مصر - بالقرعة ، من ابتدا سنة الفرنساوية ، ويكتب لمن تطلع له القرعة تقليداً من صارى عسكر الكبير، فكتب له القايمة كما أشار (٢) .

وفى رابعه (٣) ، قتلوا جماعة من المسلمين بالرملية وغيرها ، ونودى عليهم : " هذا جزا من يذكر الفرنسيس والعثمنلى ".

وفى سادسه (٤) ، عملت قرعه قاضى مصر ، على شرطها لقاضى مصر ،

١- هكذا فى الأصل والصواب " ثلاثين " .

٢ - راجع : الشيخ أحمد العريشى : بيان طريق القضاه وأسماؤهم بمصر مخطوط بدار الكتب المصرية .

٣- يوم الجمعة ٤ رجب ١٢١٥ هـ الموافق ٢١ نوفمبر ١٨٠٠م .

٤- يوم الأحد ٦ رجب ١٢١٥هـ ، الموافق ٢٣ نوفمبر ١٨٠٠م .

وكررت ثلاث مرات ، فاستقرت للشيخ أحمد العريشى على ما هو عليه ، وكتب له التقليد بعد مدة طويلة .

وفى ثامنه [1] ، قتل غلام وجارية بباب الشعرية ، ونودى عليهما:"هذا جزا من خان وغش وسعى بالإفساد" فيقال : أنهما كانا يخدمان فرنساوياً فدسا له سماً وقتلاه .

وفى تاسعه [2] ، حضر جماعة من الوجاقلية إلى الديوان ، وذكروا أنهم كانوا تعهدوا بباقى الفردة المطلوبة ، من الملتزمين ، وقدر ذلك الباقى خمسة وعشرون ألف ريالاً فرانسة ، وقد استدانوا لذلك قدراً من البن بمبلغ خمسة وثلاثون ألف فرانسة ، ليوفوا ما عليهم من الديون ، وأنهم أرسلوا إلى حصصهم يطالبون الفلاحين بما عليهم من الخراج ، فامتنعوا من الدفع لهم ، وأخبروا أن الفرنسيس أمروهم بعدم دفع المال للملتزمين ، فكتب لهم عرض حال فى شأن ذلك ، وأرسل إلى كبير الفرنسيس ولم يرجع جوابه .

وفى رابع عشره [3] ، صنع الجنرال "بليار" المعروف بقايمقام ، وشيخ البلد ، طعاماً وليمة، ودعا مشايخ الديوان والوجاقلية وأعيان [ص٢٥٦] التجار وأكابر نصارى القبط والشوام، ومدا أسمطة حافلة ، وتعشوا عنده ثم ذهبوا إلى بيوتهم .

وفى خامس عشرينه [4] ، طيف بامرأتين فى شوارع مصر بين يدى الحاكم، ينادى عليهما هذا جزا من يبيع الأحرار . وذلك أنهما باعتا امرأة لبعض نصارى الأروام بتسعة ريال .

---

١ - يوم الثلاثاء ٨ رجب ١٢١٥هـ ، الموافق ٢٥ نوفمبر ١٨٠٠م .

٢ - يوم الأربعاء ٩ رجب ١٢١٥هـ ، الموافق٢٦ نوفمبر ١٨٠٠م .

٣- يوم الاثنين ١٤ رجب ١٢١٥هـ الموافق ١ ديسمبر ١٨٠٠م .

٤ - يوم الجمعة ٢٥ رجب ١٢١٥هـ الموافق ١٢ ديسمبر ١٨٠٠م ، جدير بالذكر أن هذه اليومية قد وردت فى عجائب الاثار بتاريخ يوم الأربعاء ٢٢ رجب ١٢١٥هـ .

وفيه (١) ، طلب الخواجا الفرنساوي المعروف بموسى كافوا من الوجاقلية بقية الفردة المتقدم ذكرها ، فأجابوا ، بأن سبب عجزهم عن غلاقها توقف الفلاحين بأمر الفرنساوية ، وعدم تحصيل المال من بلادهم ، ثم أحيلوا بعد كلام طويل على " استوف " الخازندار ، لأن ذلك من وظايفه ، من وظايف الديوان .

وفي سابع عشرينه (٢) ، حضر الوجاقلية وصحبتهم بعض الأعيان ، وبعض النسا الملتزمات يستغيثون بأرباب الديوان ، ويقولون أنه بلغنا أن جمهور الفرنساوية يريدون وضع أيديهم على جميع الالتزام المفروج عنه ، الذي دفعوا حلوانه ومغارمه ، ويرفعوا أيدى الملتزمين عن التصرف في الالتزام جملة كافية ، وقد كان قبل ذلك أنهى الملتزمون الذين هم يفرجوا لهم عن حصصهم ، إما لفرارهم وعودهم بالأمان ، وإما لقصر أيديهم عن الحلوان ، وإما لشراقى بلادهم ، وإما لانتظارهم الفرج وعود الدولة العثمانية ، فيتكرر عليهم الحلوان ، ومغارم لشراقى البلاد ، فلما طال المطال ، وضاق حال الناس ، أعرضوا أمرهم وطلبوا من الفرنسين الإفراج عن بعض ما كان بأيديهم ، ليتعيشوا به ، ووقع في ذلك بحث [ص٢٥٧] طويل (٣) ، ومناقشات يطول شرحها ، ثم ما كفى حتى بلغهم أن القصد نزع المفروج عنه أيضا ، ورفع أيدى المسلمين بالكلية ، وأنهم يستغيثون (٤)

١- أي يوم الجمعة ٢٥ رجب .

٢- يوم الاحد ٢٧ رجب ١٢١٥ الموافق ١٤ ديسمبر ١٨٠٠م .

٣ - كلمة " طويل " غير موجودة في النسخة (ب) فأثبتناها من بقية النسخ .

٤ - كلمة " يستغيثون " غير موجودة في النسخة (أ) فأثبتناها من بقية النسخ .

ويتشفعون به ، ويقضون ديونهم التى استدانوها فى الحلوان [١] ومغارم الفردة ، فقال "فوريه" الوكيل هل بلغكم ذلك من طريق صحيح ؟ "

فقالوا " نعم بلغنا من بعض الفرنساوية " ، وقال الشيخ البكرى : " وأنا سمعته من الخازندار " وقال الشيخ المهدى مثل ذلك ، وأنهم يريدون تعويضهم من أطيان الجمهور ، فقال الملتزمون : " إن بيدنا التمكينات والتمسكات من سلفكم بونابارته ، ومن السلاطين السابقين ونوابهم ، وقائمون بدفع الخراج ، كما كان أسلافنا و أسيادنا ، ونحو ذلك من الكلام ، ثم ذكروا أنهم إذا رفعت أيديهم عن معايشهم ، أصبحوا فقرا وصعاليك ، ولا تأتمنهم الناس ، واضطروا إلى الخروج من البلد ، ، وارتحلوا عنها وخربت ديارهم ، وطال البحث والكلام فى ذلك [والوكيل مع هذا ينكر وقوع ذلك بالمرة ، ويناقش أخرى ، إلى أن انتهى الكلام] [٢] بقوله : " إن الكلام فى هذا وأمثاله ليس من وظيفتى ، فإنى حاكم سياسة الشريعة ، ولست مدبر أمر البلاد ، نعم وظيفتى المعاونه والنصح فقط ".

---

١ – الحلوان : هو الثمن الذى يدفع عن طريق المزاد أو المصالحة لشراء حق حيازة المقاطعات الزراعية أو الجمركية التى تخلو لموت أصحابها أو فراغهم عنها وكانت إيرادات الحلوان من هذا النوع تدفع لخزينة مصر ، وكان للسلطان الحق التقليدى لكل حاكم مسلم والذى كان يبيح له ضم ممتلكات من يتوفون دون ورثة أو يكونون مدينين للخزينة ، وقد ترك السلطان إيرادات الحلوان وإيرادات ممتلكات المدنيين الذين يتوفون دون ورثة لكل من باشا مصر وخزنتها فى القرن السابع عشر ، واحتفظ السلطان لنفسه بالحلوان وإيرادت بيت المال التى تؤخذ من مقاطعات الأشخاص الذى يقتلون بأمر الباشا أو ينفون من مصر بسبب تمردهم ضد السلطان فيها ، وهنا أصبحت الإيرادات التى يحصل عليها السلطان من هذه المصدر أهم إيرادات يحصل عليها من مصر ، وخاصة فى أواخر القرن الثامن عشر .
د/ ليلى عبد اللطيف : مرجع سابق ص٣٧٣ .

٢ – ما بين القوسين مفقود من النسخة (أ) .

وفى ثامن عشرينه [1] ، اتفق أن جماعة من أولاد البلد خرجوا إلى جهة الشيخ قمر بقصد النزهة [2] ، ومعهم جماعة من أرباب الملاهى ، يغنون ويضحكون ، فنزل إليهم جماعة من العسكر الفرنساوية المقيمين بجامع الظاهر بيبرس الذى اتخذوه قلعة خارج الحسينية ، فقبضوا عليهم وحبسوهم وأرسلوا شخصاً منهم إلى قايمقام بليار ، وأخبروه بمكانهم ليستفسر عن شأنهم ، فلقيه ثم رده إلى القلعة الظاهرية ثانياً ، فبات عند أصحابه ثم طلبهم فى ثانى يوم ، فذهبوا وصحبتهم جماعة من العسكر يحملون البنادق ، فقابلوه وعرف شأنهم ، وخلى سبيلهم فذهبوا إلى منازلهم .

شهر شعبان ١٢١٥هـ [3]

فيه ، أجيب الملتزمون بإبقا التزامهم عليهم ، وأنكروا ما قيل فى رفع أيديهم ، وعوتب من صدق هذه الأكذوبة ، وإن كانت صدرت من الخازندار ، فإنما هى كانت على سبيل الهزل ، أو يكون التحريف من الترجمان أو الناقل .

وفيه ، حضر التجار إلى الديوان ، وذكروا أمر المليون ، وأن قصدهم يجعلوه موزعاً على الروس ، ولا يمكن غير ذلك ، وطال الكلام والبحث فى خصوص ذلك ، ثم انحط الأمر على تفويض ذلك لرأى العقلا من المسلمين ، وأنهم يجتمعون ويدبرون رأيهم فى ذلك بشرط أن لا يتداخل معهم فى هذا الأمر نصرانى قبطى ،

١- يوم الاثنين ٢٨رجب ١٢١٥هـ الموافق ١٥ ديسمبر ١٨٠٠م ، وقد وردت هذه اليومية فى عجائب الآثار بتاريخ ٢٥ رجب ، وهى بذلك فى غير تسلسلها التاريخى الذى درج عليه المؤلف ولذلك فتاريخ ٢٨ رجب هو الأصوب.

٢ – فى جميع النسخ كتبت " النزاهة " والصواب كما صححناها " النزهة "

٣ – استهل شهر شعبان بيوم الخميس ١٨ ديسمبر ١٨٠٠م ، واليوميات المذكورة فيما يلى غير محددة التاريخ ولا يمكن ضبط يوم حدوثها لأن " الهاء " فى كلمة " فيه " عائدة على شهر شعبان وليس على يوم معين .

وهم الضامنون لتحصيله بشرط عدم وقوع الهرج في الناس والجور ، وأن لا يجعلوا شيئا على النسا ولا على الصبيان ولا الفقها ولا الخدم ، ولا فقرا الرعية ، ويراعي في ذلك حال الناس وقدرتهم وصناعتهم ومكاسبهم ، ثم ترجوا عندهم في أن يضيفوا إلى المدينة بولاق ومصر القديمة ، فلم يجابوا لذلك وجعلوهما مستقلين وقدروا عليهما قدراً أخر غير ما قرروه على مصر .

وفيه [1] ، لخصوا عرضاً خطاباً لكبير الفرنسيس ، ولطفوا فيه العبارة ، فأجيبوا[ص٢٥٩] إلى طلبهم ماعدا بولاق ومصر القديمة ، وأخرجوا من أرباب الحرف : الصيارف والكيالين والقبانية ، وقدروا عليهم بمفردهم ستين ألف فرانسة، خلاف ما يجئ عليهم من المليون أيضاً ، يقومون بدفعها كل سنة ، ووجه تخصيص الثلاث حرف دون غيرها ؛ أن صناعتهم من غير رأس مال .

وفيه ، أفردا ديواناً لذلك ببيت داود كاشف ، خلف جامع الغورية ، وتقيد لذلك السيد أحمد الزرو ، وإبراهيم أفندي كاتب البهار ، وأحمد بن محمود محرم ، وطايفة من الكتبة ، وشرعوا في تحرير دفاتر بأسماء الناس وصناعاتهم ، وجعلوهم طبقات ، فيقولون فلان من نمرة عشرة أو نمرة خمسة أو ثلاثة أو اثنين أو واحد ، ومشوا على هذا الاصطلاح .

وفيه ، أبطلوا عشور الحرير الذي يتورد من دمياط إلى المحلة الكبرى .

وفيه ، أرسل كبير الفرنسيس يسأل المشايخ عن الذين يدورون بالأسوق ، ويكشفون عوراتهم ويصحيون ويصرخون ويدعون الولاية ، وتعتقدهم العامة ، ولا يصلون صلاة المسلمين، ولا يصومون ، هذا جايز في الأسلام أو حرام في

---

١ - أي في شهر شعبان ١٢١٥هـ ، حيث يلاحظ أن معظم يوميات هذا الشهر مجملة بدون ذكر تاريخ اليوم .

الشريعة ؟ فأجابوه بأن ذلك حرام ومخالف لديننا وشرعنا وسنتنا ، فشكرهم على ذلك ، وأمر الحكام بمنعهم والقبض على من يروه بهذا الوصف ، فإن كان مجنونا ربط في المارستان ، أو غير مجنوناً ، فأما أن يرجع عن حالته أو يخرج من البلد .

وفيه ، أرسل رئيس الأطبا الفرنساوى (1) ، نسخاً من رسالة ألفها فى علاج الجدرى لأرباب الديوان ، لكل [ص٢٦٠] واحد نسخة على سبيل المحبة – بزعمه – (2) والهداية ، ليتناقلها الناس ويستعملون ما أشار إليه فيها من العلاجات لهذا الداء العضال ، فقبلوا منه ذلك وأرسلوا له جواباً يشكرون همته فى ذلك .

وفى حادى عشره(3) ، وجدت امرأة مقتولة ببستان عمر كاشف ، بالقرب من قناطر السباع ، فتوجه بسبب الكشف عليها رسول القاضى والأغا ، وأخذوا الغيطانية وحبسوهم ، وكان بصحبتهم القبطان الحاكم بالخط ، ولم يعلم القاتل ، ثم أطلقوا الغيطانية بعد أيام .

وفيه ، كمل المكان الذى أنشأوه بالإزكية عند المكان المعروف بباب الهوا ، وذلك المكان الذى أنشأوه يسمى عندهم "بالكُمِدِى" (4) ، وهو عبارة عن محل

---

١ – هو الدكتور ديجنت Desgenettes كبير أطباء الحملة الفرنيسة في إيطاليا ومصر ، ألف أبحاث طبية عن مصر ، وله إحصاءات دورية عن وفيات القاهرة زمن الحملة نشرت فى " وصف مصر " ، وله كتاب " التاريخ الطبى لجيش الشرق " ذكر فيه أنه أرسل للديوان ٢٥٠ من رسالته فى الجدرى ، و ٥٠ نسخة للسيدة نفيسة المرادية ، وقد توفى عام ١٨٣٧ ، راجع الرافعى : مرجع سابق ، جـ١ ، ص ١٣٤ – ١٣٥ .

٢ – كلمة " بزعمه " محذوفة من عجائب الآثار ، ويضيف الجبرتى فى آخر هذه اليومية تعليقاً فيه " وهى رسالة لا بأس بها فى بابها " .

٣ – يوم الأحد ١١ شعبان ١٢١٥ هـ الموافق ٢٨ ديسمبر ١٨٠٠ م .

٤ – فى النسخة (ب) " يسمى فى لغتهم بالكمدى " والصواب ما أثبتناها من بقية النسخ.و " الكُمِدى " تعنى الملهى أو المسرح ، ومنها كلمة الكوميديا بمعنى الملهاة .

يجتمعون به كل عشرة ليالى ليلة ، يتفرجون به على ملاعيب يعملونها مقدار أربع ساعات من الليل ، وذلك بلغتهم ولا يدخل أحد إليه إلا بورقه معلومة وهيئة مخصوصة .

وفي سادس عشره [1] ، ذكروا في الديوان ، أن صارى عسكر أمر وكيل الديوان ، أنه يذكر لمشايخ الديوان أن قصده ضبط وإحصاء من يموت ويولد من المسلمين ، وأخبرهم أن بونابارته كان في عزمه ذلك ، وأن يقيد له من يتصدى لذلك ويدبره ويرتبه ويعمل له جامكية [2] وافرة ، فلم يتم مراده ، والآن يريد تتميم ذلك ، ويطلب منهم تدبير ذلك كيف يكون ؟ وذكر لهم أن في ذلك حكماً وفوايد : منها ضبط الأساب ، ومعرفة الأعمار . فقال بعض العارفين [3] و الحاضرين ويعلم من ذلك انقضاء عدة الأزواج أيضاً ، ثم اتفق [ص٢٦١] الرأى على أن يعلموا بذلك القلقات الحاضرين [4] المقيدين بالحارات والأخطاط ، وهم يقيدون على مشايخ الحارات بالاستقصا عن ذلك من خدمة الموتى والمغسلين والنسا القوابل [5] ، وما

---

١ – الجمعة ١٦ شعبان ١٢١٤هـ الموافق ٢ يناير ١٨٠١ م .

٢ – أى مرتبات ومخصصات .

٣ – كلمة " العارفين " غير موجودة في النسخة (أ) فاثبتناها من بقية النسخ .

٤ – كلمة " الحاضرين " غير موجودة في النسخة (ب) فاثبتناها من بقية النسخ .

٥– أخذ مينو على عاتقه القيام باصلاح أحوال الإدارة المصرية ونظام البلاد الضريبى ، وذلك خلال فترة السلام التى تمتع بها (حوالى تسعة أشهر) فقد حاول في خلالها أن يضع القواعد الراسخة للاحتلال الفرنسي الدائم لمصر ، ووطن الجنود الفرنسيون أنفسهم على هذه الحياة الطويلة ، رغم تشوقهم للرجوع إلى فرنسا وأخذوا في الاهتمام بالسكان المحليين والبلاد ، وكان ذلك راجعاً في الأساس إلى فكرة مينو القائمه على وجوب الاهتمام بالبلاد ، والاعتماد على إيراداتها المحلية للمعيشه فيها وتوطين النفس على ذلك.
هيلين آن ريفيلين " الاقتصاد والإداره في مصر في مستهل القرن التاسع عشر " ترجمة د/ أحمد عبد الرحيم مصطفى ، دار المعارف ، ١٩٦٧م ، ص٣٠ .

فى معنى ذلك ، ثم ذكر الوكيل أن صارى عسكر ولد له مولود ، فينبغى ويلزم أن تكتبوا له تهنيه بذلك المولود ، الذى ولد له من المرأة المسلمة الرشيدية [1] ، وجواباً عن الرأى ، فكتبوا ذلك فى ورقة كبيرة وأوصلها إليه الوكيل " فوريه " .

وفى خامس عشرينه [2] ، أرسل كبير الفرنسيس إلى مشايخ الديوان كتاباً وقراه الترجمان الكبير " رفاييل " [3] وصورته ونصه بالحرف الواحد :

"بسم الله الرحمن الرحيم "

" لا اله إلا الله محمد رسول الله ، من عبد الله جاك منوا صارى عسكر ، أمير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها ببر مصر حالاً ، إلى حضرة المشايخ والعلما أهالى الديوان المنيف بمصر القاهرة حالاً ، أدام الله تعالى فضايلهم وزينهم بلميع النور ، لإ كمال وظايفهم ، ونجاز فرايضهم، أمين يا معين ، والآن نخبركم أن الكتاب الذى حررتموه لنا ملأ أنفسنا سروراً ، وقلبنا حبوراً ، فثبت عندنا وتحقق وفور ما عندكم من المحبة التى شهدتم بها ، وما فيكم من البقية [4] والنظام والعدل ، فحقاً إنكم لمستحقين لأن تكونوا فى مثل هذا

١- تزوج مينو من سيدة رشيدية تدعى " زبيدة " وذلك بعد أن أسلم ، وعند عودته لفرنسا أخذها معه ، ويقال أنه إهملها أهمالاً شديداً وقام بتعميد ابنهما على الديانة المسيحية بل أنها أصبحت هى الأخرى كذلك . رفاعة الطهطاوى : تخليص الإبريز فى تلخيص باريز ، مطبعة البابى الحلبى ، القاهرة ١٩٥٨ .

٢ – يوم الأحد ٢٥ شعبان ١٢١٥هـ الموافق ١١ يناير ١٨٠٠م .

٣ – هو القسيس الشرقى " روفائيل " الذى عين ترجماناً أول للديوان ، وبعد عودة الحملة إلى فرنسا عين مدرساً للعربية الدارجة فى مدرسة اللغات الشرقية بباريس . راجع الرافعى : مرجع سابق جـ١ ، ص ١٣٧

٤- هكذا فى جميع النسخ ، وفى النسخة (ب) " البقية والعدل والنظام " ، وفى عجائب الآثار " النعمة والنظام والعدل " ، وربما المقصود " اليقين والنظام والعدل " .

المحل الذى اخـتـرتم عليـه ، فنحن نعلم أن القـرآن العظيم الشـان ، ذلك المصـحف الأكمل ، والكتاب المفضل ، ويشتمل على مبادى الحكمة السنية، والحقوق اليقينية، وهذه المبادى المذكورة لا يصح [ص٢٦٢] بناؤها المتين ، على الحكم والحق اليقين، إلا إذا عـرضت على أحـسن الآداب ، وتعليم العلوم بغـيـر ارتيـاب ، وبهـذين تنتج أعظم الفوايد ، وذلك بمساعى أناس متحدين معاً برياضات الحظ والسعد ، وبمثل ذلك عـرفت أنه لمن المسـتـحـيل أن القـرآن الشـريف يفـصح إلا على مـا هو من باب النظام ، لأنه من دون ذلك فكل ما هو فى هذا العالم الفانى ليس إلا معاثر وخراب، ولا يسـهى عنا أن كل مـا هو من الموجودات الكاينات ، كقولك تلك المتحـركة بطريقة ونظام ، من قـبل من جـعلهـا للمسير ، سـبـحـانه مبـد ع الأنام كالنجـوم السـايرة فى الأعـالى ، وبهـا نهـتدى للسـير الخـالى ، ثم وعلى الخـصـوص ، تلك الفصـول الأربع المتوالى انتقالهـا ، باستمرار جولانها ، ثم واتصـال الليل بالنهـار ، والنهار بالليل على حـد واحـد من المقـدار ، ثم ووجـود المتـبـاينات ، وتميز النور من الظلمـات ، وإذ ذاك ومـا أدراك ، فـمـاذا عـسى كـان يحل بنا ومـجـال العـالم بأسـره أيضـاً ، لو عدم هذا النظام ولو برهة ، فـالآن نرجو جناب حـضـرة المشـايخ والعلمـا ، تفـيـدونا كـيف ترى كـان يصـيـر حـال القطر المصـرى ، لولم يمتنع عن جـريانه كـعـادته نهـره هذا المبارك المشتهر ، لا يسمح الله تعالى سبحانه بذلك ، فبلا شك أن البلاد قاطبة [1] لا يمكن أن تسكن حين ذاك إلا ببحر سنة واحدة فقط ، وذلك من عدم الماء ، وروى أراضـى هذه المملكة التى أنتم قـاطنون بهـا ، وفى ذلك الحين كانت تصـعد الرمال على الأطيـان والمزارع والحـيطا ن ، والنـاس تهلك جـوعـاً ، وتعـدم السكان ، فتتشحن [ص٢٦٣] الأرض من الأموات ، فنعوذ بالله الحفيظ لساير المخلوقات .

---

١ - كلمة " قاطبة" غيرموجودة فى النسخة (ب) فاثبتناها من بقية النسخ .

واذا كان الله سبحانه وتعالى قد أبدع كل الأشياء بمعرفته القادرة ، وحكمته الباهرة ، وجعل هذا النظام العجيب ، ورتب هذه الدنيا وما فيها ترتيب معجز غريب ، قد أعرف أنها بدون ذلك تعدم سريعاً ، وحالها يغدوا مريعاً ، فالآن إنما نكون نحن من أشر المذنبين ، اذا سرنا سيرة كالضالين ، وعلى أوامره عصاة غير منخضعين ، ومع ذلك فنسأله جل شأنه أن يقوينا على السلوك فى ديننا ودنيانا ، وهذا القدر كفانا . فيا أيها المشايخ المكرمين والعلما المحققين ، ومن هم بالعلم معطرون ، لا يخفاكم أن أجمل [1]ما فى النظام ، فى تدبير هذه الدنيا بأسرها [2] حسن تام ، هو الاحتفال والميل إلى النظام ، الذى هو صادر ترتيبه عن حكمة الله تعالى بوجه تام ، ثم إن البلاد وتلك النواحى التى يطلق على كونها فى حال النجاح، والحظ والفلاح ، لا تعتد هكذا إلا إذا كان سكانها يهتدون إلى قواعد الشريعة ، والفرايض الصادرة عن أصحاب الفطنة والإدراك ، ويستعدون للسلوك بالعدل والإنصاف ، خلافاً لغيرها من البلاد التعيسة الحال ، تلك التى سكانها خاضعون على الدوام ، لما فيهم من العجرفة والاعتداد ، ولا ينعطفون إلا إلى أهوا أنفسهم المنحرفة ، فجناب حضرة بونابارتة الشهير النبيل ، الصنديد الشجاع الجليل ، قد تقدم فأمر بأن يحرر دفتراً يكتب فيه أسماء كامل الميتين ، والأن حضرتكم قد طلبتم منى دفتراً أخر خلافه ، فيه يتحرر أسما المولودين أيضاً ، ومن حيث ذلك فلابد أن أعتنى منذ الآن [ص٢٦٤] مع جزيل الاهتمام لهذين الأمرين ، وهكذا أيضا بتحرير دفتر الزواج ، اذا كان ذلك أشد المهمات والحوادث الواجبات ، ثم ويتبع ذلك بتحديد نظام غير قابل للتغيير فى ضبط الأملاك والتمييز الكامل عمن ولد ومات من سكان ، وهذا يعرف من أهالى كل بيت ، فعلى هذا الحال

١- كلمة " اجمل " غير موجود فى النسخة (أ) .

٢ - فى جميع النسخ " بأسر حسن تام " وما أثبتناه فى المتن من عجائب الآثار هو الأصواب .

يتيسر للحاكم الشرعى الحكم بالعدل والإنصاف ، وينقطع الخلف والخصام ما بين الورثة ، وتقرر الولودة ومعرفة السلالة التى هى النشئ[1] الأجل والأوفر استحقاقا فى الإرث ، وهكذا إن شاء الله ، لابد عن الفحص والتفتيش بالحرص والتدقيق وبذل الهمة ، للحصول بأقرب نوال إلى ما يلزم لإكمال ما قصدناه ، ثم إن أراد الله ، لابد أن أعتنى بالمطالعة على وجه تام كل وقت يقتضى لنا أن ندبر أشيا ، تستفيد بها هذه المملكة التى قد تسلمنا سياستها ، وبهذا نوقف ونتحقق كوننا امتثلنا لأوامر [2] دولة جمهورية الفرنساوية ، وحضرة قنصلها الأول بونابارتة ، فيا حضرة المشايخ والعلما الكرام ، إننا نشكر فضلكم على ما أظهرتم لنا ، تهنية بولادة ولدى السيد سليمان [3] مراد جاك مينو ، فنطلب من الله سبحانه وتعالى ، وأسألوه كذلك بجاه رسوله سيد المرسلين ، أن يجود به علىّ زماناً مديداً ، وأن يكون للعدل محباً وللاستقامة والحق مكرماً ، وبوفا وعده صادقاً ، وأن لا يكون من أهل الطمع ، فهذا هو أوفر الغنى الذى أرغبه لولدى ، لأن الرجل [ص٢٦٥] الذى لا يهتدى إلا بالخير ، فلا يصرف اعتناه إلا فى خير الأدب ، لا فى قنية الفضة والذهب ، فنسأله تعالى أن يطيل بقاكم والسلام".

وفى غايته [4] ، سقطت منارة جامع قوصون ، سقط نصفها الأعلى فهدم جانباً من بوايك الجامع ، ونصفها الأسفل مال على الأماكن القابلة له بعطفة

١ – كلمة " النشئ " غير موجودة فى النسخة (أ) .
٢ – فى النسخة (أ) " امتثلنا الاوامر دوله " وفى النسخة (ب) " كوننا امتثلناه أوامر دوله " والصواب ما أثبتناه .
٣ – يقال أن مينو أطلق على ولده هذا الاسم لعداء قديم كان بينه وبين كليبر ، فسماه على اسم قاتله " سلميان الحلبى ".
٤ – غايته يوم الخميس ٢٩ شعبان ١٢١٥هـ الموافق ١٥ يناير ١٨٠١م .

الدرب النافذ لدرب الآغوات، وبقى مسنود كذلك قطعة واحدة ، وأظن أن سقوطها من فعل الفرنسيس بالبارود .

شــهـر رمــضـان ١٢١٥هـ

ثبت هلاله ليلة الجـمـعـة (١) ، وعـملت الرؤية ، وركب المحـتـسب ومـشـايخ الحرف، بالطبول والزمور على العادة ، وأطلقوا له خمسين ألف درهم لذلك ، نظير عوايده التى كان يصرفها فى لوازم الركبة .

وفى خـامسه (٢) ، وقع السـؤال والفـحص عن كسـوة الكعـبـة التى كـانت صنعت على يد مصطفى أغا كتخدا الباشا ، وكملت بمباشرة حضرة صاحبنا العـمـدة الفـاضل، الأريب الأديب، الشـاعر الناثر ، السـيـد إسـمـاعـيل الشـهـير بالخشاب (٣) ، ووضـعت فى مكانها المعتاد بالمسجد الحسينى ، وأهمل أمرها إلى حد تاريخه ، وربما تلف بعضـهـا من رطوبة المكان وخرير السقف من المطر ، فقـال الوكيل : " إن صارى عسكر قصده التوجه بصحبتكم يوم الخميس ، قبل الظهر بنصف ساعة إلى المسجد الحسينى ، ويكشف عنها فإن وجد بها خللاً أصلحه ، ثم يعيدها كما كانت ، وبعد ذلك يشرع فى إرسالها إلى مكانها بمكة ، وتكسى بها الكعبة على اسم [ص٢٦٦] المشيخة الفرنساوية " ، فقالوا له شأنكم وما تريدون ، وقرأوا ورقة بمضمون ذلك .

وفى ذلك اليوم ، قروا ورقة مـضـمـونـها : أنه وردت مكاتبات من فـرانسـا ، بوقـوع الصلح بينهم وبين أهل الجـزاير وتونس ، بشـروط ممضـيـة مـرضـيـة ، وقـد

١ – يوم الجمعة غرة رمضان ١٢١٥هـ الموافق ١٦ يناير ١٨٠١م .
٢ – يوم الثلاثاء ٥ رمضان ١٢١٥هـ الموافق ٢٠ يناير ١٨٠١م .
٣ – عمل السيد إسماعيل الخشاب أميناً لمحفوظات الديوان العام وكاتباً لتواريخ الديوان .

أطلقوا الإذن للتجار من أهل الجهتين بالسفر للتجارة ، فمن سافر له الحماية والصيانة ، فى ذهابه وإيابه وإقامته ، باسم دولة الجمهور الفرنساوية ، إلى آخره ، ولم يظهر لذلك أثر .

وفيه (١) ، قرئ تقليد الشيخ أحمد العريشى بقضا مصر على ما هو عليه ، حكم اتفاق الأجلة من المسلمين ، بموجب القرعة السابقة من مدة شهرين أو أكثر

فلما كان صبح ذلك اليوم ، أرسل شيخ البلد " بليار " ، إلى العريشى ومشايخ الديوان والوجاقلية ، فلما تكاملوا أخلع على القاضى العريشى فروة سمور بولايته القضا ، وركب بصحبة الجميع ، ومشوا من وسط المدينة إلى أن وصلوا إلى المحكمة (٢) بين القصرين فجلسوا ساعة من النهار ، وقرى تقليده بحضرة الجميع ، ووكيل الديوان " فوريه " ، ثم رجعوا إلى منازلهم .

وفى يوم الخميس الموعود بذكره (٣) توجه الوكيل ومشايخ الديوان ، إلى المشهد الحسينى لانتظار حضور كبير الفرنسيس بسبب الكشف على الكسوة (٤)

---

١ - يوم الثلاثاء ٥ رمضان ١٢١٥هـ الموافق ٢٠ يناير ١٨٠١ م .

٢ - المحكمة : كان مقر قاضى العسكر فى مقعد ماماى أزبك السيفى وهو الذي يعرف ببيت القاضى - ويعتبر مقعد بيت القاضى أجمل مثال للمقعد فى العمارة الأسلامية وهو فى الأصل جزء من قصر أنشاه الأمير ماماى السيفى سنة (٩٠١هـ / ١٤٩٥م) كما هو منقوش على العضلدة اليسرى لمدخل وذلك فى عهد السلطان الناصر قايتباى ، وكلمة المقعد تطلق عادة على المكان المخصص لاستقبال الرجال فى البيوت فى مصر منذ العصور الوسطى ، وأطلق على الميدان الذى أمامه ميدان بيت القاضى بالنحاسين .

راجع د / سعاد ماهر : القاهرة القديمة وأحياؤها / القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص٩٣ وما بعدها

٣ - يوم الخميس ٧ رمضان ١٢١٥هـ الموافق ٢٢ يناير ١٨٠١م .

٤ - الكسوة والمشهد الحسينى : يفهم من كلام القلقشندى أن كسوة الكعبة الشريفة فى الربع الأول من القرن التاسع الهجرى كانت تصنع فى المشهد الحسينى ، ثم بعد ذلك يخبرنا الجبرتى أنها كانت تصنع فى القلعة ، وفى عام ١٢١٥هـ عهد بتلك الكسوة إلى السيد إسماعيل الخشاب أحد العدول بالمحكمة الكبرى للاتهامها فنقلها إلى بيت أيوب جاويش بجوار السيدة زينب فأتموها هناك ، وخزنت بعد ذلك فى المشهد الحسينى ويبدو من حديث الجبرتى هنا أنه تم إصلاحها أيضا فى المشهد الحسينى .لمزيد من المعلومات راجع . د/ السيد محمد الدقن ، مرجع سابق، ص١٣٤ وما بعدها .

وازدحم الناس بزيادة على عادتهم فى الازدحام فى رمضان ، فلما حضر ونزل عن فرسه عند [ص٢٦٧] الباب ، وأراد العبور للمسجد رأى ذلك الازدحام ؛ فهاب العبور وخاف الدخول ، وسأل ممن معه عن سبب هذا الازدحام ، فقالوا له هذه عادة الناس فى رمضان ، يزدحمون دائما على هذه الصورة فى المسجد ، ولو حصل منكم تنبيه كنا أخرجناهم قبل حضوركم ، فركب فرسه ثانياً وكرّ راجعاً وقال نأتى فى يوم آخر ، وانصرف حيث جاء وانصرفوا .

وفى ليلة السبت تاسعه [1] ، حصلت كاينه سيدى محمود ، وأخيه سيدى محمد المعروف بأبى دفَّيَّة ، وذلك أن سيدى محمود المذكور كان بينه وبين على باشا الطرابلسى صداقة ومحبة أيام إقامته بالجيزة ، وحج صحبته فى سنة ، فلما وقعت حادثة الفرنساوية ، وخرج على باشا [المذكور مع من خرج إلى الشام ، ووردت العساكر الإسلامية صحبة حضرة] [2] مولانا الوزير الأعظم [3]، وصحبته على باشا المذكور ، وله به مزيد الوصلة والعناية والمرجع ، لخبرته بالأقطار المصرية، ومعرفته أهالى البلاد ، و استشاره فى شخص يعرفه يكون عيناً بمصر ليراسله ويطالعه بالأخبار ، فأشار عليه بمحمود جلبى المذكور ، فكانوا يراسلونه ويطالعهم بالأخبار ، فلما قدموا إلى مصر فى السنة الماضية ، وجرى ما جرى من نقض الصلح ، ورجوع عرضى همايون ، لم يزل محمود جلبى تأتيه الأخبار [4] المرسلات بوساطة السيد أحمد المحروقى أيضاً ، ولأن على باشا ارتحل إلى الديار

١ – السبت ٩ رمضان ١٢١٥هـ الموافق ٢٤ يناير ١٨٠١م .

٢ – العبارة التى بين القوسين ساقطة من النسخة (أ) فأثبتناها من النسخة (ب) ،(ج) ، وهى غير موجودة فى طبعة التربية والتعليم كذلك حيث اعتمد المحققون على النسخة (ب) .

٣ – في عجائب الآثار يضنى الجبرتى على يوسف باشا بلقبه ويذكر " صحبه يوسف باشا الوزير " .

٤ – كلمة " الأخبار " غير موجودة فى النسخة (أ) فأثبتناها من بقية النسخ .

الرومية ، فيطالعهم كذلك بالأخبار مع شده [ص٢٦٨] الحذر خوفاً من سطوة الفرنساوية ، وتجسس عيونهم المقيدة لذلك ، فكان يذهب إلى قليوب ويتلقى ورود القاصد ويرد له الجواب ، فلما كان فى التاريخ (١)، ورد عليه رسول ومعه جواب وأربعة أوراق مكتوبة باللغة الفرنساوية ، وفيه الأمر بتوزيعها ووصعها فى أماكن معينة حيث سكن الفرنساوية ، فوزع اثنين وقصد وضع الثالثة فى موضع جمعيتهم ، فلم يمكنه ذلك إلا ليلاً ، فأعطاها خادمه وأمره أن يشكها بمسمار بحايط ذلك المكان ، وهو بالقرب من الحمام المعروفة بحمام الكلاب ، ففعل وتلكأ فى الذهاب ، فاطلع عليه بعض الفرنسيس من أعلا الدار ، فنزلوا إليه وأخذوا الورقة ، وقبضوا على ذلك الخادم، وصادف ذلك مرور حسن القلق ، وهو يتوقع نكته تكون له بها الوجاهة عند الفرنسيس ، فاغتنم هذه الفرصة وقبض على الخادم مع الفرنساوية ، وسيده ينظر إليه من بعيد ، وعلم أنه وقع فى خطب لا ينجيه منه إلا الفرار ، فرجع إلى داره وتحدث مع أخيه واستشاره فيما وقع ، فأشار عليه بالاختفا ، ويقيم أخوه بالمنزل مستهدفاً للقضا ، وليكون وقاية على منزله وعرضه ، وليس هو المقصود بالذات ، فكان كذلك ، وتغيب سيدى محمود وأصبح الطلب قاصده ، فلما لم يجدوه قبضوا على أخيه محمد أفندى ومن معه بالبيت، وهو الشيخ خليل المنير وقرابته إسماعيل جلبى ونسيبه [ص٢٦٩] البرنوسى والسقا شيخ حارتهم ، وحبسوهم ببيت قايمقام ، وهم سبعة أنفار والخادم المقبوض عليه أولاً ، وأوقفوا حرسا بدارهم ، واجتهدوا فى الفحص عن سيدى محمود، وتكرار السؤال عليه من أخيه ورفقايه أياماً ، فلما لم يقفوا له على خبر أحاطوا بالدار ونهبوا ما فيها ، وصحبتهم الخادم يدلهم على المتاع ،المخبات ، ثم أصعدوهم إلى

---

١ - أى يوم السبت ٩ رمضان ١٢١٥هـ الموافق ٢٤ يناير ١٨٠١م .

القلعة ، وضيقوا عليهم وأرسلوا خلف أبى الشوارب شيخ قليوب ، ومن كان ينتقل عندهم ، وألزموهم بإحضاره ، فأنكروه وجحدوه ، ثم أطلقوا خادمه بعد أن أعطوه خمسين ريالاً فرانسة ، وجعلوا له ألفاً إن دلهم عليه ، وقيدوا به عيناً يتبعه أينما توجه ، فاستمر أياماً يغدو ويروح فى مظناته ، فلم يقع له على خبر فردوه إلى السجن ثانياً عند أصحابه ، وأما سيدى محمود فوقع له مزيد من المشقة فى مدة اختفايه ، وتبرأ منه غالب أصحابه ومعارفه من العربان وأهل مصر ، وكل من التجأ إليه وأحب أن يتوارى عنده ، زيفه وتنكر منه ، حتى أنه ذهب إلى أتريب[1] عند أولاد درب الشمسى ، فتلقاه حسن جلبى وأكرمه، بخلاف ابن عمه محمد جوربجى ، فإنه تكدر من مجيئه عندهم ، وخاصم ابن عمه من أجله ، وأرسل إليه المرار العديدة يأمره بالذهاب ، لئلا يلحقه الضر بسبب حلوله عندهم ، وذهب إلى دجوة [2]، عند أولاد ابن حبيب ، فزيفوه أيضاً ولم يقبلوه ، ثم إنه ذهب إلى ميبيه [3] عند أولاد حلاوه ، فأكرموه وواسوه ، وأخفوا أمره ، ولم يزل مقيماً

---

١ – أتريب : مدينة مصرية قديمة ذكرها جوتييه فى قاموسه فقال " أن اسمها المصرى المدنى Har hutab" ومعناها العصر الذى فى الوسط ، واسمها الدينى Kaken أى مدينة الثور الأسود وهو معبود أهلها ، وكانت أتريب قاعدة أبرشية فى القرن الثامن الميلادى ، وبدأ الخراب فيها منذ القرن السابع ولكن عرف محلها باسم أتريب" محمد رمزى : القسم الثانى جـ١ ، ص ١٨ . "

٢ – دجوة : من القرى من القديمة وردت فى نزهة المشتاق باسم جدوده ، وفى نسخة أخرى منها – ذكرت فى تاج العروس – الدجوة من القليوبية – وفى الانتصار وتأريع ١٢٢٨ دجوى بألف معصورة فى آخرها وهو اسمها الحالى ، وهى تقع على الشاطئ الشرقى لفرع النيل . راجع محمد رمزى – القسم الثانى ج١ ص٤٤ .

٣ – المقصود بميبه هنا قريه إمبياى : وهى من النواحى القديمة اسمها الأصلى " إمبيه " وردت فى الانتصار و فى قوانين الدواوين وتاج العروس من أعمال الشرقية ، ووردت فى التحفة إمبيه من الأعمال القليبوبية ، وهو خطأ فى النقل صوابه إمبيه وقد حرف اسمها فى العهد العثمانى ، ووردت باسمها الحالى فى تأريع ١٢٢٨هـ ، محمد رمزى ا لقسم الثانى جـ١ ، ص٤٤

عندهم فى غاية الإكرام حتى ورد العرضى [ص٢٧٠] المنصور [١] إلى ناحية بنها وفرج الله عنه .

ولما كان يوم الخميس رابع عشره [٢] ، تقيد للحضور بسبب الكشف على الكسوة ، استوف خازندار الجمهور، وفوريه وكيل الديوان ، فحضرا مشايخ الديوان والقاضى والآغا والوالى والمحتسب ، بعدما أخلى المسجد من الناس ، وأحضرو خدامين الكسوة الأقدمين وحلوها وكشفوا عليها ، فوجدوا بها بعض خلل ، فأمروا باصلاحها ، ورسموا لذلك ثلاثة الآف نصف فضة ، ولخدمة الضريح بألف نصف فضة ، ولخدمتها الذين يخدمونها مثلها ، ثم طويت ووضعت فى مكانها بعد ترتيبها وإصلاحها .

وفى رابع عشرينه [٣]، ضربت مدافع كثيرة بسبب ورود مركبين من فرانسة، فيهما عساكر والآت حرب و أخبار بأن بونابارتة أغار على بلاد النمساوية وحاربهم وحاصرهم وضايقهم ، وأنهم نزلوا على حكمه ، وبقى هذه الآلآت والعساكر ، وقصد إرسالها إلى مصر وسيأتى فى أثرهم مركبان آخران فيهما أخبار تمام الصلح ، ويستدل بذلك على أن مملكة مصر صارت فى حكم الفرنسيس لا يشركهم

١- " العرضى المنصور " حذفها الجبرتى من عجائب الآثار .

٢ - يوم الخميس ١٤ رمضان ١٢١٥هـ الموافق ٨ فبراير ١٨٠١ م .

٣ - يوم الأحد ٢٤ رمضان ١٢١٥هـ الموافق ١٨ فبراير ١٨٠١م .

غيرهم فيها ، هكذا قالوا هذا الكلام وقرأوه فى ورقة بالديوان [1]

شـهـر شـوال ١٢١٥هـ

فيه،[2] بدا أمر الطاعون ، فانزعج الفرنساوية من ذلك وجردوا مجالسهم من الفرش وكنسوها وغسلوها ، وشرعوا فى عمل كرنتينات ومحافظات .

وفى ثامنه [3] ، قال وكيل الديوان للمشايخ : " إن حضرة صارى عسكر بعث إلىَّ كتاباً معناه إيضاح ما يتعلق [ص٢٧١] بأمر الكرنتينة ، ويرى رأيكم فى ذلك وهل توافقون على رأى الفرنساوية أم تخالفون ؟ . " فقالوا : "حتى ننظر ما هو المقصود . " فقال : "حضرة أرباب الديوان يجب عليهم أن يعلموا الطريق الذى يكون سبباً لانقطاع هذه العلة ، فإننا نبغى لهم ولغيرهم الخير ، فإن أجابوا فذاك

---

١ – بعد أن عاد نابليون إلى فرنسا انشغل عن الحملة بأعماله فى أوربا التى بدأها بإسقاط حكومة الديركتوار، وتنصيب نفسه قنصلاً أول ، ثم العمل على إعادة السلم إلى أوربا ، ولكن رفض انجلترا والنمسا لدعوته أدى إلى تجدد الحرب فى أوربا ، وزحف نابليون على ايطاليا واستردها بعد أن ألحق بجيوش النمسا هزيمة مدوية فى معركة مارنجو (يونيو ١٨٠٠) . وبعد ذلك أخذ يفكر فى إمداد الحملة فى مصر ، ولكن نجاح انجلترا فى احتلال مالطة كان عقبة فى طريقه ، ولكن رغم رقابة البوارج الإنجليزية الصارمة ، أخذت السفن الفرنسية تغامر بالسفر إلى مصر ، فتضبط السفن الإنجليزية بعضها ، ويصل البعض الآخر سالماً إلى مصر، وكان نابليون يقصد-من ذلك رفع الروح المعنوية للجنود ، وإعلامهم بأنه لا ينساهم . وكان لوصول هاتان السفينتان إلى الأسكندرية يوم ٣ فبراير أثر كبير على رفع الروح المعنوية للجنود . ولكن ما جاء فى منشورهم من أن الصلح مع النمسا نص على بقاء مصر فى حكم الفرنسيين كان من تمويهاتهم التى أرادوا بها التأثير على المصريين ، لأن المعاهدة التى وقعت مع النمسا لم تتعرض لمصر ، وصدق الجبرتى فى ارتيابه الذى يفهم من قوله " هكذا قالوا ".الرافعى: مرجع سابق ، جـ٢ ، ص ٢١٢ – ٢١٤

٢ – استهل شهر شوال ١٢١٥هـ بيوم الأحد ٢٢ فبراير ١٨٠١ م .

٣ – الأحد ٨ شوال ١٢١٥ هـ الموافق ٢٢ فبراير ١٨٠١ م

وإلا فيلزمون ولو قهروا ، وربما استعملنا القصاص ولو بالموت عند المخالفة ، ومن الذى يتغافل عما يكون سبباً لقطع هذا الداء ، فإن رأينا قد انعقد على ذلك ، ويجب أن يتفق معنا أرباب الديوان ، لأن حفظ الصحة واجب ، ولذا نرى كثيراً من الناس - ولا سيما المتشرعون - يستعمل الطبيب عند المرض ، رعاية لحفظ الصحة وما نحن فيه من ذلك ، ونذكر لكم أن بلاد الغرب قد أعتمدوا فعل الكرنتيلة الآن ، فعلما القاهرة أولى بأن لا يتأخروا عن أستعمال الوسايط ، إذ قد ربطت الأسباب بالمسببات . " فقيل : له وما الذى تامرون به أن يفعل : . فقال : " هو الحذر لاغير ، وهو الغاية والنتيجة ، وهو أنه اذا دخل الطاعون بيتاً ، لايدخل فيه أحد ولا يخرج منه أحد ، مع ما يترتب على ذلك من القوانين المختصة به ، وخدمة المريض وعلاجه ، وسيوضح لكم ذلك فيما بعد ، يعنى بعد أن تذعنوا للطاعة وعدم المخالفة " وطال البحث والمناقشة فى ذلك بين أرباب الديوان والوكيل ، وأنفض المجلس على أن الوكيل سيفاوض صارى عسكر فى ذلك ، ثم يدبرون أمراً وطريقة يكون فيها الراحة للمسلمين والفرنسيس ، فإن هذا فيه مشقة على المسلمين لعدم ألفتهم لهذه الأمور .

فى ثالث عشره [1][ص٢٧٢] ضربت عدة مدافع من القلاع لايدرى ماسببها .

وفى رابع عشره [2] ، قريت ورقة حضرت من صارى عسكر بالديوان ، ولصقت منها نسخ فى مفارق الطرق والأسواق ، ونصها بعد البسملة والجلالة :

" من عبد الله جاك منوا سرعسكر أمير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها ببر مصر حالاً ، إلى كامل الأهالى كبير وصغير ،

١ - يوم الجمعة ١٣ شوال ١٢١٥هـ الموافق ٢٧ فبراير ١٨٠١م .

٢ - يوم السبت ١٤ شوال ١٢١٥هـ الموافق فبراير ١٨٠١م .

غنى وفقير ، المقيمين حالاً بمحروسة مصر ، وبمملكة مصر ، الناس الذين هم من الأشقياء والمفسدين ، ولا يفتشوا إلا إلى الإضرار بالناس وإضراركم ، شهر فى وسط المدينة بينكم أخبار ردية تزوير ، لتخويفكم وتخويف المملكة ، وكل ذلك كذب وافترى ، فانما نحن نخبركم جميعاً أن كلاً من الأهالى المذكورة من أى طايفة وملة كان ، بالذى يثبت عليه الأشهار أو النشر من نفسه بينكم ذلك الأخبار الردية المكذوبة ، تخويفاً لكم وإضلالاً بالناس ، ففى الحال ذلك ، الرجل يمسك وترمى رقبته بوسط واحدة طرق مصر . ويا أهالى مصر انتبهوا وتذكروا هذه الكلمات ، وكونوا مستريحين البال ، ومترفهين الحال ، إنما دولة الجمهور الفرنساوى حاضر لحمايتكم وصيانتكم، ولكن ناظر كذلك إلى تعذيب العصاة ، والسلام على من اتبع الهدى والصدق والاستقامة . تحريراً فى ستة شهر وانتور [1] سنة تسع ، الموافق لحادى عشر شهر شوال[2] فعلم الناس من فحوى ذلك ورود شئ ، أو حصول شئ ، على حد قول المثل المشهور " كاد [ص٢٧٣] المرتاب أن يقول خذنى " لأن الناس إذ ذاك ليس لهم فكر ولا ذكر إلا بواقى الفردة ، ومالزمهم فى المليون ، ولاشغل لكل فرد إلا بتحصيل ما فرض عليه ، والسبب فيما ذكر أنه وردت عليهم أخبار بوصول مراكب جهة أبو قير .

وفى ذلك المجلس ، سيل الوكيل عن ضرب المدافع لأى شئ ، فقال لابد وأن أحيط علمكم ببعض ذلك فى هذا المجلس ، وهى أن الفرنساوية كانت تحارب القرانات [3]، والآن وقع صلح بينهم وبين القرانات ماعدا الإنكليز ، فإنه الآن

١- فانتور "Vantor" هو الشهر السادس من تقويم الجمهورية الفرنسية الأولى ويبدأ من ١٩ أو ٢٠ فبراير وينتهى ٢٠ مارس .

٢ - ورد هذا المنشور ضمن وثائق الحملة الفرنسية فى دار الوثائق القومية - مجلدات الحملة الفرنسية ، مجلد .مينو ، وثيقة رقم ٧٨ - باللغتين الفرنسية والعربية .ص١٨ .

٣ - يقصد بالقرانات : دول الشمال (روسيا - الدنمرك - السويد) .

مضيق عليه ، وربما كان ذلك سبباً لرضاه بالدخول فى الصلح ، وقد خرج من فرانسا عمارة ، ربما توجهت على الهند ، وربما أنهم يقدومون إلى مصر ، وقد وصل لصارى عسكر أمر من المشيخة بوصول مراكب الموسقوا التى تحمل الذخاير إلى الفرنساوية ، وأن يمكنهم من دخول سكندرية ، وقد خرج ستة غلايين من فرانسا إلى بحر الهند ، فربما قدموا بعد ذلك إلى جهة السويس ، وبورود هذه الأخبار تعين خلو مصر إلى جمهور الفرنساوية ، وفى سالف الزمان كانت جميع القرانات التى بالجهة الشمالية ضد الفرانساوية ، وقد زالت الآن هذه الضدية ، ومتى انقضى أمر الحرب عمت الراحة والرأفة والنظر بالملاطفة للرعية ، والذى أوجب الاغتصاب والعنف إنما هو الحرب ، ولو دامت المسالمة لما وقع شئ من هذا، فقال بعض أهل الديوان : " سنة الملوك العفو والصفح ، وما مضى لايعاد ، فارحمونا اعفوا عما سلف " . فقال الوكيل : " قد وقع الامتحان [ص٢٧٤] ولم يبق إلا السلم والمسامحة " ، يقول جامعه (١) وهذا كله تمويه على العقول وكذب بحت يرده المنقول والمعقول .

وفيه (٢) ، قبضوا على عمر القلق أغاة المغاربة المرتبة عندهم عسكراً ، وعلى شخصين آخرين يدعى أحدهما على جلبى والأخر مصطفى جلبى ، وسجنوا بالقلعة (٣). وسبب ذلك أنه حضر إلى مصطفى جلبى مكتوب من نسيبه بجهة الشام (٤) ، يطلب منه بعض حوايج ، فقرئ ذلك المكتوب بحضرة عمر القلق ورفيقه

---

١ – هذا التعليق للجبرتى ، وهو محذوف من عجائب الآثار ، وفى النسخة (أ) " يقول جميعهم " وهو خطأ من الناسخ .

٢– يوم السبت ١٤ شوال ١٢١٤هـ الموافق ٢٨ فبراير ١٨٠١م .

٣ – فى النسخة (أ) "بالعلقة " وهى خطأ من الناسخ .

٤ – فى النسخة (أ) " مكتوب سيبه بجهة الشام " .

الآخر ، فوشى بهم رجل قواس ، فقبضوا على الجميع ، وكان مصطفى جلبى المذكور يسكن ببيت محمد أفندى ثانى قلفة (١) ، فدخلوا يفتشون عليه فى الدار فلم يجدوه ، فألزموا به محمد أفندى المذكور ، وأزعجوه وأحاط به عدة من العسكر ولم يمكنوه من القيام من مجلسه ولا من اجتماعه بأحد ، وبعد أن وجدوا ذلك الإنسان لم يفرجوا عن محمد أفندى بل استمر معهم فى الترسيم ، ووجدوا مكاناً بالدار به أسلحة وأمتعة فنبهوه، واتهمت الدار والحارة ، وحصل عندهم غاية الكرب، حتى أن بعض جيران ذلك المحل كبر عنده الخوف ، وغلب عليه الوهم ، فمات فجأة"رحمه الله". ثم فرج الله عن محمد أفندى بعد ثلاثة أيام ، وأطلق عمر القلق لظهور براءته ، ولم يكن له جرم غير العلم والسكوت ، وانتقل محمد أفندى من تلك الدار ، وما صدق بخلاصه منها ، وبقى مصطفى جلبى وعلى جلبى فى الحبس

وفى سابع عشره (٢) ، استيفيضت الأخبار بوصول [ص٢٧٥] مراكب إلى أبو قير كما تقدم (٣) .

---

١ – ثانى قلفه : كان للروزنامجى مجموعة من المساعدين من أهمهم أربعة مساعدين عرفوا بالمباشرين أو الخلفاء أو " القلفا " وكان أهمهم ، " الباش مباشر " أو " الباش خليفة " أو الباش قلفه " وكان هو الوكيل الأول للروزنامجى أو كقائمقام بدل الروزنامجى ، ويأتى بعده الباش خليفة : ثانى خليفة – ثم ثالث خليفة . ثم رابع خليفة ، أو ثانى قلفه وهكذا وهؤلاء يشرفون على كل الأعمال الحسابية التى يقوم بها الأفندية وعلى كل السجلات التى تحت أيديهم وقد أطراهم المؤرخون المعاصرون ووسموهم باللباقة ورقة الحاشية ودماثة الخلق

د/ ليلى عبد اللطيف : مرجع سابق ، ص٣٠٦ .

٢– يوم الثلاثاء ١٧ شوال ١٢١٥هـ الموافق ٣ مارس ١٨٠١م .

٣– بعد خروج روسيا من الائتلاف مع الدولة العثمانية وانجلترا المعد لإخراج الحملة الفرنسية من مصر ، كانت كل الدلائل تشير إلى وجود بودار لتسوية الأزمه فى أوربا ككل ، لذا فكانت انجلترا ترى وجوب إخراج الفرنسيين من مصر قبل عام ١٨٠١م وحتى لا تضطر إما إلى الاعتراف ببقاء الجيش الفرنسى وبالتالى التهديد الدائم الذى يشكله ذلك بالنسبه لمواصلاتهم إلى الهند ، ومن هنا كان القرار الإنجليزى فى اكتوبر ١٨٠٠م بإرسال جيش إلى مصر ليعاون الجيش العثمانى إضافة لإرسال حملة الهند لأخراج الفرنسيين من مصر – وهذا ما حدث بالفعل وأدى فى النهاية لإجبار الحملة على الخروج من مصر .

وفى ثامن عشره [1] ، خرج جملة من العساكر الفرنساوية ، وسافروا إلى الجهة البحرية ، برا وبحراً [2] .

وفى عشرينه [3] ، اجتمع أهل الديوان به على العادة ، فبدأ الوكيل يقول أنه كان يظن أنه يكون حرب ، ولكن وردت أخبار أن المراكب التى حضرت إلى سكندرية وهم نحو ماية وعشرون مركبا قد رجعوا ، فقيل له وما هذه المراكب ، فقال مراكب فيها طايفة من الإنكليز ، وصحبتهم جماعة من الأروام ، وليس فيهم مراكب كبار إلا قليل جداً ، وباقيهم صغار تحمل الذخيرة ، ثم قال أن حضرة صارى عسكر قد كان وجه إليكم فرماناً فى شأن ذلك قبل أن يتبين الأمر ، وهو إن كان قد فات موضعه ، من حيث أنه كان يظن أن هناك حرب ، ولكن من حيث كونه قد برز إلى الوجود ، فينبغى أن يتلى على مسامعكم ، ثم أمر " رفاييل " الترجمان بقراءته وصورته : " من عبد الله جاك منوا سر عسكر ، أمير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها ببر مصر حالاً ، إلى جميع الكبير والصغير ، والأغنياء، والفقرا ، والمشايخ والعلما ، وجميعهم الذين [4] يتبعون الدين الحق ، والحاصل لجميع أهالى بر مصر سلمهم الله بمقام السر عسكر الكبير بمصر ، فى أربعة عشر شهر " ونتوز" سنة تسعة من قيام الجمهور الفرنساوية واحد ولا ينقسم ، ثم كتب تحت ذلك البسملة ولفظ الجلالة ، وتحته إن الله هو هادى الجنود ومعطى النصرة لمن يشاء ، والسيف الصقيل فى يد

١- يوم الأربعاء ١٨ شوال ١٢١٥هـ الموافق ٤ مارس ١٨٠١م .

٢ - كانت هذه القوات متجهة إلى دمياط بقيادة الجنرال موران Morand لاحتمال وصول قوات تركية إلى دمياط .

٣ - يوم الجمعه ٢٠ شوال ١٢١٥هـ الموافق ٦ مارس ١٨٠١م .

٤ - كلمة " الذين غير موجودة فى النسخة (ب) فأثبتناها من بقية النسخ

[ص٢٧٦] ملاكه ، يسابق دايماً الفرنساوية ويضمحل أعداهم ، إن الإنكليز الذين يظلمون كل جنس ، للشر فى كل المواضع ، فهم ظهروا فى السواحل ، وإن كان يستجروا يوضعوا أرجلهم فى البر ، فيرتدوا فى الحال إلى أعقابهم فى البحر ، والعثمنليين [(١)] متحركين كهؤلاء الإنكليزية يعملوا أيضاً بعض حركات ، فإن كان يقدموا، ففى الحال يرتدوا وينقلعوا فى غبار وعفار البادية ، فأنتم يا أهالى مملكة ومحروسة مصر أنى أنا أخبركم إن كان تسلكوا فى طريق الخايفين الله ، وتبقوا مستريحين فى بيوتكم ومقيمين كما كنتم فى أشغالكم وأغراضكم ، فحينئذ لا خوف عليكم ، ولكن إن كان واحد منكم يسلك الفساد وإضلالاً لكم بالعدواة ضد دولة الجمهور الفرنساوى ، فأقسمت الله بالعظيم ، وبرسوله الكريم أن رأس ذى المفسد ترمى فى تلك الساعة ، فتذكروا فى كل المواقع حين محاصرة مصر الأخيرة ، وجرى دماء آبائكم ونسائكم وأولادكم فى كل مملكة مصر ، وخصوصا بمحروسة مصر ، وخواصكم انتهبوا تحت الغارات ، وطرحوا عليهم فردة قوية غير المعتاد ، فدخلُّوا فى عقولكم وأذهانكم كلما قلت لكم الآن ، والسلام على كل من هو فى طريق الخير ، فالويل ثم الويل على كل من يبعد من طريق الخير ، ممضى خالص الفؤاد، عبد الله جاك منوا " .

وفى ذلك اليوم [(٢)] عملوا شنكاً ، وضربوا عدة مدافع من القلاع ، فارتاع الناس لذلك ، واضطربوا اضطراباً شديداً ، فسئل من الفرنسيس فأخبروا أن ذلك سرور [ص٢٧٧] بقدوم مركبين من فرانسة إلى سكندرية ،

---

١ - فى النسخة (أ) كتبت "العثمنلى" .

٢ - يوم الجمعة ٢٠ شوال ١٢١٥هـ الموافق ٦ مارس ١٨٠١م .

و ذلك كذب لا أصل له (١) .

وفى ذلك اليوم أيضا ، وقع بمجلس الديوان بين الوكيل والمشايخ ، مفاوضة ومناقشة ، وذلك أنه لما أشيع خبر ورود المراكب إلى أبو قير قلت الغلال من الرقع ، وارتفعت أثمانها ، فتاوضوا فى شأن ذلك ، وأنه لابد من اعتنا الحكام بزجر الباعة ، وطواف المحتسب على الرقع والسواحل ، فلما قرئ المكتوب المذكور ، قال بعض الحاضرين : العقلا لا يسعون فى الفساد، وإذا تحركت فتنة لزموا بيوتهم ، فقال الوكيل : ينبغى للعقلا ولأ مثالكم نصحية المفسدين ، فإن البلا يعم المفسد وغيره ، فقال بعضهم : هذا ليس بجيد ، بل العقاب لايكون إلا على المذنب ، قال تعالى [كل نفسٍ بما كَسَبَتْ رَهِيْنةٌ] (٢) وقال آخر من أهل المجلس : [ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وزر أُخرى] (٣) ، فقال الوكيل : المفسدون فيما تقدم أهاجوا الفتنة ، فعمت العقوبة ، والمدافع والبنبات لا عقل لها ، حتى تميز بين المفسد والمصلح ، فإنها لا تقرأ القرآن . وقال آخر : المصلح نيته تخلصه ، فقال الوكيل : إن المصلح من شمل صلاحه الرعية ، فإن صلاحه فى حد ذاته يخصه فقط ، والثانى أكثر نفعاً . وطال البحث و المناقشة فى نحو ذلك .

---

١ – أعد نابليون فى ميناء برست على المحيط الاطلنطى عمارة حربية يقودها " جانتوم " تقل أربعة آلاف إلى خمسة آلاف جندى ، وتمكنت هذه العمارة من عبور جبل طارق وسارت نحو الأسكندرية ، ولكن الأميرال جانتوم لمح فى طريقه بعض السفن الانجليزية فاستولى عليه الذعر ، وعاد إلى ميناء طولون الفرنسى على البحر المتوسط ، بينما انفصلت عنه سفينة ، استطاعت الوصول إلى الأسكندرية يوم ١ مارس ١٨٠١م . وربما تلك المركب هى التى يشير الجبرتى إليها والتى أخبر عنها الفرنسيون أنهما مركبان . أما جانتوم فقد حاول الإقلاع إلى مصر مرة ثانية وثالثة ولكنه أخفق فى محاولاته . راجع الرافعى : مرجع سابق، جـ٢ ، ص ٢١٤ .

٢ – سورة المدثر الآية ٣٨ .

٣ – سورة الأنعام الآية ١٦٤ .

فلما كان عصر ذلك اليوم (١) ، بعثوا أوراقاً من كبير الفرنسيس إلى وكيل الديوان ، فأرسلها إلى المشايخ ، وهى عبارة عن جواب المناقشة المذكورة ، وصورته بعد البسملة والجلالة : " من عبد الله جاك منوا سر عسكر أمير عام جيوش [ص٢٧٨] دولة جمهور (٢) الفرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها ببر مصر حالاً ، إلى كافة المشايخ والعلما الكرام ، المقيمين بمحفل الديوان المنيف بمحروسة مصر ، أدام الله تعالى فضايلهم وفرايضهم ، وألهمهم الحكمة الواجبة لإجرا فضايلهم (٣) وفرايضهم . نرسل لحضراتكم يا مشايخ ويا علما الكرام نداء جديداً خطاباً إلى جميع أهالى مملكة مصر ، وخصوصاً أهل محروسة مصر ، ولا شبهة لى فى تقييدكم لتنبيههم بكل ما هو محرر فيها وغير ذلك ، تذكرو أن هذا التنبيه هو فرضكم ، إنما حضراتكم ها هنا رجال دولة الجمهور الفرنساوية ، فيبقى فى عقولكم وأذهانكم كلما وقع حين قصاص مصر الأخيرة ، تفهموا بنا على ذلك كيف هو واجب إلى أمنيتكم وراحتكم ضبط الخلايق ، لأنه إن كان يصير أصغر الحركات ، فلابد أثقالها يتبع على رؤسكم ، وغير ذلك . ورد لنا فى الحال أخبار من فرانسا ، أنه كملت المصالحة مع إيمبراطور النيمسا ، وأن قيصر الروسية بين وأقام المحاربة ضد دولة العثمنلية والسلام " .

ولما أصبح ثانى يوم (٤) ، اجتمع المشايخ ببيت الشيخ عبد الله الشرقاوى ، وحضر الأغا والوالى والمحتسب ، وأحضروا مشايخ الحارات وكبرا الأخطاط ،

١- أى فى يوم الجمعة ٢٠ شوال ١٢١٥هـ الموافق ٦ مارس ١٨٠١م .

٢ - فى النسخة (أ) "دولة رجال الجمهور الفرنساوى " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٣ - كلمة " فضايلهم " غير موجودة فى النسخة (أ) فأثبتناها من بقية النسخ .

٤ - أى يوم السبت ٢١ شوال ١٢١٥هـ الموافق ٧ مارس ١٨٠١م .

وأمروهم بضبط ما هو دونهم، وأن لا يغفلوا أمر عامتهم ، وخوفوهم العاقبة ، وأن يشتغلوا بما يعينهم . " على أنه لم يبق في الناس إلا رسوم هافتة " (١) ، وانفصلوا على ذلك . هذا وديوان المليون يعملون فيه بالجد والاجتهاد ، وبث المعينين من القواسه [ص٢٧٩] والفرنساوية في المطالبة بالثلث والمنكسر الباقي من الفردة ، والتشديد في أمر الكرنتيلة ، وإزعاج الناس في ذلك ، وخوفهم من حصول الطاعون ، وأشاعوا فيما بينهم أن من أصابه هذا الداء في مكان كشفوا عليه ، فإن كان مريضاً بذلك الداء أخذوا ذلك المصاب إلى الكرنتيلة عندهم وانقطع خبره عن أهله ، إلا إن كان له أجل باقي فيشفي من ذلك ويعود إليهم صحيحاً ، وإلا فلا يروه أهله بعد ذلك أصلاً ولا يدري خبره ، لأنه اذا مات ، أخذه الموكلون بالكرنتيلة ودفنوه بثيابه في حفره ، وردموا عليه التراب ، وأما داره فلا يدخلها أحد ولا يخرج منها أحد (٢) مدة أربعة أيام ، ويحرقون ثيابه التي تختص به ، ويبقى على بابه حرس ، فإن مرّ أحد ولس الباب أو الحد المحدود ، قبضوا عليه وأدخلوه الدار (٣) وكرتنوه ، وإن مات الشخص في بيته ، وظهر أنه مطعون ؛ جمعوا ثيابه وفرشه وأحرقوه ، وغسله الغاسل وحمله الحمالون لا غير ، وخرجوا به من غير مشهد ، وأمامه ناس تمنع المارين من التقرب منه ، فإن قرب منه أحد كرتنوه في الحال ، وبعد دفنه يكرتنون كل من باشره بغسل أو حمل أو دفن ، فهال الناس

---

١ - لعل هذا أبلغ تفسير لعدم قيام ثورة ثالثة في القاهرة ، فبالإضافة إلى احتراس الفرنسين وتحوطهم للأمر، فإن ما نال الناس من المغارم والفرد ، وما عاينوه أثناء الثورات من القتل والنهب والهدم والسلب والأسر لم يبق فيهم إلا جلوداً على عظامها . وهذا هو مانالنا من المحتل الذي يرغب بعضنا في الاحتفال بالذكرى المئتين لتدنسيه أرضنا وتخريبه آثارنا .

٢- " منها أحد " غير موجودة في النسخة (ب) و أثبتناها من بقية النسخ .

٣ - " وادخلوه الدار " غير موجودة في النسخة (ب) و أثبتناها من بقية النسخ .

ذلك الفعل واستبشعوه ، وأخذوا فى الهرب والخروج من مصر إلى الأرياف لذلك ، ولِتَوَهُّم وقوع الفتنة بورود أخبار المراكب إلى أبو قير ، وتحذر الفرنساوية واستعدادهم ، وتأهبهم ونقل أمتعتهم إلى القلعة .

وفى تاسع عشره [1] ، خرجت عساكر كثيرة بحمولهم وفرشهم ، وذهبوا إلى جهة [ص٢٨٠] الشرق ، وأشيع حضور عرضى همايون ووصوله إلى العريش [2] .

وفيه ، أصعدوا الشيخ السادات إلى القلعة وحبسوه .

وفى يوم الثلاثاء ، رابع عشرينه [3] قبضوا أيضا على حسن أغا المحتسب ، وأصعدوه إلى القلعة وحبسوه بالبرج الكبير . ولما أصعدوا الشيخ السادات إلى القلعة سأل الموكل به عن ذنبه وجرمه الموجب لحسبه ، فقال له لم يكن إلا الحذر من إثارتك الفتن فى البلد وإهاجة العامة ، لبغضك الفرنسيس لما سبق لك منهم من الإيذاء ، وأما المحتسب فإن الشيخ البكرى والسيد أحمد الزرو ، ذهبا إلى قايمقام وإلى كبير الفرنسيس وتكلما فى شأنه ، فأجاباهما بأن هذا لم يكن من شغلكما ، وقيل للسيد أحمد إنك رجل تاجر ، وليس المحتسب من جنسك حتى تشفع فيه ، فقال : إنا محتاجون إليه لأجل مساعدته معنا فى قبض المليون ، ولانعرف له ذنباً يوجب حبسه ، لأنه ناصح فى خدمة الفرنسيس . فقالا - على لسان الترجمان -

---

١ - يوم الخميس ١٩ شوال ١٢١٥هـ الموافق ٥ مارس ١٨٠١م ويلاحظ أن هذه اليومية جاءت فى غير موضعها بالنسبة للتسلسل التاريخى وقد لوحظ ذلك فى عجائب الآثار أيضا . ولعل الناسخ قد أخطأ فى كتابة التاريخ، وربما أن تاريخها ٢٢ أو ٢٣ شوال .

٢ - كانت هذه القوات بقيادة الجنرال رينيه Reynier وقد وصلت إلى الصالحية ولم تجد أحداً فعادت كما سنرى بعد قليل .

٣ - يوم الثلاثاء ٢٤ شوال ١٢١٥هـ الموافق ١٠ مارس ١٨٠١م .

الله يعلم ذنبه وصارى عسكر ، وهو أيضاً يعلم ذلك من نفسه ولما سجنوه لم يقلدوا مكانه غيره ، فكان كتخداه يركب مع الأغا ، وأمامهم الميزان ونوبة الحسبة .

وفيه ، نادوا فى الأسواق بالأمان وعدم الانزعاج من أمر الكرنتيلة ، وأن من مات لاتحرق إلا ثيابه التى على بدنه لا غير . وكان أشيع فى الناس أن من مات بدار أحرقوا تلك الدار ، وقصدهم عمل كرنتيلة على البلد [1] بتمامها ، فحصل من هذا المشاع فى الناس كرب عظيم [ص٢٨١] ووهم جسيم ، فنودى بذلك ليسكن روع الناس .

وفى يوم الخميس سادس عشرينه [2] أرسل كبير الفرنسيس وطلب رؤسا الديوان والتجار إلى منزله ، فأعلمهم أنه مسافر إلى بحرى [3] ، وتارك بمصر قايمقام "بليار" وجملة من العسكر والكتبة والمهندسين ، وأوصاهم بأن يكون نظرهم على البلد ، وكان القصد حبسهم رهينة ، فاستشاروا فى ذلك فاقتضى رأيهم تأخير ذلك ، وركب من فوره مسافراً من غير عود ولارجعة، وحضر الجماعة إلى الديوان واجتمعوا بالوكيل "فوريه" فأخبرهم أنه حضر إلى ناحية أبو قير طايفة

---

١ – كلمة " البلد " غير موجودة فى النسخة (ب) فاثبتناها من بقية النسخ .

٢ – ٢٦ شوال ١٢١٥هـ الموافق ١٢ مارس ١٨٠١م .

٣ – لما علم مينو بنزول القوات الانجليزية فى خليج أبى قير ؛ أسقط فى يده ، لانه لم يكن مستعداً لمقاومتها ، ومع ذلك فلم يتبع خطة نابليون والإسراع بحشد جنوده والانتقال بهم إلى الشاطئ لمهاجمة الجنود النازلين، بل إنه ارتبك فى أمره وطفق يصور الأوامر والنداءات العقيمة ، وأخذ يوزع جنوده شرقاً وغرباً ، فأنفذ الجنرال موران إلى دمياط ، والجنرال رينيه إلى بلبيس لتوقعه مجئ الجيش التركى من الشرق ، وأنفذ الجنرال لانوس إلى الاسكندرية ثم تحرك هو آخراً إلى الاسكندرية ومعه نصف الجيش ، فوصلها بعد هزيمة الفرنسيين وانسحابهم إلى داخل المدينة .

راجع الرافعى : رجع سابق ، جـ٢ ، ص ٢١٧ – ٢١٩ .

من الإنكليز ، وصحبتهم طايفة من المالطية (1) ، وأخرى نابلطية ، وطلعوا إلى قطعة أرض رخوة بين سلسولين من الماء ، وأن الفرنساوية محيطون بهم من كل جهة .

وفى سابع عشرينه (2) ، رجعت العساكر التى كانت توجهت إلى جهة الشرق بحمولهم وأثقالهم ، وصحبتهم صارى عسكر الشرقية " رنيه " ، فسافروا من يومهم ولحقوا بكبيرهم براً وبحراً ، وأخبروا عنهم أنهم لم يزالوا سايرين حتى وصلوا إلى الصالحية ، وأرسلوا هجانة إلى العريش ، فلم يجدوا أحداً ، فكروا راجعين ، وأشاعوا أن الجهة الشرقية لم يأت إليها أحد مطلقاً .

شهر ذى القعدة ١٢١٥هـ (3)

فى ثالثه (4) ، أمر وكيل الديوان أرباب الديوان بأن يكتبوا لصارى عسكر مكتوبا بالسلام ، ففعلوا ما أمر به

وفى سادسه ، توفى محمد أغا مستحفظان مطعوناً ، فمرض يوم السبت ، ومات ليلة الأحد (5) ، فوضعوه فى نعش وخرج به الحمالون لاغير ، من [ص٢٨٢] غير مشهد ولا جماعة، وأمامه جماعة منهم يطردون الناس عن التقرب إلى نعشه ،

١- كما فعل بونابرت من قبل حين استولى على مالطة وأخذ بعض أهلها جندا له ، فعل الإنجليز نفس الشئ تقريباً ، فقد استولوا على مالطة فى أول عام ١٨٠٠م واتخذوها قاعدة لتنظيم قواتهم المتجهة لمصر ، كما انضم إليهم منها ٥٠٠ جندى مالطى .

٢ – يوم الجمعة ٢٧ شوال ١٢١٥هـ الموافق ١٣ مارس ١٨٠١م .

٣ – استهل شهر ذى القعدة ١٢١٥هـ بيوم الاثنين ١٦ مارس ١٨٠١م .

٤ – يوم الأربعاء ٣ ذو القعدة ١٢١٥هـ الموافق ١٨ مارس ١٨٠١م .

٥- يفهم من رواية الجبرتى أن وفاته كانت ليلة الأحد سابعه وليس السبت سادسه ، ويوم السبت ٦ ذو القعدة ١٢١٥هـ يوافق ١٩ مارس ١٨٠١م .

وكرتنوا داره وأغلقوها على من فيها ، ولم يقلدوا عوضه أحداً ، بل أذنوا لعبد العال أن يركب عوضاً عنه ، وذلك بمعونة نصر الله النصرانى ترجمان قايمقام مصر [1] فاستقر عبد العال المذكور أغاة مستحفظان ومحتسباً ، فكان ذلك من جملة النوادر والعبر ، فإن عبد العال هذا كان من أسافل الناس [2] العامة وأراذلهم ، وكان أجيراً لبعض نصارى الشوام بخان الحمزاوى يخدمه ، ثم توسط لمصطفى أغا السابق ، بسبب معرفته للنصارى التراجمين ، حتى تقدم بوساطته وقلدوه الأغاوية، فعمله كتخداه ومشيره ، فلما تولى محمد أغا تقيد معه كما كان مع مصطفى أغا ، ولكن دون الحالة التى كان عليها مع ذلك لصلاحية محمد أغا ذلك المقتول . فلما توفى فى هذا الوقت ، ترك لعبد العال الأمر ، لا شتغال الوقت بما هو الأهم من انفتاح الحروب والطاعون وغير ذلك .

وفى يوم الثلاثاء تاسعه [3] ، أشيع فى الناس أن حضرة الصدر الأعظم تحرك للقدوم إلى الديار المصرية ، وأن بعض العساكر الإسلامية وصلوا إلى العريش ، ووصلت الأخبار إلى الفرنسيس ، فداخلهم الوهم والخوف ، ووقع بهم الإرهاب والانزعاج .

ولما كان عشا تلك الليلة ، أرسلوا خلف مشايخ الديوان ، فلما تكامل حضورهم ، حضر "فوريه" وكيل الديوان ، وصحبته آخر من الفرنسيس من طرف قايمقام ، فتكلم "فوريه" كلاماً كثيراً ليزيل عنهم الوهم ، ويواسيهم ، بزخرف القول ، كقوله أنه يحب المسلمين ، ويميل [ص٢٨٣] بطبعة إليهم ، وخصوصا العلما

---

١ - " مصر " غير موجود فى النسخة (أ) وأثبتناها من بقية النسخ .
٢- كلمة " الناس" غير موجودة فى النسخة (أ) وتم إثباتها من بقية النسخ .
٣- يوم الثلاثاء ٩ ذى القعدة ١٢١٥هـ الموافق ٢٤ مارس ١٨٠١م .

وأهل الفضايل ، ويفرح لفرحهم ، ويغتم لغمهم ، ولا يحب لهم إلا الخير ، وسياسة الأحكام تقتضى بعض الأمور المخالفة للمزاج ، وأن صارى عسكر قبل ذهابه رسم لهم رسوما ، وأمرهم بأجرائها والمشى عليها فى أوقاتها ، وأنه عند سفره قصد أن يعوق المشايخ وأعيان الناس ، ويتركهم فى الترسيم رهينة عن المسلمين ، فلما ظهر له وتحقق أن الذين وردوا إلى أبو قير ليسوا من المسلمين ، وإنما هم إنكليزية ونابلطية ، وأعداء للفرنساوية والمسلمين أيضاً ، وليسوا من ملتهم حتى يخشى من ميلهم إليهم ، أو يتعصبون من أجلهم . والآن بلغنا أن عرضى من المسلمين تحرك إلى هذا الطرف ، فلزم الأمر لتعويق بعض الأعيان ، وذلك من قوانين الحروب عندنا ، ولا يكون تكدر ولا وهم بسبب ذلك ، فليس إلا الإعزاز والإكرام أينما كنتم ، والوكيل يكون دايماً نظره معهم ، ولا يغفل عن تقليل مزاجه فى كل وقت ويوم [(١)] ، ثم انتهى الكلام وانقضى المجلس على تعويق أربعة أشخاص من المشايخ ، وهم الشرقاوى والشيخ المهدى والشيخ الصاوى والشيخ الفيومى ، فأصعدوهم إلى القلعة فى الرابعة من الليل [(٢)] وأجلسوهم بمسجد سيدى سارية [(٣)] ، ونقلوا إلى مكانهم الشيخ السادات ، فاستمر معهم بالمسجد ، وأطلقوا لكل شيخ خادماً ، يطلع إليه وينزل ليقضى أشغاله ، وما يحتاج إليه من منزله ، والذى يريد من أحبابهم وأصحابهم زيارتهم أخذ له ورقة بالإذن من قايمقام ، ويطلع بها فلا يمنع

---

١ – كلمة " يوم" غير موجودة فى النسخة (ب) فتم أثبتاها من النسخ الأخرى .

٢– أى فى الساعة العاشرة من مساء يوم الثلاثاء ليلة يوم الأربعاء .

٣ – جامع سيدى سارية فى قلعة الجبل وينسب إلى سيدى سارية صاحب رسول الله عليه صلى اله عليه وسلم وله منبر خشب ودكة وله مناره ، وعليه أوقاف عديدة ينفق من دخلها عليه ، وقد عده "ابن جبير " من ضمن مشاهد الصحابه التى بمصر . انظر علي مبارك – مصدر سابق : جـ٥ ص٣٦ .

، وكذلك أصعدوا إبراهيم أفندى كاتب البهار ، وأحمد بن محمود محرم ، وحسين قرا إبراهيم ، ويوسف باش جاويش [ص٢٨٤] تفكشيان ، وعلى كتخدا يحيى أغاة الجراكسة ، ومصطفى أغا بطال ، وعلى كتخدا النجدلى ، ومحمد أفندى سليم ، ومصطفى أفندى جمليان ، ورضوان كاشف الشعراوى وغيرهم ، وأمروا المشايخ والذين لم يحبسوا بتقيدهم ونظرهم إلى البلد والعامة ، وإنهم يترددون على "بليار" قايمقام ويعلموه بالأمور التى ينشأ عنها الشرور والفتن ، وأهمل ديوان المليون ، والمطالبة بثلثه ، وكذلك كسرة الفردة ، ونَفَّسَ الله عن الناس ، وكذلك تُسوهل فى أمر الكرنتيلة ، وإجازه الأموات ، وعدم الكشف عليهم وتصديق الناس بما يخبرون به فى مرض من يموت ، وذلك لكثرة أشغالهم وحركاتهم وتحصنهم ، ونقل متاعهم وصناديقيهم وفرشهم وذخايرهم إلى القلعة الكبيرة على الجمال والحمير ليلاً ونهاراً ، والطاعون متعلق فيهم ، ويموت منهم العدة فى كل يوم .

وفى حادى عشره (١) أفرجو عن الشيخ سليمان الفيومى ، وأنزلوه من القلعة ليكون مع من لم يحبس ، وأمرهم الوكيل بالتقيد والحضور إلى الد يوان على عادتهم ولايهملونه ، فكانوا يحضرون ويجلسون حصة يتحدثون مع بعضهم ، ثم ينصرفون إلى منازلهم ، وكذلك أمروا القاضى بأن يحضر ويجلس من غير سابقة له بذلك ، وذلك حفظاً للناموس لا غير .

وفى ثالث عشره (٢) ، نقل "فوريه " الوكيل متاعه إلى القلعة ، وصعد إليها فلم ينزل ، وأرسل إلى الشيخ سليمان الفيومى فى تذكرة يأمره فيها بأن ينقل فراش المجلس ، ويودعه فى مكان بداره [ص٢٨٥] ففعل ما أمر به ، ولم يتركوا به

---

١ - يوم الخميس ١١ ذو القعدة ١٢١٥هـ الموافق ٢٦ مارس ١٨٠١م .

٢ - يوم السبت ١٣ ذو القعدة ١٢١٥هـ الموافق ٢٨ مارس ١٨٠١م .

إلا الحصر ، وأمر بحضور أرباب الديوان على عادتهم ، فكانوا يفرشون [سجاجيدهم ويجلسون عليها حصة الجلوس ، ثم ينصرفون] (١)

وفى رابع عشره (٢) ، نقلوا حسن أغا المحتسب من البرج إلى جامع سارية صحبة المشايخ ، وكذلك "فوريه" الوكيل جعل سكنه الجامع المذكور ، وأظهر أن قصده موانستهم ، وليس إلا لضيق مساكن القلعة ، وازدحام الفرنسيس بها ، وكثرة مانقلوه إليها من الأمتعة والذخاير والغلال والأحطاب ، مع ما هدموه وعطلوه من أماكنها ، حتى أنهم سدوا أبواب الميدان ، وجعلوه من جملة حقوقها ، فكانوا ينزلون إليه ويصعدون منه من باب السبع حدرات .

وفى تاسع عشره (٣) ، ورد مكتوب من كبير الفرنسيس من ناحية سكندرية ، مؤرخ بثالث عشر القعدة ، وهو جواب عن المكتوب المرسل إليه السابق ذكره ونصه الصدر المعتاد "من عبدالله جاك منوا سر عسكر أمير عام جيوش الفرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها ببر مصر حالاً ، إلى كامل المشايخ والعلما الكرام المقيمين بالديوان المنيف بمحروسة مصر ، أدام الله فضايلهم ، ورد لنا مكتوبكم العزيز ورأينا بكامل السرور كلما فصلتوا لنا به (٤) وثبت من مفهومنا صِدْق ودادكم لنا ولعسكر الدولة الفرنساوية ، ودمتم حضراتكم وكافة أهالى مصر بالحمية ، والاستقامة الموعودة ، ومعلوم على فضايلكم أن الله يهدى كلاً ، فما النصرة إلا منه، ووضعت عليه اعتمادى ، وما توفيقى إلا بالله وبرسوله الكريم عليه

١- مابين القوسين غير موجود فى النسخة (أ) فأثبتناه من بقية النسخ .

٢ – يوم الأحد ١٤ ذو القعدة ١٢١٥هـ الموافق ٢٩ مارس ١٨٠١م .

٣ – يوم الجمعة ١٩ ذو القعدة ١٢١٥هـ الموافق ٣ أبريل ١٨٠١م .

٤ – فى النسخة (ب) " فضلتوا لبابه " وما أثبتناه من باقى النسخ ومن عجائب الآثار هو الأصوب .

السلام [ص٢٨٦] الدايم ، إن ابتغيت النصرة ، فما هو إلا لسهوله خيراتى إلى بر مصر وسكان ولايتها ، وخير أمور أهلها ، والله تعالى يكون دايماً معكم ، ولكرم وجوهكم بسلامة "

وفيه [1] ، سمع ونقل عن بعض الفرنسيس أنه وقع الحرب بين الفرنساوية والانكليزية ، وكانت الهزيمة على الفرنسيس ، وقتل نحو الألفين وسبعماية ، وانحازوا إلى داخل الأسكندرية، وتحصنوا بها ، ووقع فيما بين الفرنسيس الاختلاف ، واتهم "منوا" صارى عسكر "رنيه" و "داماس" ورأى منهما ما رابه [2] وكان سببا لخذلانه ، فيما يظن و يعتقد ، فقبض عليهما وعزلهما من إمارتهما ، وأن الإنكليز أطلقوا حبوس المياة المالحة حتى أغرقت طرق الإسكندرية ، وصارت

---

١ – أى فى تاسع عشره يوم الجمعه ٣ أبريل . وهو نفس تاريخ اليومية التالية أيضاً .

٢ – وصل مينوإلى الأسكندرية يوم ١٩ مارس ، فاعتزم الهجوم على الانجليز قبل أن يضربوا الحصار حول الأسكندرية ، ولكن قواد جيشه نصحوه بالتريث حتى يستعد ولكنه لم يستمع لهم ، فكانت معركة كانوب يوم ٢١ مارس التى دارت رحاها فى المنطقة المعروفة بالنزهة ، وسميت باسم كانوب نسبة إلى أحد الأبواب القديمة للأسكندرية ، وكان عدد الجيش الإنجليزى ١٦,٠٠٠ من المشاه و ٢٠٠ من الفرنسان و أما الجيش الفرنسى فتكون من ٨٣٥٠ من المشاه و ١٣٨٠ من الفرنسان ، وبدأ الهجوم الفرنسى فى الثالثة صباحا ، ومع حلول الساعة الحادية عشر صباحا كانت كل الهجمات الفرنيسية قد تحطمت على صخرة الدفاع البريطانى المدعمة بالمدافع من البر والبحر ، وخسر الفرنسيون ١٥٠٠ قتيل ونحو ألف من الجرحى وأصدر مينو أوامره بالانسحاب إلى داخل المدينة ، ومع انتصار الإنجليز فإن خسائرهم كانت كبيرة حيث فقدوا نحو ١٥٠٠ قتيل على رأسهم قائد الجيش نفسه الجنرال أبركرومبى Abercromby الذى أقام له الإنجليز تمثالاً من المرمر فى موقع المعركة وذلك فى عام ١٩٠١م أما مينو فقد أخذ يستعد للدفاع عن الاسكندرية وأمر بالقبض على الجنرالات الذين عارضوه فى الهجوم على الإنجليز ، وهم رينيه وداماس وبويه ونفاهم إلى فرنسا على ظر سفينتين رحلتا بم عن مصر قبل أن يطبق الإنجليز حصارهم على المدينة . راجع الرافعى : مرجع سابق ، ص ٢٢٥ – ٢٣٤.

جميعها لجة ماء ، ولم يبق لهم طريق مسلوك إلا من جهة العجمى إلى البرية ، وأن الإنكليز تترسوا قبالهم من جهة الباب الغربى ، وأن حسين باشا القبطان ورد بعساكره جهة أبو قير ، وطلع عسكره من المراكب إلى البر ، وقويت القراين الدالة على صحة هذه الأخبار ، وظهرت لوايح الخذلان فى وجوه الفرنسيس ، مع شدة تجلدهم وكتمان أمرهم ، وتنميق أكاذيبهم.

وفيه ، سدوا باب البرقية المعروف بباب الغريب وبنوه ، فضاق خناق الناس بسبب الخروج إلى القرافة بالأموات ، فكان الذى مدفنه ببستان المجاورين ، يخرج بجنازته من باب النصر ، ويمرون [ص٢٧٨] بها من خلف السور ، حتي ينتهوا إلى مدفنهم ، فحصل للناس مشقة شديدة ، وخصوصاً مع كثرة الأموات ، فكلم بعض المشايخ قايمقام فى شأن ذلك ، فأرسل إلى قبطان الخطة ، ففتح باباً صغيراً من حايط السور ، على قدر النعش والحمالين والمشاة .

وفى يوم الأحد حادى عشرينه (١) ، توفى الشيخ الإمام محمد بن الشيخ الإمام العلامة الجوهرى الخالدى الشافعى ، ودفن عند والده بدرب شمس الدولة ، وتوفى أخوه أيضاً بشبين الكوم ، وهو السيد عبد الفتاح ، وذلك بعده بأربعة أيام

وفى ثانى عشرينه (٢) ، سافر جماعة من أعيان الفرنساوية إلى جهة بحرى، وهم "استوف" الخازندار العام ومدبر الحدود ، "وفوريه" وكيل الديوان ، و "شنانيلوا" مدبر أملاك الجمهور ، و "برنار" وكيل دار الضرب ، و"ريج" خازندار دار الضرب ، و "لابرت" رئيس مكتبهم وحافظ سجلاتهم وكتبهم ، وأخذوا معهم طايفة من رؤساء القبط وفيهم جرجس الجوهرى .

---

١ - يوم الأحد ٢١ ذو القعدة ١٢١٥هـ الموافق ٥ أبريل ١٨٠١م .
٢ - يوم الاثنين ٢٢ ذو القعدة ١٢١٥هـ الموافق ٦ أبريل ١٨٠١م .

وفى ثالث عشرينه (١) ، تـوكـل بحـضـور الديـوان [كلب منهم] (٢) ، يقـال له "جـرار" (٣) ، ولما حضر فى أول جلسة أخبر أنه ورد كتاب من كبيرهم جاك منوا باللغة الفرنساوية ، ومضمونه أنه مقيم بسكندرية ، وهو مورخ بعشرينه القعدة (٤) ، وذلك كذب على حد قولهم "بوش مصاحبة " .

وفيه (٥) ، قدم ثلاثه أنفار من العرب صحبة جماعة من الفرنسيس ، وذهبوا إلى بيت قايمقام ، فاستفسروا منهم ، فاختل كلامهم ، وتبين كذبهم ، فأمر بحبسهم .

وفيه ، حضر جماعة من الفرنسيس من جهة الشرق ، ومعهم دواب [ص٢٨٨] كثيرة وآلات حرب ، ومروا فى شارع المدينة ، ومنعوا الناس من شرب الدخان خوفاً على البارود من النار ، فتبين أنهم الذين كانوا محافظين بالصالحية .

وبعد أيام ، حضر أيضا الذين كانوا بالقرين ، وكذلك الذين كانوا ببلبيس وناحية الشرق شيئاً بعد شئ .

وفى غايته (٦) ، مات على كتخدا النجدلى ، بعد أن مرض بالحبس ، وأنزل من القلعة ، ومات بداره .

---

١ - يوم الثلاثاء ٢٣ ذو القعدة ١٢١٥هـ الموافق ٧ أبريل ١٨٠١م .
٢ - مابين القوسين حذف من عجائب الآثار و كتب بدلها " كمثارى " .
٣ - المسيو جيرار Girard أحد مهندسى الحملة ، والمشرف على إدارة أعمال الرى ، درس ترع القطر المصرى ، وله بحث عن الأحوال الزارعية والصناعية والتجارية لمصر نشر فى كتاب وصف مصر ، وكان عضواً بالمجمع العلمى الفرنسى ، توفى عام ١٨٣٦م .
٤ - يوم السبت ٢٠ ذو القعدة ١٢١٥هـ الموافق ٤ أبريل ١٨٠١م .
٥ - يوم الثلاثاء ٢٣ ذو القعدة ١٢١٥هـ الموافق ٤ ابريل ١٨٠١م .
٦ - كانت غايته يوم الثلاثاء ٣٠ ذو القعدة ١٢١٥هـ الموافق ١٤ أبريل ١٨٠١م .

شهر ذى الحجة الحرام ١٢١٥هـ [١]

فيه [٢] ، حصل الاجتماع بالديوان ، وأخبر الوكيل أن كبيرهم قد بعث أخباراً بالأمس ، منها أنه قد مات جماعة من كبرا الإنكليز ، وأن أكثر عساكرهم ممروضون بمرض الزحير والرمد ، وربما حصل الصلح عن قريب ، ويرجعون إلى بلادهم ، وأن العطش مُضَارِرْهُم ، وبعثوا عدة مراكب لتأتيهم بالماء فتعذر عليهم ذلك ، ثم سأل عن أحوال البلد وسكون الرعية والغلال والأقوات ، فأجيب بإن البلد مطمينة ، والرعية ساكنة ، والغلال موجودة ، فقال لابد من اعتنايكم بجمع هذه الأمور الموجبة للراحة .

وفيه ، أشيع أن العساكر العثمانية والإنكليز ملكوا ثغر رشيد وأبراجها ، وحاربوا من كان من الفرنسيس حتى قتل من قتل وأسر من أسر ، وهرب الباقون ولله الحمد [٣] .

وفى ذلك اليوم [٤] ، قبضوا على نيف وستين من مغاربة الفحامين وطولون والغورية ونفوهم ، وذلك من فعل عبد العال الأغا .

وفيه ، أمر "بليار" قايمقام بركوب أحد [ص٢٨٩] المشايخ صحبة عبد العال ، ويمرون بشوارع المدينة ، فكان يركب معه مرة الشيخ محمد الأمير ، ومرة الشيخ سليمان الفيومى ، وذلك لتطمين الرعية .

١- استهل شهر ذو الحجة الحرام ١٢١٥هـ الموافق يوم الاربعاء ١٥ أبريل ١٨٠١م .

٢ - لم يحدد الجبرتى تاريخ حدوث هذا الاجتماع والمرجح أنه تم أول الشهر يوم الأربعاء ، وعلى ذلك فهو تاريخ اليوميتين التاليتين أيضاً .

٣ - " ولله الحمد " حذفها الجبرتى عند كتابة هذه اليومية فى عجائب الآثار .

٤ - لم يذكر الجبرتى يوماً معيناً فى اليومتين السابقتين وعلى ذلك فربما يقصد يوم الأربعاء غرة شهر ذى الحجة ١٢١٥هـ الموافق أبريل ١٨٠١ .

وفى سادسه [1] ، قرئ مكتوب زعموا أنه حضر من صارى عسكر منو من جهة سكندرية ونصه ، بعد البسملة والجلالة والصدر المعتاد :

" إلى حضرات كافة المشايخ والعلما الكرام المستشيرين بمحفل الديوان المنيف بمحروسة مصر ، أدام الله تعالى فضايلهم ، إنما النصرة إلا من الله وبشفاعة رسوله الكريم عليه السلام الدايم ، العساكر الفرنساوية [2] والإنكليزية هما إلى هذه الآن حضيران قتلهما ، فحصنَّا أطرافنا بمتراس وخنادق لا ت ولا تهجن ، وغير ذلك يلزم نخبر حضراتكم لتهدية تمشياتكم ، ولأجل انتظام أن سلطان الروسية المحمية أعلن بواسطة مرسليه إلى حضرة السلطان سليم أذعن الأمر إلى عساكره ، لأجل ما يتجانبوا ويتراوا [3] ويخلوا من بر مصر جميعاً ، وإلا لابد من السلطات الروسيات الجمعية الإقامة بالمحاربة بمعية ماية ألف عسكرية ضد العثمنلية ، وضد قسطنطونية ، فبناء على ذلك أرسل السلطان سليم أوامره بفرمانه خطاباً إلى عساكره لتخلية بر مصر ، ولكامل من البر المذكور لكى وثم ، ولكن ذهب الإنكليزية كفا للارتشا [4] بعض من مقدار العسكر العثمنلية ، وبتقديم امتثالهم إلى أوامر سلطانهم ، فأعلنوا وأخبروا كل ذلك إلى أهالى مصر ، فانتظموا كما كنتم دايماً بالخير ، فاعتمدوا وتعتنوا بحماية [ص٢٩٠] وصيانة دولة الجمهور الفرنساوية ، والله تعالى يديم فضايلكم عن الإلهام بالخير

---

١ – يوم الاثنين ٦ ذى ١٢١٥ هـ الموافق ٢٠ أبريل ١٨٠١م .

٢ – كلمة " الفرنساوية " لا تتفق مع السياق فربما كتبت خطأ ويقصد بها العثمانية أو المالطية و ولكنها وردت هكذا فى جميع النسخ بما فى ذلك عجائب الآثار أيضا .

٣ – هكذا فى جميع النسخ والصواب " يتروا " .

٤ – العبارة غير منتظمة ولكن المعنى أن الذهب الانكليزى كان كافياً لرشوة بعض العساكر العثمانية .

والسلامات ، حرر فى ٢٥ جرمينال سنة تسعة ، الموافق لثلاثة ذى الحجة سنة ألف ومـايتين وخـمـسـة عـشـر . وكـتب بألـفـاظه وحـروفـه من خط منشيـه " لومـاكـا " الترجمان [لعنه الله وقطع لسانه الذى نطق بهذه الألفاظ السخيفة والتراكيب الكثيفة التى لا يفهم لها معنى ، ولا يتبين لها مبنى] (١) ، ثم قال الترجمان أن الفرنساوى الذى حمل هذا الكتاب نقل لى عن سر عسكر ، أنه ناشر لكم ألوية الشكر على قيامكم بوظايفكم ، فدوموا على ذلك ، ثم إن بعض الحاضرين من المشايخ أخبر بأن رجلاً من المنوفية يقال له موسى خالد ، كان الفرنساوية أحسنوا إليه ، وقدموه على أقرانه ، فلما خرجوا من المنوفية أفسد فى البلاد ، وقطع الطريق ، ولا يتمكن أحد من أهل هذه الجهة ، أن يخرج من بلده لتحصيل معاشه ، وأنه صادر كثيراً من أغنيا منوف وغيرها ، فقال الوكيل ستسكن الفتنة ، ويعاقب المفسدون ، ثم أمر بكتابة مكاتيب ممضاه من مشايخ الديوان ، خطاباً للتجار والمتسببين ولمشايخ البلاد ، يأمروهم بأرسال الغلال والاقوات إلى مصر ، فكتبوا للمحلة الكبرى ومنوف والمنصورة والفشن وبنى سويف .

وفيه (٢) ، كتبوا جواباً من مشايخ الديوان ، لكبير الفرنسيس ، جواباً عن مكتوبه المذكور آنفا .

وفيه ، ذكر قايمقام [ص٢٩١] ، "بليار" لبعض الروسا ، أنه إذا رجع صارى عسكر منصوراً ودامت أهل البلد على سكونهم ، رفع عنهم نصف المليون والظلم

وفى عاشره (٣) ، أفرجوا عن أحمد بن محرم التاجر ، بتوسل والدته

١ – ما بين القوسين حذف من عجائب الآثار .

٢ – أى فى سادس الحجة ١٢١٥ هـ الموافق يوم الاثنين ٢٠ أبريل ١٨٠١م .

٣ – يوم الجمعة ١٠من ذى الحجة ١٢١٥ هـ الموافق ٢٤ أبريل ١٨٠١م .

لقايمقام "بليار" على مصلحة ألفين ريال فرانسة .

وفيه ، خرج عبد العال إلى ناحية أبو زعبل ، ورجع ومعه ثلاثة أشخاص من الفلاحين ، وضرب عنق أحدهم .

وفى ثانى عشره [1] ، ورد الخبر بموت مراد بيك بالوجه القبلى بالطاعون ، وكان موته رابع الشهر ، ودفن بسوهاج ، عند الشيخ العارف ، وإقيم عزاؤة عند زوجته الست نفسية ، وبنت له قبراً بمدفن الامام الشافعى رضى الله عنه ، وأشيع نقله إليه ، ثم ترك ذلك .

وفيه [2] ، قبض عبد العال على أناس من الغورية و الصاغة ومرجوش وغيرهم ، وألزمهم بمال ، وسئل عن ذلك فقال لم أفعله من قبل نفسى ، وإنما هو عن أمر من الفرنسيس .

وفيه ، حفروخندقاً عند تلال البرقية ، فكان الذين يخرجون بالأموات يصعدون بهم من فوق التل ثم ينزلون ويمرون على سقالة من الخشب على الخندق المحفور ، فحصل للناس غاية المشقة ، واتفق أن ميتاً سقط من على أرقاب[3] الحمالين ، وتدحرج إلى أسفل التل .

وفيه ، أرسلوا جوابات إلى الأمرا المرادية ، وتقريراً إلى عثمان بك الجوخدار المعروف بالطنبرجى ، بأن يكون أميراً ورئيساً على خشداشينه ، وعوضاً [ص٢٩٢] عن مراد بك ، ويستمرون على أمريتهم وتحت طاعة الفرنسيس .

١- يوم الأحد ١٢ من ذى الحجة ١٢١٥هـ الموافق ٢٦ ابريل ١٨٠١م .

٢ – أى فى يوم الأحد ١٢ من ذى الحجة ١٢١٥هـ الموافق ٢٦ من أبريل ١٨٠١م وهو تاريخ اليوميات الأربع التالية .

٣- هكذا فى كل النسخ ولكن المقصود منها " رقاب " .

وفيه حضرت جوابات المرسلات والتى أرسلت إلى البلاد ، بسبب إرسال الغلال والأقوات ، بأن المتسببين والتجار أجابوا بالسمع والطاعة ، غير أن المانع لهم قطاع الطريق ، وتعدى العرب ومنعهم السبيل ، وأن أبواب البلدان مغلوقة ، بحيث لا يمكن الخروج منها ، فإذا أمنت الطرق حضر المطلوب ، وكلام هذا معنا وأما الساعى المرسل إلى المنصورة ، فإنه رجع من أثناء الطريق ، ولم يمكنه الوصول إليها ، لأن العساكر القادمة قد دخلوها وصارت فى حكمهم .

وفيه ، أى فى غرة الحجة [1] ، طعن مصطفى أغا بطال ، فلما ظهر فيه ذلك ، رفعوه بطريقة مهانة ، وأنزلوه إلى الكرنتيلة بباب العزب ، وألقوه بها ، ثم تكلم فى شأنه أرباب الديوان وتشفعوا ، فأنزلوه إلى داره ، فمات بها ، وكذلك وقع لحسين قرا إبراهيم التاجر فى ثانى يوم .

وفى كل يوم ، يموت من الفرنسيس الثلاثون والأربعون ، وينزلون بهم من كرنتيلة القلعة ، على أخشاب مثل الأبواب ، كل ثلاثة أو أربعة "سوا " ، يحملونهم الحمالون وأمامهم اثنين من الفرنسيس ، يمنعون الناس و ويباعدونهم عن القرب منهم ، إلى أن يخرجوا بهم من باب القرافة ، فيلقونهم فى حفر عميقة قد أعدها الحفارون ، ويهيلون عليهم التراب حتى يعلوهم ، ثم يلقون صفاً آخر ويغطونهم بالتراب ، حتى تمتلئ الحفرة ويبقى بينها وبين الأرض نحو الذراع ، فيكبسونها بالتراب والأحجار ، ويحفرون أخرى غيرها كذلك ، فيكون فى الحفرة الواحدة ، اثنى عشر وستة عشر فوق [ص٢٩٣] بعضهم البعض وبينهم التراب ، ويرمونهم

---

١ – اذا كان المقصود غرة الحجة فعلا ، فإن هذه اليومية ليست فى موضعها من حيث التسلسل التاريخى الذى عودنا عليه مؤرخنا ، وفى عجائب الآثار ذكر ما وقع لمصطفى أغا وحسين قرا فى أوائل الشهر ولم يحدد يوماً وربما أن مرضهما كان فى غرة الشهر أما وفاتهما فى يومى ١٢ ، ١٣ من ذى الحجة .

بثيابهم وأغطيتهم ، وذلك المكان الذى يدفنون به ، فى العلوة خارج القادرية ، بين الطريقين الموصلين إلى جهة مقام الإمام الشافعى رضى الله عنه .

وفيه ، أنهى مشايخ الديوان تعرض عبد العال الخبيث لمصادرة الناس وطلب المال ، بعد تأمينهم وتبشيرهم برفع نصف المليون عنهم ، فأجيبوا بأن ذلك على سبيل القرض ، لتعطل المال الميرى ، واحتياج العسكر إلى النفقة ، وقيل لهم أيضا إن كان يمكنكم أن تكتبوا إلى البلاد بدفع الميرى رفعنا الطلب عن الناس ، فقالوا هذا غير ممكن لحصول البلاد فى حيازة القادمين ، وقطع الطرق من وقوف العرب بها ، وعدم الانتظام ، وإنما القصد الملاطفة والرفق، فإن وظيفتنا النصح والوساطة فى الخير .

وفى الخميس سادس الحجة [1] ، حضر استوف الخازندار ، وجرجس الجوهرى ومن معهم من القبطة وغيرهم ، ماعدا الفرنسيس الذين ذهبوا معهم ، فأرسلت أوراق بحضور مشايخ الديوان والتجار والأعيان من الغد .

فلما كان فى صبحها ، حصلت الجمعية ، وحضر الخازندار والوكيل وعبد العال ، والحاج عبد اله التاودى ، شيخ الغورية ، والحاج عمر الملطيلى ، " وكليمان " الترجمان ، فتكلم " ستوف " ، وترجم عنه الترجمان بقوله : " إن صارى عسكر الكبير منوا يقربكم يقربكم السلام ويثنى عليكم كثيراً ، وسينحل هذا الحادث إن شا اله تعالى ، ويقدم فى خير ، ويروا أهل مصر ما يسرهم ، وقد هلك من الإنكليز خلق كثير ، وانضموا إليهم من جوعهم وعطشهم ،

---

١ – إن يوم ٦ ذو الحجة لا يوافق يوم خميس ، وإنما يوافق يوم اثنين ، هذا إذا كان المقصود ٦ الحجة ، ولكن الواضح أن يوم الخميس المذكور هو سادس عشر ذو الحجة ١٢١٥هـ الموافق ٣٠ أبريل ١٨٠١م .

ولتعلموا أن الفرنساوية لم يسلموا فى رشيد قهراً عنهم (1) ، وكذلك أخلينا دمياط ، بل لأجل أن يطمعوا ويدخلوا إلى البلاد وتتفرق عساكرهم ، فنتمكن عند ذلك من استيصالهم ، ونخبركم أنه قد وردت إلى سكندرية مركب من فرانسة ، وأخبرت أن الصلح قد تم مع كامل القرانات ، ما عدا الإنكليز ، فإنهم لم يدخلوا فى الصلح ، وقصدهم عدم سكون الحروب والفتن ، ليستولوا على أموال الناس ، واعلموا أن المشايخ المحبوسين وغيرهم بالقلعة لا بأس عليهم ، وإنما القصد من تعويقهم وحبسهم دفع الفتن والخوف عليهم ، وشريعة الفرنساوية اقتضت ذلك ولا يمكن مخالفتها ، ومخالفتها كمخالفة القرآن العظيم عندكم ، وقد بلغنا أن السلطان العثمنلى أرسل إلى عسكره بالكف عن الفرنساوية ، والرجوع عن قتالهم ، فخالف عليه فخالف عليه بعض السفها منهم ، فأجابه بعض الحاضرين من المنافقين بقوله : " إن القصد حصول الراحة والصلح ، والفرنساوية عندى أحسن حالاً من الإنكليز، لأننا قد عرفنا أخلاقهم " ، ثم قال الخازندار : " إن الفرنساوية لا يحبون الكذب ، ولم يعهد عليهم ، فلازم أن تصدقوا كلما أخبروكم به " ، فقال بعض الحاضرين : " إنما يكذب الحشاشون والفرنساوية لا ياكلون الحشيش " ، ثم قال الخازندار : " إن وقع من أهل مصر فشل أو فساد عوقبوا أكثر من عام أول ، وأعلموا أن الفرنساوية لا يتركون الديار المصرية ولا يخرجون منها ابداً ، لانها صارت بلادهم وداخلة فى حكمهم ، وعلى الفرض والتقدير [ص ٢٩٥] ، إذا غلبوا على مصر ، فإنهم يخرجون منها إلى الصعيد ، ثم يرجعون إليها ثانياً (2) ، ولا

---

١ – يتضح سذاجه التبريرات التى يقدمها الفرنسيون للمصريين حول موقفهم وحروبهم مع الإنجليز والعثمانيين وهى أيضا نفس التبريرات التى كان مينو يرسلها إلى " بليار " فى القاهرة ، ولكن هذه التبريرات لم تكن لتقنع أى من الطرفين ، بل أدرك الجبرتى زيفها وسخر منها فى كتابة ووصفها بأنها " تمويهات وأكاذيب وخرافات ".

٢ – لعلها خطة تعلموها من المماليك حيث كان الصعيد ملجائهم فى وقت الأزمات ، وقد طبقها مراد بيك أحسن التطبيق .

يخطر فى بالكم قلة عساكرهم ، فإنهم على قلب رجل واحد ، واذا اجتمعوا كانوا كثيراً " . وطال الكلام فى مثل هذه التمويهات والأكاذيب والخرافات و أجوبة الحاضرين بحسب المقتضيات ، ثم قال الخازندار: " القصد منكم معاونة الفرنساوية ومساعدتهم وغلاقة نصف المليون ، ونشفع بعد ذلك عند صارى عسكر فى فوات النصف الثانى ، حكم ما عرفكم قايمقام بليار ، فاجتهدوا فى غلاقه من الاغنيا ، واتركوا الفقراء ، ولكن ينبغى التعجيل ، فإن الأمر لأجل نفقة العسكر " ، ثم قال لهم : " ينبغى أن تكتتبوا جواباً لصارى عسكر تعرفوه فيه عن راحة أهل البلد ، وسكون الحال، وقيامكم بوظايفكم ، وهو ان شا الله يحضر إليكم عن قريب " ، وانفض المجلس وكتب الجواب المأمور به وأرسل .

وفيه (١) ، وصل الخبر بوصول طاهر باشا (٢) ، بجملة من العساكر إلى أبو زعبل .

وفيه ، خرج عدة من العساكر الفرنساوية ، وضربوا أربع قرى من الريف بعلّة موالاة العرب ، وقطاع الطرق ، فنهبوهم وحضروا إلى مصر بمتاعهم ومواشيهم .

وفيه أرسل "بليار" قايمقام يطلب من الوجاقلية بقية ما عليهم من المال المتأخر من فردة الماتزمين ، وقدره اثنى عشر ألف ريال ، وإن تأخروا عن الدفع ، أحاط العسكر ببيوتهم ، ونقلهم إلى أضيق الحبوس ، بل واستعملهم فى شيل الأحجار ، فاعتذروا بضيق ذات يدهم ، وحبسهم فتصدر إليهم السيد أحمد الزرو ،

---

١ – يوم الجمعة ١٧ من ذى الحجة ١٢١٥هـ الموافق ١ مايو ١٨٠١م .

٢ – طاهر باشا : ورد عنه فى عجائب الآثار " حضر طاهر باشا الأرنؤود وعساكر أرنؤود ، وقد تولى على مصر بعد خسروا باشا ولكن قتله الإنكشارية عام ١٨٠٣م " .

وتشفع عند قايمقام بأن يقوموا بدفع أربعة [ص٢٩٦] آلاف ريال ، ويؤجلون (١) الباقى وينزلون من القلعة ، لتحصيل ذلك ، فأجابهم وأنزل على يحيى أغاة الجراكسة ، ويوسف باش جاويش ، إلى بيت عبد العال ، وحبسهم بمكان (٢) بداره ، وحبس معهم مصطفى كتخدا الرزاز ، فكان يتهددهم ويرسل إليهم أعوانه ، يقولون لهم : " شهلوا ما عليكم وإلا ضربكم الأغا بالكرابيج " ، وسبحان الفعال لما يريد ، فأن عبد العال هذا الذى يتهددهم ، ربما لا يقدر على الوصول إلى الوقوف بين يدى أتباعهم ، فضلا عنهم .

وفيه ، حضر رسل من طرف حضرة عرضى همايون "بليار" ، فاجتمعوا به ، وخلا بهم وجههم من ليلتهم ، فلما حصلت الجمعية بالديوان سئل الوكيل عن ذلك ، فقال : إنهم أرسلوا يطلبون الصلح .

وفى ثامن عشره (٣) ، أفرجوا عن إبراهيم أفندى كاتب البهار ، ليساعد فى قبض نصف المليون .

وفى رابع عشراينه (٤) ، قبضوا على أبو القاسم المغربى الذى كان تولى مشيخة رواق المغاربة بالأزهر (٥) ، بعد موت الشيخ الذى قبله بالشام ، وهو

---

١ – فى النسخة (أ) " ويرحلون بالباقى " ، ولكن الصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٢ – كلمة " بمكان " غير موجودة فى النسخة (أ) فأثبتناها من بقية النسخ .

٣– يوم السبت ١٨ من ذى الحجة ١٢١٥هـ الموافق ٢ مايو ١٨٠١م .

٤ – يوم الجمعة ٢٤ من ذى الحجة ١٢١٥هـ الموافق ٨ مايو ١٨٠١م .

٥ – رواق المغاربة : خصص هذا الرواق للطلبة الوافدين من برقة طرابلس وتونس والجزائر ومراكش وهو يقع فى الجانب الغربى من صحن الجامع إلى يمين الداخل من باب المغاربة ، وجد به مكتبة كبيرة تضم ٣٣٨٦ مجلداً ، وفى الرواق مطبخ وبئر ، وله باب وكاتب وبواب ، وكان مقدار الجراية التى تقدم لطلبته كل يومين ثمانمائه واثنين وستين رغيفاً ، وكانت تصرف لهم مرتبات نقدية شهرية ، ومن شروط المحبوسة على هذا الرواق أنه لا يستحق مرتباته وجريات إلا من كان مالكى المذهب ، راجع د / عبد العزيز الشناوى : الأزهر جامعاً و جامعة ، الأنجلو١٩٨٣، جـ١ ، ص ٢٦٢ .

الشيخ سالم بن مسعد الطرابلسى ، خرج من مصر ليلة الهزيمة الأولى من الحرب ، الذى وقع بانبابة ، فاستمر مقيماً بالشام إلى أن مات ودفن هناك ، وكان رجلاً خيراً صالحاً سمح النفس ، دمث الطباع والأخلاق ، وفيه تودد للناس وحسن عشرة ، ولما [ص ٢٩٧] تولى مشيخة الرواق ، امتدحه صاحبنا (١) المشار إليه بقصيدة أشار فى مطلعها إشارة خفية ، لحالته مع الشيخ سالم المتولى مشيخة الرواق المذكور ، والسيد عبد الرحمن المعزول ، فإن بينه وبين المتولى صداقة ومحبة بخلاف المعزول ، ولأن المتولى تحمد سيرته بخلاف الذى عزل ، وأول القصيدة :-

انهض فقد ولت جيوش الظلام	وأقبل الصبح سفير اللثام
وعنت الوُرقُ على أيكها	تنبه الشرب لشرب المدام
والزهر أضحى فى الربا باسماً	لما بكت بالطل عين الغمام
والغصن قد ماس بأزهاره	لما غدت كالدر فى الانتظام
وعطر الروض مرور الصبا	على الرياحين فأبرى السقام
كأنما الورد على غصنه	تيجان إبريز على حسن هام
كأن منظوم الزراجين يا	قوت غدا من نظمه فى انسجام
كأنما الآس عذار على	وجنة خشف قد علاها ضرام
كأنما الورقاء لما شدت تتلو	. علينا فضل هذا الإمام

ثم استمر فى مدحه ، وهى طويلة مسطرة بديوان المذكور يقول فى آخرها :-

بشراك إقبال به دائماً	كان له فيك مزيد الهيام
فقد رأينا فيك ما نرتجى	لا زلت فينا سالماً والسلام

١- كل ما ورد فى هذه اليومية من أشعار الشيخ حسن العطار محذوف فى عجائب الآثار .

ولما قبضوا على السيد أبو القاسم المذكور حبسوه[1] بالقلعة وكذلك محمد أفندى يوسف ثانى قلفة ، وآخر له عبيد السكرى .

وفى خامس عشرينه [2] ، أظهروا مكتوباً وزعموا أنه حضر من صارى عسكرهم ، وقرئ بالديوان ، وهو فى معنى التمويه والخرافات السابقة ، وفى ضمنه تقرير الفرنساوى المسمى[ص٢٨٩] " بجيرار" بالديوان عوضاً عن " فوريه " وتاريخه ثامن عشر الحجة [3]

وفى سادس عشرينه [4] ، أعادوا فرش الديوان بأمر الوكيل " جيرار " ، وذلك على حد قول القائل :

وتجلدى للشـــامتين أريهم أنى لريب الدهر لا أتضعضع [5]

وفيه [6] ، أفرجوا عن أحمد الكاشف سليم الشعرواى ، بشفاعة حسين كاشف اليهودى، وسافر إلى جهة الصعيد .

وفى ثامن عشرينه [7] ، وصلت البشائر [8] بوصول حضرة الصدر الأعظم ،

١- لم يذكر سبب حبسه فى مظهر التقديس ، ولكنه فى عجائب الآثار يقول : " بسبب أنه كان يتكلم فى بعض المجالس ويقول " أنا شيخ المغاربة وأحكم عليهم ، ويتباهى بمثل هذا القول ، فنقل عنه ذلك إلى عبد العال والفرنسيس ، وظنوا من صحة قوله ، وأنه ربما آثار فتنة فقبضوا عليه ... ".

٢- يوم السبت ٢٥ من ذى الحجة ١٢١٥هـ الموافق ٩ مايو ١٨٠م.

٣ - يقصد يوم السب ١٨ من ذى الحجة ١٢١٥هـ الموافق ٢ مايو ١٨٠١م .

٤ - يوم الأحد ٢٦ من ذى الحجة ١٢١٥هـ الموافق ١٠ مايو ١٨٠١م .

٥ - هذا البيت ورد فى النسخة (ب) نثرا أى فى جملة واحدة وغير مقطع إلى شطرين .

٦ - أى يوم ٢٦ من ذى الحجة ١٢١٥هـ الموافق ١٠ مايو ١٨٠١م .

٧ - يوم الثلاثاء ٢٨ من ذى الحجة ١٢١٥هـ الموافق ١٢ مايو ١٨٠١ .

٨ - فى عجائب الآثار لا يعتبر الجبرتى هذه الأخبار " بشائر " ويكتب اليوميه هكذا " وردت الأخبار بوصول ركاب الوزير يوسف باشا إلى بلبيس" .

والملاذ الأفخم ، وحلول ركابه ببلبيس وذلك يوم الجمعة رابع عشرينه (١) ، فأقبل السرور ، وانشرحت الصدور .

مجمل يوميات سنة ١٢١٥هـ (٢)

وانقضت هذه السنة بحوادثها التى لا يمكن ضبط كلياتها ، فضلاً عن جزئياتها فمنها توالى الهدم والخراب ، وتغيير المعالم ، وتنويع المظالم . وعم الخراب خطة الحسينية خارج باب الفتوح والخروبى ، فهدموا تلك الجهات والأخطاط والحارات والدروب ضمن ذلك من الخانات والوكايل والرباع والدور والحمامات والمساجد والمزارات ، والزوايا والتكايا ، وبركة جناق وما بها من الدور والقصور المزخرفة ، وجامع الجنبلاطية (٣) العظيم بباب النصر ، وما به من القباب العظام ، المعقودة من الحجر المنحوت المربعة الأركان ، الشبيهة بالأهرام ، والمنارة ذات الهلالين ، واتصل هدم خارج باب النصر بخارج باب الفتوح ، وباب القوس إلى باب الحديد ، حتى بقى ذلك كله خراباً متصلاً واحداً ، وبقى سور المدينة الأصلى ظاهراً مكشوفاً ، فغمروه ورموا ما تشعث منه ، وأوصلوا بعضه ببعض

١- يوم الجمعة ٢٤ من ذى الحجة ١٢١٥هـ الموافق ٨ مايو ١٨٠١م .
٢ - استهلت هذه السنة بيوم الأحد ٢٥ مايو ١٨٠٠م ، ، إنقضت بيوم الأربعاء ١٨٠١م .
٣ - جامع الجنبلاطيه : بشارع درب الحجر من ثمن درب الجماميز بجوار منزل الأمير راغب باشا ، بناؤه بالحجر الآلة على هيئة شكل مستطيل ، وله بابان عن يمين القبلة وشمالها ، وبه أربعة أعمدة من الرخام عليها بوائك معقودة من الحجر تحمل سقفاً من الخشب النقى، وفى قبلته ترابيع من القيشانى وله منبر من الخشب الخرط ، ودكه للتبليغ ومنارة ، وميضأ ، وبجواره سبيل يعلوه مكتب ويملأ من الخليج الحاكمى زمن فيضان النيل بواسطة مجراه . على مبارك : مراجع سابق ، جـ٤ ، ص ١٥٤ .

بالبنا ، ورفعوا بنيانه ، [ص ٢٩٩] وعملوا عند كل باب كرانك وبدنات عظاماً و وأبواباً داخلة وخارجة ، وأخشاباً مفروسة بالأرض ، مشبكة بكيفية مخصوصة ، وكذلك باب البرقية وباب المحروق (١) ، وأنشاوا عدة قلاع فوق تلال البرقية (٢) ، ورتبوا فيها العساكر وآلات الحرب والذخيرة ، وصهاريج الماء ، وجعلا لها مزالق وانحدارات لسهولة الصعود والهبوط ، بقياسات هندسية ، على زوايا قايمة ومنفرجة ، وبنوا تلك القلاع بمقادير بين أبعادها ، وهدموا أبنية رأس الصوة ، حيث الحطابة وباب الوزير ، وتحت القلعة الكبيرة ، وما بذلك من المدارس القديمة المشيدة القديمة المشيدة ، والقباب (٣) المرتفعة وهدموا أعالى المدرسة النظامية ومنارتها ، وكانت فى غاية الحسن ، وجعلوها قلعة ، ونبشوا ما بها من القبور ، فوجدوا الموتى فى توابيت من الخشب ، فظنوا داخلها دارهم ، فكسروا بعضها ، فوجدوا بها عظام الموتى ، فألقوها إلى خارج ، فاجتمع أهل تلك الجهة وحملوها ، وعملوا لها مشهداً بجمع من الناس ، ودفنوها داخل التكية المجاورة لباب المدرج (٤) ، وهدموا مدرسة القانبية ، والجامع المعروف بالسبع سلاطين ،

١- باب المحروق : أحد أبواب القاهرة فى سورها الشرقى المشرف على الصحراء أنشأه السلطان صلاح الدين الأيوبى فى سنة ٥٦٩ هـ الموافق ١١٧٤م ، وكان يعرف بباب القراطين ، اكتشفه الأستاذ كريسويل بعد أن بطل استعماله وسد بالبناء . راجع د : عبد الرحمن زكى – مرجع سابق ، ص ٢٤ .

٢ – كلمة " البرقية " غير موجودة فى النسخة (ب) فأثبتناها من بقية النسخ .

٣- كلمة " القباب " تكتب فى النسخة (ب) دائما " قبب " والأصوب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٤ – باب المدرج : أقدم أبواب قلعة الجبل ، أنشأه السلطان صلاح الدين الأيوبى فى سنة ٥٧٩هـ الموافق ١١٨٣م ، و لا يزال باقياً عند يسار الداخل إلى القلعة من الباب الجديد ، نقش عليه ما نقرأه إلى يومنا هذا وهو " بسم الله الرحمن الرحيم " أمر بإنشاء هذه القاعة الباهرة المجاورة لمحروسة القاهرة التى جمعت نفعاً وتحسيناً وسعه على من التجأ إلى ظل ملكه وتحصينا ، مولانا الملك صلاح الدنيا والدين أبو المظفر يوسف بن أيوب محى الدولة أمير المؤمنين على يد أمير مملكته قراقوش عبد الله المالكى الناصرى فى سنة تسعة وسبعين وخمسمائة . د / عبد الرحمن زكى : مرجع سابق ، ص ٢٤ .

والجامع الجركسي ، وجامع خوند ببركة الناصرية خارج باب البرقية ، وكذلك أبنية باب القرافة ، ومدارسها ومساجدها ، وسدوا الباب ، وعملوا الجامع الناصرى [ص ٣٠٠] الملاصق له قلعة، بعد أن هدموا منارته وقبابه ، وأوصلوا سور باب القرافة بجامع الزمر ، وجعلوا ذلك الجامع قلعة ، وكذلك عدة قلاع متصلة بالمجراة التى كانت تنقل الماء إلى القلعة الكبيرة ، وسدوا عيونها ، وجعلوها سوراً بذاتها ، ولم يبقوا منها إلا قوصرة واحدة من ناحية الطيبى جهة مصر القديمة وجعلوها باباً ومسلكاً ، وعليها الكرانك والغفر والعسكر الملازمين الإقامة بها ، وسدوا الجهة المسلوكة من ناحية قنطرة السد ، وحفروا خلف ذلك خندقاً .

ومنها ، تخريب دور الأزبكية وردمها بالأتربة و تبديل أوضاعها ، وهدم خطة قنطرة الموسكى ، وما جاورها من أول القنطرة المجاورة للحمام ، إلى البوابة المعروفة بالعتبة الزرقا ، حيث جامع أزبك ، وما فى ضمن ذلك من الدور والحوانيت والوكايل ، وكوم الشيخ سلامة ، فيسلك المار من على القنطرة فى رحبة متسعة حتى ينتهى إلى رحبة الجامع الأزبكى ، وهدموا بيت الصابونجى ، ووصلوه بجسر عريض ممتد ممهد ، ينته إلى قنطرة الدكة (١) ، وفى متوسط ذلك قنطرة المغربى ، ومنها يمتد إلى بولاق على خط مستقيم إلى ساحل البحر ، حيث موردة التين و الشون ، وزرعوا بحافتيه السيسبان ، وهدموا المسجد المجاور لقنطرة الدكة و مع ما جاوره من الأبنية والغيطان ، وعملوا هناك بوابه وكرنكاً وعسكراً ملازمين [ص ٣٠١] الإقامة والوقوف ليلاً ونهاراً ، وذلك عند مسكن " بليار " قايمقام ، وهى دار جرجس الجوهرى.

---

١ – فى النسخة (ب) تكتب " النكة " والصواب ا أثبتناه من بقية النسخ .

وقنطرة الدكه : يذكر المقريزى أنها كانت تقع على خليج الذكر ، وعرفت بقنطرة الأمير بدر الدين التركمانى الذى عمرها . المقريزى – مصدر سابق ، ج٢ ، ص ١٢٥ .

ومنها توالى خراب بركة الفيل ، بأسرها ودورها وقصورها ، وبيوت الأمرا التى كانت بها ، حتى صارت كلها تلالاً وخرايب ، بحيث لا يتصور الرائى إعادتها إلا أن شاء الله ، وأخذوا أخشابها لعمارة القلاع ، ووقود النيران والبيع ، وكذلك ما كان بها من الرصاص والحديد والرخام . وهذه البركة يقول فيهاابن سعيد الأندلسى ، وقد ذكر القاهرة : " وأعجبنى فى ظاهرها بركة الفيل ، لأنها دائرة كالبدر ، والمناظر فوقها كالنجوم ، وعادة السلطان يركب فيها بالليل ، ويسرح أصحاب المناظر على قدر هممهم وقدرتهم ، فيكون بذلك لها منظر عجيب، وفيها أقول :-

أنظر إلى بركة الفيل التى اكتنفت	بها المناظر كالأهداب للبصر
كأنما هى والأبصار ترمقها	كواكب قد أداروها على القمر

ونظرت إليها وقد قابلتها الشمس بالغدو فقلت :

" شعر "

أنظر إلى بركة الفيل التى نحرت	لها الغزالة نحراً من مطالعها
وخل طرفك مجنوناً ببهجتها	يهيم وجداً وحباً فى بدايعها

وقال صاحبنا المشار إليه (١) : " وأما بركة الفيل ، فقد رميت بكل خطب جليل ، وأورثت العين بوحشتها بكاء وعويل ، والقلب يتذكر ما سلف من مباهجها حزناً طويل . تبدلت مغردات أطيارها بنواعب الغربان ، ومحاسن غزلانها بكل علج تقذى به العينان ، ومشيد قصورها بخرايب وتلال ، وأكابر أمرايهما بصعاليك [ص٣٠٢] وأراذل . ولقد تذكرت ماضى عيش بها سلف ، ومعهد أنس كان للكآبه

١ - المقصود هنا هو الشيخ حسن العطار وكل ما ورد على لسانه فى هذه اليومية من نثر وشعر محذوف فى عجائب الآثار . وجدير بالذكر أن الجبرتى قد حرص على أن يكون عجائب الآثار كتاباً خالصاً له فحذف معظم كتاب العطار ولم يبق منها إلا النذر اليسير

بعده خلف ، فقلت متذكراً أولئك الأيام ، التى مرت كأضغاث أحلام :-

علّلا نى بذكر خشف رخيم ... واسقيانى فى الروض بنت الكروم

وصفا لى زمان أنس صفا لى ... بحبيب غض ، وراح قديم

حيثما الدهر طوعنا والأمانى ... فى تدان والوهم فى تهويم

والربا فى نضارة وزهو ... حل فيه من الغمام السجيم

خافضات به الغصون رؤساً ... مثقلات من در نظيم

ولصفو الغدير فيها ولوع ... يرقب الوصل من مرور النسيم

وترى الورد كالمليك لديه ... كل غصن يهوى بقدٍ قويم

بسط الروض نحوه وشى بسط ... حاكها الطل فى ابتداع وسيم

للجين النهور فيها طراز ... ولدر الزهور رقش الرسوم

ويكا الحمام هيج عندى ... فرط شوق إلى الزمان القديم

زمن بالسرور لم يكن إلا ... حلماً مر أو تراضى حليم

فيه كانت تجلى بدور جمال ... أشرقت عن نجوم ليلٍ بهيم

من بنى الترك ذى الجمال المندى ... أيضا هى فى الحسن ريم الروم (١)

كل ظبى تراه يرنو ويلهو (٢) ... بقوام القنا نار الجحيم

يا زمناناً ببركة الفيل ولى ... فيه قد كنت ثاوياً فى نعيم

لاعد مناك من زمان تقضى ... بين شادٍ وشادن ونديم

---

١ - فى النسخة (ب) " روم الروم " والمقصود هنا بالريم الغزالى التركى ، وإن كان المعنى النساء القوقازيات .

٢ - فى النسخة (ب) " يكهو ويرنو " ولكن الصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

ثم قال : " وهكذا الدنيا طبعت على الشان ، من سره زمن ساعته أزان ، وللعاقل فى تقلبات الأيام عبر ، ما شوهد منها وماغبر " .وأخربوا أيضا جامع أزبك العظيم، وجعلوه سوقاً لبيع أقلام المكوس . وأخربوا أيضا جامع [ص ٣٠٢] الرويعى (١) ، وجعلوه خمارة ، وجامع عثمان كتخدا القزدغلى ، الذى بالقرب من رصيف الخشاب ، وجامع خير بك حديد ، الذى بضرب الحمام ، بقرب من بركة الفيل ، وجامع الفيل وجامع البنهاوى والطرطوشى والعدوى ، وجامع عبد الرحمن كتخدا ، المقابل لباب الفتوح ، هدموه حتى لم يبق له أثر البته .

ومنها ، أنهم غيروا معالم المقياس ، وبدلوا أوضاعه وهدموا قبته العالية ، والقصر البديع الشاهق ، وهدموا القاعة التى بها عمود المقياس ، وبنوها على شكل آخر ، ورفعوا قاعدة العمود العليا ذراعاً ، من قطعة رخام مربعة ، رسموا عليها من جهاتها الأربع قراريط الذراع .

ومنها ، أنهم هدموا مصاطب الحوانيت التى بالشوارع ، ورفعوا أحجارها مظهرين أن القصد من ذلك توسع الأزقة ، لمرور العربات الكبيرة ، التى ينقلون عليها المتاع والجبس والجير وغيره ، والمعنى الخفى الثانى ، خوفاً من إقامة المتاريس بها عند حدوث الحروب كما تقدم . وكانوا وصلوا فى الهدم إلى باب زويلة ، ومن الجهة الأخرى إلى سوق مرجوش ، فهدموا مصاطب خط قناطر السباع والصليبة ودرب الجماميز وباب سعادة ، وباق الخرق ، إلى آخر باب الشعرية ، ولو طال الحال لهدموا مصاطب خط العقادين والغورية والصاغة والنحاسين ، إلى آخر باب النصر وباب الفتوح . فحصل لأرباب الحوانيت غاية الضيق لذلك ، وصاروا فى

١- جامع الرويعى : بشارع الأزبكية بالقرب من شارع الشرايبى المعروف بجامع البكرى أنشأه السيد أحمد الرويعى رئيس التجار بمصر فى القرن الثامن عشر وشعائره مقامة . راجع على مبارك مصدر سابق جـ ٤ ص ٢٤٨ .

داخل فجوات الحوانيت مثل الفيران فى الشقوق ، وبعض الزوايا والجوامع والرباع التى درجها خارج عن سمت حائط البنا [ص ٣٠٤] لما هدموا درجه وبسطه ، بقى باب مدخله معلقاً ، فكانوا يتوصلون إليه بدرج من الخشب مصنوع، يضعونه وقت الحاجة ، ويرفعونه بعدها ، فكانوا إليه بدرج من الخشب مصنوع ، يضعونه وقت الحاجة ، ويرفعونه بعدها ، وذلك عمل كثير .

ومنها ، تبرج النساء ، وخروج غالبهن عن الحشمة والحياء ، وهو أنه لما حضر الفرنسيس إلى مصر ، ومع البعض منهم نساؤهم ، كانوا فى الشوارع مع نسائهم ، وهن حاسرات الوجوه ، لابسات الفستانات ، ويركبن الخيول والحمير ، ويسوقونها سوقاً عنيفاً ، مع الضحك والقهقهة ، ومداعبة المكارية معهم وحرافيش العامة ، فمالت إليهم نفوس أهل الأهواء، من النساء الأسافل والفواحش ، فتداخلن مع الفرنسيس ؛ لخضوعهم للنسا ، وبذل الأموال لهن . وكان ذلك التداخل أولاً مع بعض احتشام وخشية العار ، ومبالغة فى أخفائه ، فلما وقعت الفتنة الأخيرة بمصر ، وحاربت الفرنسيس بولاق ، وفتكوا فى أهلها ، وغنموا أموالها ، وأخذوا ما استحسنوه من النسا والبنات ، صرن مأسورات عندهم فزيوهن بزى نسائهم ، وأجروهن على طريقتهن فى كامل الأحوال ، فخلع أكثرهن نقاب الحيا بالكلية ، وتداخل مع أولئك المأسورات غيرهن من النساء الفواجر ، حتى كثرت الفواحش من النسا ، لما حل بالمسلمين من الذل والهوان ، وسلب الأموال ، واجتماع خيرات الدنيا فى حوز الفرنسيس ، وشدة رغبتهم فى النساء [ص ٣٠٥] ، وخضوعهم لهن ، وموافقة مرادهن ، وعدم مخالفة هواهن ، ولو شتمته أو ضربته بتاموسها على قفاه ، ولو كانت هى فى غاية القبح ، فطرحن الحشمة والوقار ، والمبالات والاعتبار ، واستملن نظرائهن و اختلسن عقولهن ، لميل النفوس إلى الشهوات ، وخصوصاً عقول القاصرات . وخطب منهم بنات الأعيان ،

وتزوجـوهـم رغـبـة فى سلطانهم ونوالهم ، فـيظهـر حـالة العـقـد الإسـلام ، وينطق بالشـهادتين ، لأنه ليس له عقيدة يخشى فسادها ، وصارمع حكام الأخطاط منهم النسـاء المسلمـات ، مـتـزيـيات بزيهم ، ومـشـوا مـعـهم فى الأخطاط للنظر فى أمـور الرعية ، والأحكام العـادية ، والأمر والنهى والمناداة ، وتمشـى المراة بنفسـهـا ، أو معها بعض أترابها وأضيافها ، على شكلها ، وأمامها القواسة والخدم وبأيديهم العصى ، يفرجون لهن الناس ، ويوسعون من أجل مرورهن الطرقات ، مثل ما يمر الحـاكم ، ويأمـرن وينهين فى الأحكام . ولما وفى النيل ودخل الخليج ، وجـرت فـيـه السفن، وقع عند ذلك تبرج النسـاء واختلاطهم بالفرنسيس ، ومصـاحبتـهم لهن فى المراكب ، والرقص والـغنا والشـراب ، فى النهار والليل والشـمـوع الموقدة ، وعليـهن الملابس الفـاخـرة ، والحلى والجـواهر المرصـعـة ، وصـحـبتـهم آلات الطـرب وخـدمـة السـفن ، يكثـرون من الهـزل والمجـون ، ويتـجـاوبون الصـوت فى تحـريك المقـاذيف بسـخـايف مـوضـوعـاتـهم ، كـثـايف [ص ٣٠٦] مطبوعـاتهم، وخـصـوصـاً إذا دبت الحـشيـشـة فى رؤسـهم ، وتحكمت فى عقـولـهم ، فـيصـرخـون ويطبلون ويرقـصـون ويزمـرون ، ويتجاوبون بمحاكاة ألفاظ الفرنساوية فى غنائهم ، وتقليد كلامـهم شئ كثـير . وأما الجـوار السـود فـإنهم لما علمـوا رغبة القـوم فى مطلق الأنثى ، ذهبـوا إليـهم أفـواجـاً ، فـرادى وأزواجـاً ، فنطوا الحـيطـان ، وتسلقـوا [1] من الطـيقـان ، ودلوهـم على مخبآت أسيادهـم ، وخبايا أموالهم ومتاعهم ، وغير ذلك .

ومنها ، أن يعقوب القبطى اللعين [2] ، لما تظاهر مع الفـرنسـاوية ، وقلدوه

---

١ – هكذا فى الأصل والصواب : فإنهن ... ذهبن ... فنططن ... وتسلقن .

٢ – كلمة " اللعين " محذوفة من عجائب الآثار ، وهذا لا يعنى أن الجبرتى غير موقفه من يعقوب ، ولكنه فقط توقف عن استخدام اسلوب مبتذل .

صارى عسكر القبطة ؛ جمع شبان القبط ، وحلق لهم لحاهم ، وزياهم بزى مشابه لعسكر الفرنساوية ، مميز عنهم بقبع يلبسونه على رؤوسهم ، مشابه لشكل البرنيطة ، وعليها قطعة فروة سودا من جلد الغنم فى غاية البشاعة ، مع ما يضاف إليها من قبح صورهم ، وسواد أجسامهم ، وزفارة أبدانهم ، وجعلهم عسكره وعزوته ، وجمعهم من أقصى الصعيد ، وهدم الأماكن المجاورة لحارة النصارى ، التى هو ساكن بها ، خلف الجامع الأحمر ، وبنى له قلعة ، وسورها بسور عظيم ، وأبراج باب كبير ، ويحيط به بدنات عظام ، وكذلك بنى أبراجاً فى ظاهر الحارة ، جهة بركة الأزبكية ، وفى جميع السور المحيط ، وفى الأبراج طيقان للمدافع ، وبنادق الرصاص ، على هيئة سور مصر الذى رمه الفرنساو ، ورتب على باب القلعة الخارج والداخل [ص ٣٠٧] عدة من العسكر الملازمين ، للوقوف ليلاً ونهاراً ، وبأيديهم البنادق على طريقة الفرنساوية .

ومنها ، قطعهم الأشجار والنخيل من جميع البساتين والجناين الكاينة بمصر وبولاق ، ومصر القديمة والروضة ، وجهة قصر العينى ، وخارج الحسينية ، مثل غيط فزخزان ، وغيط الملة ، وغيط أبو خودة ، وبساتين بركة الرطلى وأرض الطبالة ، وبساتين الخليج ، بل وجميع القطر المصرى ، كالشرقية والغربية والمنوفية ، وبساتين رشيد ودمياط ، كل ذلك لعمل القلاع ، وتحصين الاسوار فى جميع الجهات ، وعمل العجل والعربات والمتاريس ، ووقود النار .

ومنها ، تكسير المراكب والسفن ، وأخذ أخشابها أيضاً مع شدة الاحتياج إليها ، وعدم إنشاء سفن جديدة ، لافتقار الناس ورؤسا المراكب ، وعدم الخشب والقار والحديد ، وبقية الآلات ، وعدم الأمن عليها لو فرض إنشاؤها [1] ، حتى

١ - كلمة " إنشاؤها " غير موجودة فى النسخة (ب) فأثبتناها من بقية النسخ .

أنهم حال حلولهم الديار المصرية ، وسكنهم بالأزبكية ، كسروا جميع القنج والأغربة التى كانت مركوزة تحت بيوت الأعيان بقصد التنزهة ، وكذلك ما كان ببركة الفيل ، وقس على ذلك ، حتى أن القطر المصرى الآن فى شدة الاحتياج لذلك ، وشحت البضايع ، وغلت الأسعار ، وتعطلت الأسباب وضاقت المعايش ،وتضاعفت أجَر التجارات فى السفن لقلتها ، وبطلت المتاجر .

ومنها هدم القباب والمدافن الكاينة بالقرافة تحت القلعة [ص ٣٠٨]خوفاً من تترس المحاربين بها ، فكانوا يهدمون ذلك بالبارود ، على طريقة اللغم ، فيسقط المكان بجميع أجزائه، من شدة البارود وانحباسه فى الأرض ، فيسمع له صوت عظيم فهدموا شيئاً كثيراً على هذه الصورة ، وكذلك أزالوا جانباً كبيراً من الجبل المقطم بالبارود ، من الجهة المحاذية للقلعة .

ومنها ، زيادة النيل الزيادة المفرضة ، التى لم يعهد مثلها فى هذه السنين ، حتى غرقت الأراضى [وحوصرت البلاد ، وتعطلت الطرق فصارت الأرض] (١) ، كلها لجة ماء ، وغرقت غالب القرى التى السواحل ، فتهدموا من دورها شئ كثير ، وأما المدينة ، فإن الماء جرى جهة الناصرية إلى المسلوكة ، وطفح من بركة الفيل إلى الشمسى ، وطريق قنطرة عمر شاه (٢) .

ومنها ، استمرار انقطاع الطرق وأسباب المتاجر ، وغلو البضايع المجلوبة من البلاد الرومية والشامية والهندية والحجازية والمغرب ، حتى غلت أسعار جميع الأصناف (٣) ، وانتهى سعر كل شئ إلى عشرة أمثاله ، وزيادة على ذلك ، فبلغ

---

١ – مابين القوسين غير موجود فى النسخة (ب) فأثبتناه من بقية النسخ .

٢ – قنطرة عمر شاه : كانت على الخليج الكبير يتوصل منها إلى برج الخليج الغربى ، أنشأها الأمير ركن الدين عمر شاه حوال عام ٧٤٥هـ الموافق ١٣٤٤م ، وموضعها عمر شاه بحى السيدة زينب .راجع د / عبدالرحمن زكى ، مرجع سابق ، ص ٢٢٠ .

٣ – فى النسخة (ب) " جميع البضايع " .

الرطل الصابون [1] إلى ثمانين نصفاً ، واللوزة الواحدة بنصفين ، وقس على ذلك .

ومنها ، وقوع الطاعون بمصر والشام ، وكان معظم ببلاد الصعيد ، أخبرني صاحبنا المشار إليه ، العمدة الفاضل الشيخ حسن العطار المصري ، نزيل أسيوط ، مكاتبه ونصه :-

" ونعرفكم أنه [ص ٣٠٩] قد وقع في قطر الصعيد طاعون لم يعهد ، ولم نسمع بمثله ، وخصوصاً ما منه بأسيوط [2] ، وقد انتشرت هذا البلاء في جميع البلاد ، وشاهدنا منه العجايب ، وذلك أنه أباد معظم أهل البلاد ، وكان الكثوجة في الرجال ، سيما الشبان والعظما ، وكل ذي وفضيلة ، وأغلقت الأسواق ، وعزت الأكفان ، وصار المعظم من الناس بين ميت ومشيع ومريض وعائد ، حتى أن الانسان لا يدري بموت صاحبه أو قريبه إلا بعد أيام ، ويتعطل الميت في بيته ، من أجل تجهيزه ، فلا يوجد النعش والمغسل ، ولا من يحمل الميت إلا بعد المشقة الشديدة وإن أكبر كبير إذا مات لا يكاد يمشي معه ما زاد على عشرة أنفار وماتت العلما والقراء والملتزمون والرؤسا ، وأرباب الحرف ، ولقد مكثت شهراً بدون حلق رأسي لعدم الحلاق ، وكان هذا الأمر من شعبان ، وأخذ في الزيادة في شهر ذي القعدة والحجة ، حتى بلغ النهاية ، فكان كل يوم من أسيوط خاصة ، زيادة على الستماية ، وصار الإنسان إذا خرج من بيته ، لا يرى إلا جنازة مريضاً و أو

---

١ - كلمة " الصابون " غير موجودة في النسخة (ب) .

٢ - أسيوط : من الأقسام الإدراية القديمة العهد وكانت موجودة في زمن الفراعنة باسم " بوتف خنت " وقاعدته مدينة " سباودت " أسيوط ، وفي عهد البطالسه والرومان كانت باسم " ليكوبوليس " وعاصمته " ليكوبوليس" أي مدينة الذئب وفي عهد العرب عرفت باسم " الأسيوطية " ، ولم تكن ضمن الولايات التي كانت يتكون منها القطر المصري في العهد العثماني . ، منذ ١٢٤١هـ ، جعلت أسيوط مأمورية قائمة بذاتها ، ثم قسمت لثلاثة أقسام ، محمد رمزي ، القسم الثاني جـ٤ ، ص ٧ .

مشتغلاً بتجهيز ميت ، ولا يسمع إلا نايحة أو باكية [1] وتعطلت المساجد من الأذان والامامة ، لموت أرباب الوظايف ، واشتغال من بقى منهم بالمشى أمام الجنايز والسبح والسهر ، وتعطل الزرع من الحصاد ، ونشف على وجه الأرض ، أبادته الرياح ، لعدم وجدان من يحصده ، وعلى التخمين أنه مات الثلثان من الناس [ص ٣١٠] هذا مع سعى العرب فى البلاد بالفساد والتخويف ، بسبب خلو البلاد من الناس والحكام ، وإلى أن قال " ولو شئت أن أشرح لك يا سيدى ما حصل من أمر الطاعون ، لملأت الصحف مع عدم الايفاء "، وتاريخه ثامن عشرين الحجة سنة ١٢١٥ [2]

تراجم لوفيات سنة ١٢١٥هـ [3]

وأما من مات [4] فى السنة من الأعيان ، فالأمير مراد بيك محمد مات بسهاج [5] ، قادماً إلى مصر باستدعا الفرنسيس ، ودفن بها ، وكان موته رابع شهر الحجة كما تقدم ، وهو من مماليك محمد بيك أبو الذهب ، ومحمد بيك مملوك

١- هكذا فى النسخة (أ) وفى عجائب الآثار ، أما فى النسخة (ب) " ولا تسمع إلا النواح والبكا " .

٢- يوم الثلاثاء ٢٨ من ذى الحجة ١٢١٥هـ الموافق ١٢ مايو ١٨٠١م .

٣ - العنوان من وضع المحققين .

٤ - فى النسخة (ب) " وأما الذين ماتوا " .

٥ - سوهاج : وردت فى معجم البلدان سوهاى قرية بمصر من قرى أخميم ، وكذلك وردت باسم سوهاج فى قوانين ابن مماتى ، وفى تحفة الإرشاد وردت محرفة باسم سوماى ، وقد استمرت باسم سوهاى ، فى الروزنامة القديمة ، وتاريخ سنة ١٢١٣هـ ، ثم حرف إلى سوهاج فوردت به لأول مرة فى قائمة مساحة سنة ١٢٧٢هـ ، ولا يزال هذا اسمها للآن ، وهى الآن مقر محافظة سوهاج .

محمد رمزى : مرجع سابق ، القسم الثانى ، الجزء الرابع ، ص ١٢٨ .

على بيك وعلى بيك مملوك إبراهيم بيك كتخدا القازدغلى اشـترى محمـد بيك مراد بيك المذكور في سنة اثنين وثمانين وماية وألف [1] وذلك اليوم الذى قتل فيه صالح بيك الكبير ، فأقام في الرق أياما قليلة ، ثم أعتقه وأمّره وأنعم عليه بالإقطاعات الجليلة ، وقدمه على أقرانه ، وتزوج بالست فاطمة زوجة الأمير صالح بيك ، وسكن داره العظيمة بخطة قلعة الكبش ، ولما مات على بيك ، تزوج بسريته أيضاً ، وهى الست نفيسة ، الشهيرة الذكر بالخير ، ولما انفراد محمد بيك بإمارة مصر ، كان هو وإبراهيم بيك أكبر أمرايه، و المشار إليهما دون غيرهما ، فلما سافر محمد بيك إلى الديار الشامية ، ومحارباً للظاهر عمر ، أقام ضه فى إمارة مصر إبراهيم بيك وأخذ صحبته مراد بيك وباقى أمرايه ، فلما مات محد بيك بعكا ، اجتمع رأى مماليكه [ص ٣١١] وأمرايه على رآسه مراد بيك ، وتقدمه عليهم ، وحملوا جثة سيدهم وحضروا بأجمعهم إلى مصر ، فاتفق رأى الجميع على إمارة من استخلفه سيدهم، وقدمه دون غيره و وهو إبراهيم بيك ، ورضى الجميع بتقدمه ورياسته ، لوفور عقله وسكون جاشه ، فاستقر بمشيخة مصر ورياستها ، ونايب نوابها ووزرايها و وعكف مراد بيك على لذاته وشهواته ، وقضى أكثر زمانه خارج المدينة ، مرة بقصره الذى أنشأه بالروضة ، وأخرى بجزيرة الذهب ، وأخرى بقصر قايمان [2] جهة العادلية ، كل ذلك مع مشاركته لإبراهيم بيك فى الأحكام ، والنقض والإبرام ، والإيراد والإصدار ، ومقاسمة الأموال والدواوين ، وتقليد مماليكه وأتباعه الولايات والمناصب ، وأخذ فى بذل الأموال وإنفاقها على أمرايه وأتباعه ، فانضم إليه بعض أمرا على بيك ، وغيرهم ممن مات أسيادهم ، كعلى

١-١١٨٢هـ توافق ١٧٦٨ م .

٢- فى النسخة (ب)"قصر قيماز".

بيك المعروف بالملط ، وسليمان بيك الشابورى ، وعبد الرحمن بيك عثمان ، فأكرمهم وواساهم ، ورخص لمالكيه فى هفواتهم ، وسامحهم فى زلاتهم ، وحظى عنده كل جرئ غشوم ، وعسوف دميم ظلوم ، فانقلبت أوضاعهم ، وتبدلت طباعهم وشرهت نفوسهم ، وعلت رؤوسهم، فتناظروا وتفاخروا ، وطمعوا فى أستاذهم ، وشمخت آنافهم عليه ، وأغاروا حتى على ما فى يديه ، واشتهر بالكرم والعطا ، فقصده الراغبون ، وامتدحه الشعرا والغاوون ، وأخذ الشئ من غير حقه [ص ٣١٢] وأعطاه لغير مستحقه كما قال القائل :

" شعر "

وإنها خطرات من وساوسه　　　يعطى ويمنع لا بخلاً ولا كرماً

ثم ضاق عليه المسلك ، ورأى أن رضى العالم غاية لا تدرك ، أخذ يتحجب عن الناس ، فعظم فيه الهاجس والوسواس ، وكان يغلب على طبعه الخوف والجبن ، والتهور والطيش ، والتورط فى الإقدام مع عدم الشجاعة ، ولم يعهد عليه أنه انتصر فى حرب باشره أبداً ، على ما فيه من الادعا والغرور والكبر والخيلاء والصلف والظلم والجور ، كما قال القائل

" شعر "

أسد علىَّ وفى الحروب نعامة　　　فتخاء تنفر من صفير الصافر

ولما قدم حسن باشا إلى مصر ، وخرج المترجم مع خشدا شينه وعشيرته ، هاربين إلى الصعيد ، حتى انقضت أيام حسن باشا و إسماعيل بيك ، ومن كان معه ، ورجعوا ثانياً بعد أربع سنين وشئ من الشهور ، من غير عقد ولا عهد ولا حرب ، تعاظم فى نفسه جداً ، واختص بمساكن إسماعيل بيك ، وجعل إقامته بقصر الجيزه ، وزاد فى بنايه وتنميقه ، وبنى تحته رصيفاً محكماً ، وأنشا بداخله

بستاناً عظيماً ، ونقل إليه أصناف النخل والأشجار والكروم ، واستخلص إقليم الجيزة لنفسه ، شراءً ومعارضةً وغصباً ، وكذلك قصر جزيرة الذهب ، وجعل بها بستاناً عظيماً ، وكذلك قصر ترسا وبستان المجنون ، وصار يتنقل فى تلك القصور والبساتين ، ويركب للصيد فى غالب أوقاته ، واقتنى الماشية من الأبقار والجواميس الحلابة والأغنام [ص ٣١٣] المختلفة الأجناس ، فكان عنده بالجيزة من ذلك شئ كثير جداً وعمل له ترسخانة [1] عظيمة ، وطلب صناع آلات الحرب من المدافع والمهاريز والبنب والجلل والمكاحل ، اتخذ بها أيضاً معامل البارود ، وأخذ جميع الحدادين والسباكين والنجارين ، فجمع الحديد المجلوب والرصاص والفحم والحطب ، حتى شحت جميع هذه الأدوات ، لكونه كان يأخذ كل ما وجده منها ، وكذلك حطب القرطم والترمس والذره ، لحرق قمن الجير والجبس للعماره ، وأوقف الأعوان فى كل جهة ، يحجزون المراكب التى تأتى من البلاد بالأحطاب ، ويأخذونها ويجمعونها للطلب ، ويبيعون لأنفسهم ما أحبوا ويأخذون الجعالات على ما يسمحون به ، أو يطلقونه لأربابه بالوسايط والشفاعات ، وأحضر أناساً من الغليونجية ونصارى الأروام وصناع المراكب ، فأنشأوا له عدة مراكب حربية وغلايين ، وجعلوا بها مدافع وآلات حرب على هيئة مراكب الروم ، أصرف عليها أموالاً عظيمة ، ورتب بها عساكر وبحرية ، وأدار عليهم [2] الجماكى والأرزاق الكثيرة ،

---

١ - ترسخانة : ذات أصول عربية بمعنى دار الصناعة ثم دخلت هذه الكلمة اللغات الأوربية ، وكانت فى اللغة السلطانية " Daysena" ثم دخلت من الإيطالية إلى اللغة التركية فى صيغة " ترسانة " وحرفت على لسان العامة فى تركيا صارت " ترسخانة "
راجع د / حسين جيب المصرى ، ص ٥٤ .

٢ - فى النسخة (ب) " وادر عليهم " .

وجعل عليهم رئيساً كبيراً رجلاً نصرانياً ، وهو الذى يقال له " نقولا ". بنى له داراً عظيمة بالجيزة ومصر ، وله عزوة من نصارى الأروام المرتبين عسكراً ، وكان نقولا المذكور يركب الخيل ، ويلبس الملابس الفاخرة ، ويمشى فى شوارع مصر راكباً ، وأمامه وخلفه قواسة ، يوسعون له الطريق ، على هيئة ركوب الأمرا ، كل ذلك خطرات من وساوسه [ص٣١٤] لا يدرى لأى شئ هذا الاهتمام ، ولأى حاجة إنفاق هذا المال فى الخشب والحديد ، وإعطائه لنصارى الأروام ، وترددت الناس ، فقائل يقول : إن ذلك خوف من خشداشينه ، وقائل يقول : مخافة من السلطنة ، كما تقدم فى قضية حسن باشا (١) ، والبعض يظن خلاف ذلك ، وليس غير الوهم والتخيل الفاسد ، والخوف من كل شئ (٢) . وبقيت آلات الحرب جميعها والبارود بحواصله ، والجلل والبنبات حتى أخذ جميعه الفرنسيس ، فيقال أنه كان بحواصل الترسخانة من جنس الجلل إحدى عشر ألف جلة ، كذا نقل عن معلم الترسخانة ، أخذ جميع ذلك الفرنسيس يوم استيلائهم على الجيزة ، ومما اتفق أنه وقعت مشاجرة فى بعض الأيام ، بين بعض نصارى الأروام والغليونجية ، وبعض السوقة بمصر القديمة ، فتعصب النصارى على أهل البلد وحاربوهم ، وقتلوا منهم نيفاً وعشرين رجلاً ، وانتهت الشكوى إلى الأمير ، فطلب كبيرهم فعصى عليه ، وامتنع من مقابلته ، وعمر مدافع المراكب ووجهها جهة قصره ، فلم يسعه إلا التغافل ،

١- لمزيد من المعلومات عن هذه الفترة راجع

- دانيال كريسيلوس : جذور مصر الحديثة ، ترجمة د: عبد الوهاب بكر ، القاهرة .
- د: عبد الوهاب بكر : الدولة العثمانية ومصر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر دار المعارف القاهرة ١٩٨٢ .

٢ - فى جميع النسخ وفى عجائب الآثار وردت " الخوف شئ " ولكننا أضفنا " من كل شئ " حتى يستقيم المعنى .

وراحت على من راح ، واستوزر له رجلاً بربرياً ، وهو المسمى بإبراهيم كتخدا السنارى ، وجعله كتخداه [1] ومشيره ، وبلغ من العظمة ونفوذ الكلمة ، بإقليم مصر ، مالم يبلغه أعظم أمير بها ، وبنى له داراً عظيماً بالناصرية ، واقتنى المماليك الحسان ، والسرارى البيض والحبوش والخدم ، وتعلم اللغة التركية ، والأوضاع الشيطانية ، واختص [ص ٣١٥] ذلك البربرى برجل فراش من رعاع الناس ، وجعله كتخداه ، يأتمره بأمره ، ويتوسلون به أعاظم الناس ، فى قضا أشغالهم، ولما حسن لمراد بيك الإقامة بالجيزة ، واختار السكن بها ، وزين له شيطانه العزله عن خشداينه وأقرانه ، ترك لإبراهيم بيك أمر الأحكام والدواوين ومقتضيات نواب السلطنه ، مع كونه لا ينفذ أمراً دون رأيه ومشورته ، واحتجب هو عن الاجتماع بالناس بالكلية ، حتى عن الأمرا الكبار من أقرانه وكان السفير [2] بينه وبينهم إبراهيم كتخدا المذكور ، فكان هو عبارة عنه وربما نقض القضايا التى انبرم أمرها عند إبراهيم بيك أو غيره بنفسه ، أو عن لسان مخدومه ، وأقام المترجم على عزلته بالبر الغربى ، نحو ست سنوات متوالية ، لا يعدى إلى البر الشرقى أبداً ، فلا يحضر الديوان ، ولا يتردد إلى الأقران ، واذا حضر الباشا المولى على مصر ، ووصل إلى بر انبابة، ركب وسلم عليه مع الأمرا ، ورجع إلى قصره ، فلا يراه بعد ذلك أبداً ، وتعاظم فى نفسه ، وتكبر على أقرانه وأبناء جنسه ، فتزاحمت على سدته الطلاب ، وتكالبت على جيفته الكلاب ، [فانزوى من

١ - كتخدا : مستمدة من (كدخدا) فى الفارسية وتطلق فى التركية على الوكيل والنائب ، وهى تطورت التركية إلى كلمة " كخية " وهذا الاسم عند العثمانين يطلق على عدة مهام ووظائف ، فكان كبار الدولة العثمانية ممن لهم المناصب العالية فى القصر والجيش لهم من ينوب عنهم فى أعمالهم ويعاونهم ويطلق عليهم "كتخدا" .
د/ حسين مجيب المصرى - مرجع سابق ص١٦٤ .

٢ - كلمة " السفير " غير موجودة فى النسخة (ب) فاثبتناها من بقية النسخ .

نبشهم ، وتوارى من نهشهم] [1] ، فإذا بلغه قدوم من يختشيه ، أو وصول من يرتجيه ، وكان يستحى من رده ، أو يخشى عاقبه صده ؛ ركب فى الحال ، وصعد إلى الجبال وربما وصله الغريم على غفلة ، فيجده قد شمع الفتلة ، فإن صادفه واجتمع عليه ؛ أعطاه ما فى يديه، وأوعده بالخير ، أو وهبه ملك [ص ٣١٦] الغير ، فما يشعر الميسور ، إلا ولقمته اختطفها النسور . ثم أخذ يعبث بدواوين الأعشار ، والمكوسات والبهار ، فيحول عليهم الحوالات ، ويتابع لماليكه ختم الوصولات ، فتجاذب هو وإبراهيم بيك ذلك الايراد ، وتعارضت أوراقهما ، وضافا فى المعتاد . ثم اصطلحا على أن تكون له الدواوين ، وما انضاف إلى قلم البهار ، وحسب فى دفاتر التجار ، فانفرد كل منهما بوظيفته ، وفعل بها من الإجحاف ما سطر فى صحيفته ، فأحدث المترجم ديواناً خاصاً بثغر رشيد ، على الغلال التى تحمل إلى بلاد الإفرنج ، وسموه "ديوان البدعة " ، وأذن ببيع الغلال لمن يحملها إلى بلاد [2] الإفرنج وغيرها ، وجعل على كل أردب دينار ، خلاف البرانى ، والتزم بذلك رجل سراج [3] من أعوانه الموصوفين بالجور ، وسكن برشيد ، وبقيت له بها وجاهة

---

١ - العبارة التى بين القوسين غير موجودة فى النسخة (أ) ، فأثبتناها من النسخ الأخرى

٢ - النسخة (ب) " ممن يبيعها إلى بلاد

٣ - السراجين : من كلمة" جراغ " الفارسية التى دخلت التركية بلفظها الفارسى ومعناها ، فهى فى اللغتين بمعنى المصباح وقد عرب قديما أصل هذه الكلمة الفهلوى وهو سراغ Ciragh بالسين المهملة فصارت فى العربية " سراج " ووردت فى القرآن الكريم " وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا " الاحزاب ٤٦ ، تصرف الترك فى الكلمة ، فاستعملوها بالإضافة إلى معانيها الفارسية اسماً للشخص يتفضل عليه بوظيفة أو راتب، وأطلقوها على الصبى يسلم لصانع ، ليأخذ عنه الصنعة ، ونطقوها نطقين "أجراغ" بالغين على الاصل الفارسى ، " وجراق " بالقاف ، وقد عرب هذان اللفظان حديثا : فأما جراق بالقاف وبالجيم المشربة فتحول إلى إشراق وأما جراغ فتحول إلى سراج ، والسراج خادم ولد حرا غير مملوك يحرس بدن سيده .

راجع د/ أحمد السعيد سليمان : مراجع سابق ، ص ١٢٥ .

وكلمة نافذة ، فجمع من ذلك أموالاً وإيراداً عظيماً ، وكانت هذه البدعة السيئة من أعظم أسباب قوة الفرنسيس ، وطمعهم فى الإقليم المصرى ، مع ما أضيف لذلك من أخذ أموالهم ، ونهب تجاراتهم وبضاعاتهم من غير ثمن ، واقتدى به أمراؤه ، وتناظروا فى ذلك وفعل كل ما وصلت إليه همته ، واستخرجته فطنته ، واختص بالسيد محمد كريم السكندرى ، ورفع شأنه بين أقرانه ، فمهد له الأمور بالثغر ، وأجرى أحكامه به وفتح له باب المصادرات والغرامات ، ودله على مجبآت الأمور ، وأخذ أموال التجار [ص ٣١٧] من المسلمين وأجناس الافرنج ، حتى تجسمت العداوة بين المصريين والفرنسيس، وكان هو من أعظم الأسباب فى تملك الفرنسيس للثغر ، كما ذكر ذلك فى قتلته ، ومما سولت له به نفس المترجم ، بإرشاد بعض الفقها ، عمارة جامع عمرو بن العاص (١) ، وهو الجامع العتيق ، وذلك أن هذا الجامع لما خرب بخراب مدينة الفسطاط ، وبقيت البلد تلالاً وكيماناً وخصوصاً ما قرب من ذلك الجامع ، لم يزل فى اضمحلال حتى مال شقة وسقفه وأعمدته فعزم على تجديده وعمارته ، ليرفع به دينه الخلق ، كما قال شاعرهم من قصيدته :

ومسجد فى فضا ما عمارته	فوق الصيانة إلا لَهْوٌ مختلق
كأن عمراً دعا يا عاص هم به	ورُمَّه رقعة فى دينك الخلق

١ - جامع عمرو بن العاص : هو أول جامع أنشئ بديار مصر ، أنشأه عمرو بن العاص سنة ٢١هـ ٦٤٢م بعد فراغه من فتح الأسكندرية وعودته منه ، ويعرف بتاج الجوامع والجامع العتيق ، وكان وقتئذ مشرفاً على النيل ، وقد وقف على تحرير قبلته جمع من الصحابة رضى الله عنهم ، ومساحته وقت إنشائه ٥٠ ذراعاً فى ٣٠ ذراعا يحيط به الطريق من كل جهة ولا صحن له ، تسوده البساطة ، فليس له محراب مجوف ولا منارة ولا فرش ، وجدرانه عارية من البياض والزخرف ، لكن بعد ذلك زيد فى مساحته وعمارته ، حتى لم يعد هناك شئ من عمارته القديمة ، وعمارة مراد بك هذه هى آخر عمارة له فى العصر العثمانى . راجع حسن عبد الوهاب : مرجع سابق ، ص٢٤ وما بعدها

فاهتم لذلك ، وقيد به نديمه قاسم المعروف بالمصلى ، وأصرف عليه أموالاً عظيمة ، أخذها من غير حلها ، ووضعها فى غير محلها ، فأقام أركانه وشيد بنيانه ، ونصب أعمدته ، وكمل زخرفته ، وبنى به منارتين وجدد جميع سقفه بالخشب النقى ، وبيضه جميعه ، فتم على أحسن ما يكون ، وفرشه بالحصر الفيومى ، وعلق به القناديل . وحصلت به الجمعية آخر جمعه برمضان سنة اثنى عشر (١) ، فحضر الأمرا والأعيان ، وكان يوماً مشهوداً ، فلما حضرت الفرنسيس فى العام القابل بعد تاريخه ، جرى عليه ما جرى على غيره ، من الهدم والتخريب ، حتى أصبح بلقعاً أشوه مما كان

يبنى جامعاً لله من غير حِلِّه	فجاء بحمد الله غير موفق
[ص٣١٨] كمطعمة الأيتام من كد فَرْجها	فياليت لاتزنى ولا تتصدق

وبالجملة فمناقب المترجم لا تحصى ، وأوصافه لا تستقصى ، وهو كان من أعظم أسباب(٢) خراب الإقليم المصرى ، فلعل الهم يزول بزواله . وكان صفته أشقر كث اللحية ، قصير القامة ، غليظ الجسم والصوت ، بوجهه أثر ضربة سيف، ظالماً غشوماً متهوراً ، مختالاً معجباً متكبراً ، ولم يخلف ولداً ولا بنتاً (٣) ، وصناجقه الذين هلك عنهم ، محمد بيك المعروف بالألفى ، وعثمان بيك المعروف بالبرديسى ، ومحمد بيك المنفوخ ، وسليم بيك أبو دياب مملوك مصطفى بيك الاسكندرانى (٤)

---

١ – يوم الجمعة ٢٧ رمضان ١٢١٢هـ الموافق ١٦ فبراير ١٧٩٨ م .

٢ – كلمة "أسباب" غير موجودة فى النسخة (أ) فاثبتناها من بقية النسخ .

٣ – فى النسخة (ب) " ولم يخلف ولا بنتا "

٤ – لمزيد من المعلومات عن سيرة مراد بك .

راجع إسماعيل الخشاب : غاية ما يراد من سيرة الأمير مراد ، تحقيق د: دانيال كريسيلوس : د : حمزة بدر ، العربى للنشر والتوزيع ، القاهرة ١٩٩٥ م .

ومـات الأمـيـر حـسن بيك الجـداوى ، مملوك على بيك ، وهو من خـشـداشين مـحـمـد بيك أبو الذهب ، مـات بغـزة بالطاعـون ، وكـان من الشـجـعـان الموصـوفين ، والابطال المعـروفين ، ولما انفـرد على بيك بمملكة مـصـر ، ولاه إمـارة جـدة ، فلذلك لقب بالجـداوى ، وذلك سنة أربع وثمـانين ومـاية وألف [١] ، وابتلى فيـهـا بأمـور ظهرت بهـا شـجاعته ، وعرفت فروسيته ، ولما حصلت الوحشة بين إسمـاعيل بيك والمحـمـديين ، كـان ممن نافق مـعـه وعضـده ، هو وخشـداشينه رضوان بيك وعبد الرحمن بيك ، وكانت لهم الغلبة ، ونما أمره عند ذلك ، وظهرت شـأنه بعد أن كان خمل ذكره ، وهو الذى تجاسر على قتل يوسف بيك فى بيتـه ، بين ممـالكيه وعزوته ، ثم خـامـر على إسـمـاعـيل بيك ، وانقلب مع المحـمـديين عندمـا خـرج لمحـاربتـهـم بالصعيد، فخـادعوه وراسلوه ، وانضم إليهم بمن معـه ، ورجعوا إلى مصر ، وفرّ [ص ٣١٩] إسماعيل بيك بمن معه إلى الشام ، واستقر هو وخشداشينه [٢] فى مملكه مـصـر ، مشـاركين لهم ، متوقـعين بهم الفرصـة، مع التـهـور الموجب لتـحـذر الآخرين منهم ، إلى أن استـعجلوا إشعـال نار الحرب ، فجرى مـا جرى بينهم من الحروب والمحاصرة بالمدينة ، وانجلت عن خذلانهم وهزيمتـهم ، وظهـور المحمـديين عليهم ، وقتل بها عدة من أعيانهم ومواليهم ومن انضم إليـهم ، وربما عوقب من لا جنى كـمـا سطر ذلك فى مـحله ، وفرّ المترجم مع بعض مّن بقى من عـشـيـرته إلى القليوبية ، فقبض عليه وأتى به إلى مصر ، ففرّ إلى بولاق بمفرده ، والتجأ إلى بيت الشيخ الدمنهورى ، فأحاطوا به ، فنطّ من سطح الدار ، وخلص إلى الزقاق وسيفه مشـهور فى يده ، فصـادف جندياً فقتله وأخذ فرسـه فركبه وفر ، والعسـاكر خلفه

١ - سنة ١١٨٤هـ توافق سنة ١٧٧٠م .

٢ - كتبت فى النسخة (ب) " ختاسينه " وهى خطأ من الناسخ .

تريد أخذه ، وتتلاحق به من كل جهة ، وهو يراوغهم ويقاتلهم ، حتى خلص إلى بيت إبراهيم بيك فأمنه ، واتفقوا على إرساله إلى جده، فلما أقلع به فى القلزم، أمر رئيس المركب أن يذهب به إلى القصير [وخوفه القتل إن لم يفعل ، فذهب به إلى القصير] (١) ، فتوجه منها إلى إسنا (٢) ، وعلمت به عشيرته وخشداشينه ومماليكه ، فتلاحقوا به ، واستقر أمرهم بها بعد وقايع يطول شرحها ، فأقام نيفاً وعشر سنين ، حتى رجع إليهم إسماعيل بيك بعد غيبته الطويلة وانضم إليهم ، واصطلح معهم ، إلى أن كان ما كان ، من وصول حسن باشا إلى الديار المصرية، وإخراجه للمحمديين ، وإدخاله [ص ٣٢٠] للمذكور مع إسماعيل بيك ورضوان بيك وأتباعهم ، وتأميرهم بمصر ، واستقرارهم بها بعد رجوع حسن باشا إلى بلاده ، ووقوع الطاعون الذى مات به إسماعيل بيك ورضوان بيك وغيرهم من الأمرا ، فاستقل بمن بقى من الأمرا ، وفعل معهم من التهور والحمق والشره ، ما أوجب لهم بغض النعيم والحياة معه ، وخامر عليه من كان يأمن إليه ، فلم يسعه ومن معه إلا الفرار ، ورضى ذاك لنفسه بالذل والعار ، ودخلت المحمديون إلى مصر المحمية ، واستقر هو كما كان بالجهة القبلية ، فأقام على ذلك سبع سنين وبعض أشهر ، إلى أن وقعت حادثه الفرنسيس واستولوا على الإقليم المصرى ، وحضرت العساكر بصحبة حضرة (٣) الصدر الأعظم ، ووقع ما وقعو من الصلح ونقضه ، وانحصر

---

١ - مابين القوسين مفقود من النسخة (أ) وأثبتناه من بقية النسخ .

٢ - إسنا : قاعدة مركز ، وهى من المدن القدية ذكرها جوتيه فى قاموسه ، وقال أميلينو فى جغرافيته أنها وردت فى كشف الأسقفيات ، وهى مدينة فى أقصى صعيد مصر على شاطئ النيل من الجانب الغربى وهى مدينة عامرة كثيرة النخيل والبساتين والتجارة .
ولما أنشئ قسم أسنا فى سنة ١٨٢٦م جعلت أسنا قاعدة له وسمى مركز إسنا فى سنة ١٨٩٠م : محمد رمزى : القسم الثانى فـ٢ ، ص١٥١ .

٣ - كلمة " حضرة " غير موجودة فى النسخة (ب) فأثبتناها من بقية النسخ .

المشار إليه مع من انحصر بالمدينة من المصرلية والعثمانية ، فقاتل وجاهد ، وأبلى بلاءً حسناً ، شهد له بالشجاعة والإقدام ، كل من العثمانية والفرنساوية والمصرلية، فلما انفصل الأمر ، وخرجوا إلى الجهة الشامية ، فلم يزل محرصاً ومرابطاً ومجتهداً ، حتى مات بالطاعون فى هذه السنة ، وفاز بالشهادتين ، وقدم على كريم يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم

ومات الأمير عثمان بيك المعروف بطبل ، وهو من مماليك إسماعيل بيك ، أمّره فى سنة اثنين وتسعين [١] ، ثم خرج مع سيده وتغرب معه فى غيبته الطويلة، فلما رجع إلى مصر فى أيام حسن باشا ، وتولى إمارة الحاج [٢] ، [ص ٣٢١] فى سنة خمس ومائتين وألف [٣] ، وكان سيده يقدمه على أقرانه ، ويظن به

---

١ – سنة ١١٩٢هـ توافق سنة ١٧٧٧– ١٧٧٨م .

٢ – إمارة الحاج : كان لقافلة الحج المصرى مكانة كبيرة ، وهى نابعة من مكانة مصر وعلاقتها بالحجاز ، ومنذ بداية العصر العثمانى كان لإمارة الحاج أهميتها الكبيرة ، فأسندت فى العامين الأولين لاثنين من أرباب الوظائف المدنية " المتعممين " ثم استحوذ عليه البكوات لمماليك فى العام التالى بإسنادها لأتباعهم من الكشاف وإن شاركهم شيوخ العربان الأقوياء فى تولى هذا المنصب مثل شيوخ بنى عونه البحيرة ، ولكن خطورة وأهمية منصب أمير الحاج جعلت الدولة العثمانية تعهد بهذا المنصب فى النهاية إلى البكوات المماليك القادرين على القيام بما يتطلبه المنصب من قدرة ومهارة ، لمزيد من التفاصيل راجع : الشيخ أحمد الرشيدى : حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولى إمارة الحاج تحقيق د/ ليلى عبد اللطيف ، الخانجى ١٩٨٠، ص ٨٣ .

٣ – فى النسخة (أ) " سنة خمسين ومائتين وألف " وهو خطأ من النسخ لأنه سنة ١٢٥٠هـ توافق عام ١٨٣٤م وهو تاريخ لاحق لوفاة عثمان بيك ، والصواب ما أثبتناه فى المتن من النسخة (ب) وواضح أن محققى طبعة وزارة التربية والتعليم لم يقارنوا هذا التاريخ مع النسخة (ب) لذلك كتبوها بالمتن سنة ١٢٥٠هـ وصححوها بالهامش على أنها سنة ١١٥٠هـ على اعتبار أن سنة ١٢٥٠هـ فى عصر محمد على ولكن سنة ١١٥٠هـ لم يكن عثمان بك قد ولد بعد ، أما سنة ١٢٠٥هـ فهى الصواب وتوافق سنة ١٧٩٠–١٧٩١م .

النجاح، ولما طُعن (١) وعلم أنه مفارق الدنيا ، أحضره وأوصاه وحذره من أعدايه ، وقال له :" إنى حصنت لك مصراً وسورتها، وصيرتها بحيث تملكها بنت عمياء" (٢) ، فلما مات سيده تشوف للآمارة حسن بيك الجداوى ، و على بيك كتخدا الجاويشية ، فلم يرضى كل منهما با لآخر . وتخوفا من بعضهما ، فاتفق رأيهما على تأمير عثمان بيك المذكور ، كبيراً عوضاً عن سيده ، وسكن داره ، وعقدوا الدواوين عنده ، فنزل عن إمارة الحاج لحسن بيك تابع حسن بيك قصبة رضوان ، واستقل هو بأمور الدولة ومشيخة مصر ، فلم يفلح ، وخامر مع أخصامه وأخصام سيده ، والتف عليهم سراً وصدق تمويهاتهم ، وخذل نفسه ودولته ، وذلك غيظاً من حسن بيك الجداوى ، لما رأى من تحقيره إياه ، والنظر له بعين العداوة والغدر ، وكل من حسن بيك الجداوى ، وعلى بيك كتخدا الجاويشية ، يتخوف نفاق صاحبه ، لتكرر ذلك منهما فى الوقايع السابقة ، وانحراف طبع كل عن صداقة الآخر ، ولم يخطر ببالهما ولا ببال أحد من المجانين - ، فضلا عن العقلا - ركون المشار إليه إلى أعدايه وأعدا سيده العداوة الموروثة ، فكانا كلما شرعا فى شئ من مكايد الحرب ثبطهما واقعدهما ، وهما يظنان نصحه ، ويعتقدان خلوصه ومعرفته ، ولكونه تعلم سياسة الحروب من سيده ، لكثرة تجاربه وسياحته ، ولم يعلما أنه يمهد لنفسه [ص ٣٢٢] طريقاً مع الأعداء ، إلى أن كان ما كان من مساعدته لهم بالتغافل والتقاعد ، حتى تحولوا إلى الجهة الشرقية ، وخلص إليهم بمن انضم إليه من عشيرته ، فلم يَسَع الباقون إلا الهرب ، وأسلم هو نفسه لأعدايه ، فأظهروا له المحبة ، وولوه إمارة الحاج حكم عهدهم له بذلك ، وأن تكون له مادام

---

١ - أى أصيب بالطاعون .

٢ - فى النسخة (أ) كتبت " بحيث تملكها بنت أعمى " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

حياً ، فخرج فى تلك السنة ، أعنى سنة ست وماتين ، وكذلك سنة سبع [1] ، ونهب الحج فى تلك السنة ، وفرّ هو إلى غزة ، فصودرت زوجاته ، واقتسمت إقاعطه ، ورجع بعد حين إلى مصر ، وأهمل أمره واستمر كآحاد الطايفة من الأجناد ، ويغدو ويروح إليهم ، ويرجو رفدهم ، إلى أن حدثت حادثة الفرنسيس ، فخرج مع من خرج إلى الشام ، ولم يزل هناك حتى مات فى السنة المذكورة ، وكان دايماً يقول عند تذكره الدولة والنعيم : " ذلك تقدير العزيز العليم "[2]

ومات الأمير عثمان بيك المعروف بالشرقاوى ، وهو من مماليك محمد بيك أبو الذهب أيضاً الكبار ، وتأمّر فى أيامه ، وعرف بالشرقاوى لكونه تولى الشرقية ، ووقع منه ظلم وجبروت ، بعد أستاذه [3] ، وصادر كثيراً من الناس فى أموالهم ، ثم انكف عن ذلك وزعم أن ذلك كان بإغرا مقدمه ، فشهره وقتله ، ولم يزل فى امارته حتى مات الشام بالطاعون .

ومات الأمير أيوب بيك الكبير ، وهو أيضا من مماليك محمد بيك ، وكان من خيارهم ، يغلب عليه حب الخير والسكون ، ويدفع الحق لأربابه ، وتأمّر على الحج ، وشكرت سيرته .

ومات الأمير مصطفى [ص ٣٢٣] بيك الكبير ، وهو أيضا من مماليك محمد بيك ، تولى الصعيد ، وإمارة الحج عدة مرار ، وكان فظاً غليظاً متمولاً بخيلاً شحيحاً ، وفى إمارته على الحاج ترك زيارة المدينة لخوفه من العرب ، وشحّه بعوا-
-يدهم ، وقلة اعتناه بشعار الدين ، فانتقد ذلك على المصريين من الدولة وغيرها ، وكان ذلك من أعظم ما اجترموه من القبايح .

---

١ - ١٢٠٦هـ توافق ١٧٩١ -١٧٩٢ وسنه ١٢٠٧هـ توافق ١٧٩٢ -١٧٩٣م .
٢ - سورة الأنعام الآية ٩٦ .
٣ - فى النسخة (ب) " مع أستاذه " ولكن ما أثبتناه هو الصواب .

ومات الأمير سليمان بيك المعروف [بالأغا ، توفى بأسيوط بالطاعون ، وهو أيضاً من مماليك محمد بيك ، وهو أخو إبراهيم بيك المعروف] (١) بالوالى ، صهر إبراهيم بيك الكبير ، الذى مات فى واقعة الفرنسيس الأولى فى انبابة ، مدبراً فاراً، وسقط فى البحر وغرق ، وكان هو وأخوه قبل تقلدهما الصنجقية أحدهما والى الشرطة ، والآخر أغاة مستحفظان ، فلم يزالا يلقبان بذلك حتى ماتا . وكان المترجم محباً لجمع المال ، وله إقطاع واسعة ، وخصوصاً بجهة قبلى ، وفى آخر أمره أستوطن أسيوط ، لأنها كانت فى إقطاعه ، وبنى بها قصراً عظيماً ، وأنشأ بعض بساتين وسواقى ، واقتنى أبقاراً وأغناماً كثيرة . ومما اتفق أنه جزَّ صوف الأغنام، وكانت أكثر من عشرة آلاف [ثم وزعه على الفلاحين ، وسخرهم فى غزله] (٢) ، ثم وزعه على القزازين فنسجوه ، ثم جمع التجار وباعه عليهم بزيادة عن السعر الحاضر ، فبلغ ذلك مبلغاً عظيماً .

ومات الأمير قايد (٣) أغا ، وهو من مماليك محمد بيك أيضاً ، وكان يلقب أيام كشوفيته "بقايد نار " لظلمه وتجبره ، وولى أغاة مستحفظان فى سنة ثمان وتسعين وماية وألف (٤) ، فأخاف العامة ، وكان يتنكر ويتزيا بأشكال مختلفة ، ويتجسس على الناس ، وذلك أيام خروج إبراهيم بيك إلى قبلى ، ووحشته من مراد بيك ، وانفراد مراد بيك [ص ٣٢٤] بإمارة مصر ، فلما تصالحا ورجع إبراهيم بيك ، رد الأغاوية لعلى أغا ، فحنق المترجم لذلك ، وقلق قلقاً عظيماً، وترامى على الأمرا

---

١ - ما بين القوسين مفقود من النسخة (أ) فأثبتناه من بقية النسخ .
٢ - مابين القوسين مفقود أيضاً من النسخة (أ) .
٣ - فى النسخة (ب) " عابد " .
٤ - سنة ١١٩٨هـ توافق سنة ١٧٨٣-١٧٨٤م .

وصـار يقـول : إن لم يردوا إلى منصبى قـتلت على أغـا ، و قـتلت نفـسى ، فلمـا حصل منه ذلك عزلوا على أغا ، وقلدوا سليم أغا أمين البحرين أغاوية مستحفظان ، ولم يبلغ غـرضـه ، ولم ترضى نفسه بالخـمـول ، وأكـثـر من الأعـوان والأتبـاع ، فيحضرون بين يديه الشكاوى والدعاوى ، ويضرب الناس ويحبسهم ويصادرهم فى أموالهم ، ويركب وبين يديه العدة الوافرة من القواسة والخدم ، يحملون الحراب والقرابين والبنادق ، وخلفه الكثير من الأجناد والمماليك ، واتخذ له جلسا وندما [1] يباسطونه ويضاحكونه ، ولم يزل كذلك حتى خرج مع عشيرته إلى الصعيد عند حضور حسن باشا ، فاستولى على كثير من حصص الإقطاع ، فلما رجعوا فى أواخر سنة خمس [2] ، سكن دار جوهر أغا دار السعادة سابقاً بالخرنفش ، وتزوج سريته قهراً ، واستكثر من المماليك والجند ، وتاقت نفسه للإمارة ، وتشوف إلى الصنجقية ، وسخط على زمانه والأمرا الذين لم يلبوا دعوته ، ولم يبلغوه أمنيته، وصار لا يخاطبه جالساؤه إلا بقولهم يابيك ، ويكره من يخاطبه بدون ذلك ، وكان له من الأولاد الذكور اثنى عشر ولداً لصلبه يركبون الخيول ، ماتوا فى حياته [3] وكان له أخ من أقبح خلق الله فى الظلم ، اتخذ له أعواناً وأتباعاً ، وليس عنده ما يكفيهم ، وكان يخطف كلما مر بخطته بباب الشعرية ، من قمح [ص ٣٢٥] وتبن وشعير وغير ذلك ، ولا يدفع له ثمناً و هلك قبله بنحو ست سنين ،

---

١ – فى النسخة (أ) " وندا من " ولكن الصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٢ – أى فى أواخر عام ١٢٠٥هـ الذى يوافق النصف الثانى من عام ١٧٩١م .

٣ – من غرائب أحوال المماليك فى مصر أن أولادهم كانوا يموتون فى سن مبكرة ولم نسمع طوال العصر العثمانى عن مملوك ورثه أولاده ، وقد ناقش الدكتور كلوت بك هذه القضية وأرجعها إلى عدم ملائمة جو مصر إلى هؤلاء الصبية وإلى أسباب أخرى لمزيد من التفاصيل راجع : كلوت بك : لمحة عامة إلى مصر ، مطبعة أبى الهول ، د.ت ، جـ١ .

وأتوا بجيفته إلى مصر مقر فصاً ، ودفن بمدفن أخيه بتربه المجاورين ، ومن جملة أفاعيله القبيحة : أنه كان يجرد سيفه ويضرب رقاب الحمير ، ويزعم أنه يقطعها فى ضربة واحدة ، ولم يزل أخوه المترجم على حالته حتى خرج من مصر عند مجى الفرنسيس وعاد بصحبة العرضى ، ومات مع من مات من الأمرا بالشام ، فقلده حضرة الصدر الأعظم الصنجقية فيمن تقلد ، وأدرك أمنيته ، فأقام قليلاً وهلك فيمن هلك ، فكان كما قال القايل :

فكان كالمتمنى أن يرى فلقاً من الصباح فلما أن رآه عمى

ومات أيضاً حسن كاشف المعروف بجركس ، وهو أيضاً من مماليك محمد بيك ، وإشراق [1] ، عثمان بيك الشرقاوى ، وكان من الفراعنة ، وهو الذى عمّر الدار العظيمة بالناصرية، ، وصرف عليها أموالاً عظيمة ، فما هو إلا أن تم بناها ، ولم يكمل بياضها حتى وصلت الفرنسيس ، فسكنها الفلكيون والمدبرون وأهل الحكمة والمهندسون ، فلذلك صينت [2] من الخراب ، كما وقع بغيرها من الدور ، لكون عسكرهم لم يسكنوا بها ، وتقلد المذكور الصنحقية بالشام ، ثم هلك بالطاعون

ومات الأمير حسن كتخدا المعروف بالجربان ، بالشام أيضاً

ومات الأمير قاسم بيك المعروف بالموسقوا ، وهو من مماليك إبراهيم بيك ، وكان لين الجانب، قليل الأذى [3] ، إلا أنه كان شحيحاً ، لايدفع حقاً توجه عليه ،

---

١ – إشراق : من التركية " جراغ " أو " جراق " بالجيم المشربة فيهما : الصبى يسلم للصانع ليأخذ عنه الصنعة، والاشراق الخادم المملوك وهى عكس السراج . راجع ما ذكرناه عنه سابقا عند حديثنا عن السراجين ، فى ترجمة مراد بك .

٢ – فى النسجة (ب) " سلمت " .

٣ – فى النسخة (ب) " كثير الأذى " ولكنى الجبرتى فى عجائب الآثار يؤكد أنه كان قليل الأذى كما أن سياق الكلام هنا يؤكد ذلك .

ولما مات خشداشه حسن بيك الطحطاوى ، تزوج بزوجته ، وشرع فى بنا السبيل المجاور [ص ٣٢٦] لبيته بحارة قيسون ، فما هو إلا أن قرب إتمامه ، إلا وقدمت الفرنسيس لمصر ، فخربوه وشعثوا بنيانه ، وهدموا حيطانه ، وبقى على حالته ، كمثل ما فعلوه بدور تلك الخطة وغيرها .

ومات على أغا كتخدا جاوجان (١) ، وهو من مماليك الدمياطى ، ونسب إلى محمد بيك ، وأحبه إبراهيم بيك ورقاه ، واختص به وولاه أغاة مستحفظان فى سنة اثنين وتسعين وماية وألف (٢) ، فلم يزل إلى سنة ثمان وتسعين (٣) ، فخرج مع إبراهيم بيك إلى المنية ، عندما تغاضب مع مراد بيك ، فلما تصالحا قلدوه كما كان، فحنق قايد أغا ، وكان ما كان من عزله وولاية سليم أغا كما سبق الإلماع بذلك عند ذكر قايد أغا . ثم قلد كتخدا الجاويشية فى سنة ست ومأتين وألف (٤) ، ولم يزل متقلداً ذلك حتى خرج مع من خرج فى حادثة الفرنسيس، وكان ذا مال وثروة ، مع مزيد شح وبخل ، واشترى دار عبد الرحمن كتخدا القازدغلى العظيمة ، التى بحارة عابدين ، وسكنها وليس له من المآثر إلا السبيل والكتاب الذى(٥) ،

---

١ - يقصد فرقة جاويشان : كان هذا الأوجاق مختص بخدمة الباشا والديوان العالى ، لذا عرفوا فى الوثائق بلقب " جاوشان ديوان مصر " ، وبدأ تكوين هذا الأوجاق بعد إعلان قانون نامة مصر ١٥٢٤م من المماليك الذين كانوا فى الخدمة الشخصية للباشا المتخلفين عن الجيش المملوكى والذين أثبتوا إخلاصهم للسلطان العثمانى وكان عددهم عند تكوينها لا يزيد عن ثمانين رجلاً ، وكان للباشا الحق فى ملء المناصب الخالية فى الجاوشان برجال من الفرق الأخرى فيها عدا فرقتى الانكشارية والعزبان .د: عراقى يوسف : مرجع سابق .

٢- سنة ١١٩٢هـ توافق ١٧٧٧ - ١٧٧٨م .

٣ - سنة ١١٩٨هـ توافق ١٧٨٣ - ١٧٨٤م .

٤ - سنة ١٢٠٦هـ توافق سنة ١٧٩١ - ١٧٩٢م .

٥ - فى النسخة (أ) " التى " ولكن الصواب ما أثبتناه هنا من بقية النسخ .

أنشأه بجوار داره الآخرى بدرب الحجر ، وهو من أحسن المبانى ، وقد حماه الله من تخريب الفرنسيس ، وهو باق إلى يومنا هذا ببهجته ورونقه .

ومات الأمير يحيى كاشف الكبير ، وهو من مماليك إبراهيم بيك الأقدمين ، وكان لطيف الطباع ، حسن الأوضاع ، وفيه ذوق وتودد عطاردى [1] [ص ٣٢٧] يحب الرسومات والنفوس والتصاوير والأشكال ، ودقايق الصناعات ، والكتب المشتملة على ذلك ، مثل كليلة ودمنة ، والنوادر والأمثال ، واهتم فى بنا السبيل المجاور لداره بخطة عابدين ، فرسم شكله قبل الشروع فيه فى قرطاس بمعونة الأسطى حسن الخياط ، ثم سافر إلى الأسكندرية ، وأحضر ما يحتاجه من الرخام والأعمدة المرمر الكبيرة والصغيرة ، وأنواع الأخشاب ، وحفر أساسه وأحكم وضعه ، واستدعى الصناع والمرخمين فتأنقوا فى صناعته ، ونقش رخامه على الرسم الذى رسمه لهم ، كل ذلك بالحفر بالآلات فى الرخام ، وموهوه بالذهب ، فما هو إلا أن ارتفع بنياته ، وتشيدت أركانه ، وظهر للعيان حسن قالبه ، وكاد يتم ما قصده من حسن مأربه؛ حتى وقعت حادثة الفرنسيس ، فخرج مع من خرج قبل إتمامه ، وبقى على حالته إلى الآن ، ولما خرج سكن داره برطلمين ، واستخرج مخبأة بين داره والسبيل فيها ذخايره ومتاعه ، فأوصلها للفرنسيس .

ومات الأمير رشوان كاشف ، وهو من مماليك مراد بيك ، وكان له إقطاع بالفيوم ، فكان معظم إقامته بها ، فاحتكر الورد ، وما يستخرج من مائه ، والخل المتخذ من العنب ، والخيش ، وأتجر فى هذه البضايع بمراده واختياره ، وتحكم فى الإقليم تحكم الملاك [2] فى أملاكهم وعبيدهم ، وذلك قوة واقتداراً .

---

١ – يهتم المؤلف بقرانات الكواكب والأبراج . ويذكر الفلكيون أن كوكب عطارد له تأثير طيب على مزاج بعض الناس الوبودين .

٢ – فى النسخة (ب) " الملوك " ولكن الصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

ومات الأمير سليم كاشف بأسيوط مطعوناً [1] ، وهو من مماليك [ص ٣٢٨] عثمان بيك الجرجاوى ، من البيوت القديمة ، وخشداش عبد الرحيم بيك عثمان ، المتوفى سنة خمس ومايتين وألف [2] بالطاعون الذى مات به إسماعيل بيك وخلافه ، وتزوج ابنته بعد موته ، وكان ملتزماً بحصة من أسيوط ، وشرق الناصرى ، واستوطن بأسيوط ، وبنى بها دارا عظيمة ، وعدة دور صغار ، وأنشأ عدة بساتين ، وغرس بها وبشرق الناصرى أشجاراً كثيرة ، وعمر عدة قناطر ، وحفر ترعا ، وصنع جسوراً ، وأسبلة فى مفاوز الطرق ، وأنشأ داراً بمصر بالمناخلية ، بسوق الملطيين ، واشترى داراً جليلة كانت لسليمان بيك المعروف بأبو نبوت بحارة عابدين ، وعمَّرها وزخرفها ، وأنشأ بأسيوط جامعاً عظيماً ومكتباً ، فما هو إلا أن أكمل بنيانه حتى قدمت الفرنسيس ، فاتخذوه سجناً يسجنون به ، ثم لما قابل المذكور الفرنسيس وأمنوه ، أخذ فى إصلاح ما تشعث من البنا ، وتتميم العمارة ، ولم يساعده الوقت إذ ذاك ، لقلة الخشب وآلات البنا ، فاشتغل بذلك على قدر طاقته ، فلما فرغ البنا وقارب التمام ، ولم يبق إلا اليسير وقع الطاعون بأسيوط ، فمات والمسجد باق على ما هو عليه الآن ، وهو من المبانى العظيمة المزخرفة على هيئة مساجد مصر . وكان المذكور ذا بأس وشدة وإقدام وشجاعة وتهور ، مشابه لحسن [ص ٣٢٩] بيك الجداوى فى هذه الخصال ، ويده مبسوطة ، وطعامه مبذول ، وداره بأسيوط مقصد للوارد والصادر من الأمرا

١- أى مات بالطاعون .

٢ - سنة ١٢٠٥هـ توافق ١٧٩٠ - ١٧٩١ .

وغيرهم ، وله إغداقات وصدقات ، وأنواع من البر ، ومحبة فى العمارة ، وغراس الأشجار ، واقتناء الأنعام ، وله صوله وظلم وتجارى على سفك الدما ، فبذلك خافته عرب الناحية ، وأهل القرى ، وقاتل العرب مراراً ، وقتل منهم الكثير ، وبسكناه بأسيوط كثرت عمارتها من الناس لحمايتها ، وعدم صولة أحد على أهلها ، وله مهاداة مع الأمرا المصرية ، وأرباب الحل والعقد بها ، والمتكلمين عندهم ، فيرسل الغلال والعبيد والجوار السود و الطواشية [1] وغير ذلك ، وله عدة مماليك بيض

١- الطواشية : هم الخصيان ، والخصاء عادة شرقية كانت شائعة قديماً بين الآشوريين والبابليين والمصريين القدماء ، وأخذها عنهم اليونانيون ثم الرومان فالإفرنج ، ومع أن الشريعة الإسلامية تحرم الخصى " الجب" إلا أن المسلمين قد عكفوا على اقتناء الخصيان حتى أصبحت هذه العادة الوحشية ملازمة لنظام التسرى ملازمة لا مفر منها حيث يستخدم الخصيان لخدمة وحراسة حريم الذوت والأعيان . وفى الدولة العثمانية لا يفوز بامتياز الحصول على الخصيان واقتنائهم غير العظماء ، أما فى مصر فإنهم أكثر نتشاراً لسهولة الحصول عليهم ، حيث كانت عملية الخصاء تتم فى قرية " دير الجنادلة القريبة من أسيوط على يد جماعة من أقباط القرية " ، ويتميز الطواشى بعلامات مميزه فهو أمرد سليب اللحية والشاربين بجسمه ميل للسمنة وفى صوته خنوثة ، وفيما عدا ذلك فإنه تبدو عليه علامات التجبر، وتشاهد فيه نزعة للأذى ، سريع الخوف والغضب نتيجة لما يشعر به من انحطاط شأنه نتيجة لزوال صفة الرجوله عنه ، لذلك يميل دائماً إلى التقوى والصلاح والقيام بفروض الدين وفى مصر العثمانية كان العمل الأو ل للخصيان هو حراسة وخدمة الحريم حيث لا يجوز لغيرهم الدخول للحريم . وكان الخصيان الأحباش هم الأعلى سعراً والأندر وجو داً ، وقد بلغت مكانة الخصيان درجة عظمى فى مصر فى القرن التاسع عشر حتى فاق بعضهم الوزراء وكبار رجال الدولة ، ومنهم مثلاً ألماس أغا كبير أغوات والدة عباس باشاً و خليل أغا كبير أغوات والدة الخديو إسماعيل .
راجع عماد أحمد هلال شمس الدين : مرجع سابق ، ص٢٤١ ومابعدها .

وسود ، أعتق كثيراً منهم ، من جملتهم عزيزنا الأمير أحمد كاشف المعروف بالشعراوى ، رقيق حواشى الطبع ، مهذب الأخلاق ، ذا فروسية فى ركوب الخيل ، ومحبة فى العلما واللطفا وهو من جملة محاسن سيده .

ومات الأمير باكير بيك أيضاً ، والأمير محمد بيك كشكش ، كلاهما بالشام ومات غير هؤلاء كلهم [1] بالشام ، ولا يحضرنى أسماؤهم .

---

١ – كلمة " كلهم " غير موجودة فى النسخة (ب) فأثبتناها من بقية النسخ .

يوميات سنة ١٢١٦هـ

شهر المحرم [1]

واستهلت سنة ستة عشر ومايتين وألف بيوم الخميس [2] وباستهلالها خف الطاعون

وفى ليلة الجمعة تلك ، أرسل عبد العال وأحضر الشيخ محمد الأمير ليلاً إلى منزله ، فبيته عنده . ولما أصبح النهار ، طلع به إلى القلعة ، وحبسه عند المشايخ بجامع سيدى [ص٣٣٠] سارية ، والسبب فى ذلك أن ولد الشيخ المذكور ، كان من جملة من يستحث الناس على قتال الفرنسيس فى الواقعة السابقة بمصر ، فلما انقضت هرب إلى جهة بحرى ، ثم حضر بعد مدة إلى مصر ، فأقام بها أياماً ثم رجع إلى فوه بإذن من الفرنسيس ، فلما حصلت هذه الحركة ، وتحذروا شدة التحذر ، وأخذوا الناس بأدنى شبهة ، وتقرب إليهم المنافقون بالتجسس والإغرا ، ذكر بعضهم ذلك لقايمقام ، وأدخل فى مسامعه أن ابن الشيخ المذكور ذهب إلى عرضى همايون ، فأرسل قايمقام إلى الشيخ محمد الأمير [3] قبل تاريخه ، فلما حضر سأله عن ولده المذكور ، فأخبره أنه مقيم بفوه ، فقال له :"لم يكن هناك ، وإنما هو عند القادمين ، " قال له :" أرسل إليه وأحضره " ، فقام من عنده على ذلك وأمهله ثمانية أيام مسافة الذهاب والمجى ، ثم خاطبه على لسان وكيل الديوان أيضاً ، فوعد بحضوره أو حضور الجواب بعد يومين ، واعتذر بعدم أمن الطريق ، فلما انقضت اليومان أمروا عبد العال بطلبه وإصعاده إلى القلعة ففعل .

١- العنوان من وضع المحققين .

٢- يوم الخميس غرة المحرم ١٢١٦هـ الموافق ١٤ مايو ١٨٠١م .

٣- اسم الشيخ غير مذكور فى النسخة (أ) فأثبتناها من بقية النسخ .

وفيه (١) حضر جملة من عساكر الفرنساوية من جهة بحرى ، وتواترت الأخبار بتملك القادمين قلعة الرحمانية ، وما بالقرب منها من الحصون الكاينة بالعطف وغيره ، وذلك يوم السبت خامس عشرين الحجة (٢) [ص٣٣١]

وفيه ، حضرت زوجة كبير الفرنسيس بصحبة أخيها السيد على الرشيدى ، وكان خرج بها من رشيد عندما ملكها القادمون ، ونزل بها فى مركب ، وأرسى بها قبالة الرحمانية [فلما وقعت واقعة الرحمانية] (٣) وأخذت قلعتها ، حضر بها إلى مصر بعد تعب شديد ، وخوف من العربان وقطاع الطريق وغير ذلك ، فأقامت هى وأخوها ببيت الألفى بالأزبكية ثلاثة أيام ، ثم صعدا إلى القلعة .

وفيه ، قربت العساكر القادمة من الجهة الشرقية ، وحضرت طوالعهم إلى القليوبية والمنير والخانكة لأخذ الكُلف ، فتأهب قايمقام "بليار" للقائهم ، وأمر العساكر بالخروج من أول الليل ، ثم خرج هو فى آخر الليل (٤)

فلما كان يوم الأحد رابعه ، (٥) رجع قايمقام بليار ومن معه منهزمين ،

١- أى يوم الجمعة ٢ المحرم ١٢١٦هـ الموافق ١٥ مايو ١٨٠١م وهو نفس تاريخ اليوميتين التاليتين.

٢- أى أن احتلال تلك الحصون كان يوم السبت ٢٥ من ذى الحجة ١١١٥هـ الموافق ٩ مايو ١٨٠١م أما ورود الأخبار إلى القاهرة وتواترها فكان فى يوم الجمعة ثانى المحرم ١٢١٦هـ الموافق ١٥ مايو .

٣- ما بين القوسين غير موجود فى النسخة (أ) فاثبتناها من بقية النسخ الأخرى .

٤- ليلة يوم السبت ٣ المحرم ١٢١٦هـ الموافق ١٦ مايو ١٨٠١ م .

٥- يوم الأحد ٤ محرم ١٢١٦هـ الموافق ١٧ مايو ١٨٠١م .

وكتموا أمرهم ، ولم يذكروا شيئاً (١)

وفى خامسه (٢) ، رفعوا الطلب عن الناس بباقى نصف المليون ، وأظهروا الرفق بالناس ، والسرور بهم ، لعدم قيامهم عند خروجهم للحرب ، وكانوا يظنون منهم ذلك .

وفيه ،(٣) أخذت جملة من عدد الطواحين ، وأصعدت إلى القلعة ، وأكثروا من نقل الماء والدقيق والأقوات إليها ، وكذلك البارود والكبريت والجلل والبنب ، ونقلوا ما فى الأسوار والبيوت من الأمتعة والفرش والأسرة ، وحملوه إليها ، ولم يبقوا بالقلاع الصغار إلامهمات الحرب .

وفيه ، طلبوا الزياتين وألزموهم بمائتى قنطار سيرج ، وسمروا جملة من حوانيتهم [ص٣٣٢] وخرج جماعة من الجزارين لشرا الغنم من القرى القريبة ، فقبض عليهم العساكر القادمة ، ومنعوهم من العود بالغنم والبقر ، وكذلك منعوا الفلاحين الذين يجلبون الميرة والأقوات إلى المدينة ، فانقطع الوارد من الجهة

١- وجد بليار نفسه مهدداً فى آن واحد بحشد القوات الإنجليزية التى تجتاز المسار المحاذى للنيل عن طريق الرحمانية ، وبالقوات العثمانية التى تصل من شرق الدلتا ، فإنه يطلب إلى مينو التحرك مع قواته إلى القاهرة لكى يواجه جيوش الأعداء فى الأرض المنبسطة المكشوفة إلا أن الوقت كان قد تأخر كثيراً ، فأمام الضغط الأنجلو عثمانى ، يترك لاجرانج الرحمانية وينسحب إلى القاهرة فى ١٠ مايو ١٨٠١م ، وخرج بليار فى ١٥ مايو وقابل العثمانيين فى اليوم التالى ، ولكن دون عمل حاسم ، فقد قرر "بليار " الاحتفاظ بقواته والعودة بها إلى القاهرة للعمل على سد طريق النيل أمام القوات الإنجليزية الزاحفة ووضع بطارية قوية قادرة على وقف الأسطول النهرى الإنجليزى . وكان موقف غريب من بليار ، ولكن فى الواقع لم يكن عند الضباط ولا الجنود الفرنسيين رغبة للقتال . هنرى لورنس : مرجع سابق ، ص ٥٨٠ .

٢- يوم الاثنين ٥ المحرم ١٢١٦هـ الموافق ١٨ مايو ١٨٠١ م .

٣- أى فى خامس المحرم ، وهو تاريخ اليومية التالية أيضاً .

البحرية والقليوبية ، وعَزَّت الأقوات ، وشح اللحم والسمن جداً ، وأغلقت حوانيت الجزارين ، واجتهد الفرنسيس فى وضع متاريس خارج البلد من الجهة الشرقية والبحرية ، وحفروا خنادق ، وطلبوا الناس للعمل ، فكانوا يقبضون على كل من وجدوه ، ويسوقونه للعمل ، وكذلك فعلوا بجهة القرافة ، وألقوا الأحجار العظيمة والمراكب ببحر انبابة [1] لتمنع المراكب من العبور . وابتدؤا المتاريس البحرية من باب الحديد ممدودة إلى قنطرة الليمون إلى قصر أفرنج أحمد [2] إلى السبتية إلى مجرى البحر .

وفى ثامنه [3] بعث قايمقام بليار فأحضر التجار وعظما الناس ، وسألهم عن سبب غلق الناس الحوانيت فقالوا : له من وقف الحال والكساد والجلا والموت ، فقال لهم : من كان موجوداً حاضراً فألزموه بفتح حانوته ، وإلا فأخبرونى عنه ، ونزلت الحكام فنادت بفتح الحوانيت والبيع والشرا .

١- المقصود نهر النيل أمام أنبابه لمنع مرور السفن الإنجليزية نحو الجنوب .

٢- أفرنج أحمد : فى القرن السابع عشر بدأ يظهر فى مصر شكل جديد من أشكال الحزبية، وكان وجود روابط التئام بين كل من البكوات الصناجق وكبار العسكريين ، والدور الهام الذى لعبه السادة المتحكمون فى مراكز قيادة الإنكشارية أمثال "أفرنج أحمد" ففى عام ١٧١١م قامت فتنه بين الأوجاقات العسكرية بسبب "أفرنج أحمد" وانضم إليها الباشا وقاضى عسكر وانقسم فيها العلماء بل والعربان أيضاً وانتهت بمقتل أفرنج أحمد وخمدت الفتنة وهدأت الأمور . ولكن كان لها آثار كبيرة فيما بعد .

لمزيد من التفاصيل راجع .

- على بن محمد الشاذلى الفراء :ذكرما وقع بين عسكر مصر المحروسة :١١٢٣هـ الموافق ١٧١١م تحقيق د/ عبد القادر طليمات - المجلة التاريخية العدد ١٤ عام ١٩٨٦م .

P.M.Holt , the career of Kucuk Muhammad 1671.1711- B.S.o.A.s .XXvL.1963.

٣- يوم الخميس ٨ محرم ١٢١٦هـ الموافق ٢١ مايو ١٨٠١ م .

وفى عاشره (١) شرعوا فى هدم جانب من الجيزة من الجهة البحرية ، وقربت العساكر القادمة من البر الغربى إلى البلد المسماة بنادر .

وفيه ، (٢) تواترت الأخبار بأن العساكر الشرقية وصلت أوايلها إلى بنها وطحلا بساحل النيل .

وفى [ص٣٣٣] ثاني عشره ، (٣) نزلت أمرأة من القلعة بمتاعها واختفت بمصر ، فأحضر الفرنسيس حكام الشرطة وألزموهم بإحضارها ، وهذه المرأة اسمها "هوى" كانت زوجة لبعض الأمرا الكشاف ، ثم أنها خرجت عن طورها وتزوجت "نقولا " وأقامت معه مدة ، فلما حدثت هذه الحوادث جمعت ثيابها واحتالت حتى نزلت من القلعة ، وهى على حمار ، ومتاعها محمول على حمار آخر ، فنزلت عند بعض العطف ، وأعطت المكارية الأجرة وصرفتهم من خارج واختفت . فلما وقع عليها التفتيش وأحضروا المكارية ، قالوا لانعلم غير المكان الذى أنزلناها به (٤) وأعطتنا الأجرة عنده ، فشددوا على المكارية ومنعوهم من السراح، وقبضوا على أهل الحارة وحبسوهم ، ثم أحضروا مشايخ الحارات وشددوا عليهم، وعلى سكان الدور ، وأعلموهم أنه إن وجدت المرأة فى حارة من الحارات ، ولم يخبروا عنها ، نهبوا جميع دور الحارة ، وعاقبوا سكانها ، فحصل للناس غاية الضجر والقلق بسبب اختفايها ، وتفتيش أصحاب الشرطة ، وخصوصاً عبد العال، فإنه كان يتنكر ويلبس زى النسا ، ويدخل البيوت بحجة التفتيش عليها ،

١- يوم السبت ١٠ محرم ١٢١٦هـ الموافق ٢٣ مايو ١٨٠١ م .

٢- أى فى عاشر المحرم .

٣- يوم الاثنين ١٢ محرم ١٢١٦هـ الموافق ٢٥ مايو ١٨٠١م .

٤- فى النسخة (ب) "الذى نزلناها به " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

فيزعج أرباب البيوت والنساء ، ويأخذ منهن مصالح ومصاغاً ، ويفعل ما لا خير فيه ، ولا يخشى خالقاً ولا مخلوقاً .

وفي خامس عشره (١) قبضوا على "ألطون أبو طاقية " النصراني القبطي ، وحبسوه بالقلعة ، وألزموه بمبلغ دراهم تبقت عليه من حساب البلاد .

وفي سادس [ص٣٣٤] عشره ، (٢) أفرجوا عن محمد أفندي يوسف ، ونزل إلى بيته ، وكذلك الشيخ مصطفى الصاوي لمرضه .

وفيه ، انقضت دعوة تهمة الشيخ البكري ، ومحصلها أن خادم مملوكه ، ذهب عن لسان المملوك إلى بليار قايمقام ، وأخبره أن الشيخ وصل إليه فرمان من العرضي بالأمان ، وكان هذا بإغرا عبد العال ، ليوقعه في الوبال ، ويحرك عليه حقد الفرنسيس ، فيوقعونه في العذاب البئيس ، لحزازة بينه وبين الشيخ البكري [وميل للمملوك ، وكان وسيماً عزيزاً على سيده جداً ، مبتلى بحبه] (٣) فلما حضر الشيخ على عادته عند قايمقام سأله عن ذلك ، فجحده ، فأحضر الخادم الذي بلغ ذلك ، فصدق على ذلك ، وأسند إلى المملوك سيده ، فأحضروا المملوك وسألوه ، فقال نعم ، فقالوا له وأين الفرمان ، فقال : قراه وقطعه ، فقال الفرنسيس : وكيف يقطعه هذا دليل الكذب ، لأنه لا يصح أن يتلقاه بالقبول ثم يقطعه ، فقيل له :ومن أتى به ، قال فلان ، فألزموا الشيخ بإحضار ذلك (٤) الرجل ، وحبس المملوك عند

١- يوم الخميس ١٥ محرم ١٢١٦ الموافق ٢٨ مايو ١٨٠١ م .

٢- يوم الجمعة ١٦ محرم ١٢١٦هـ الموافق ٢٩ مايو ١٨٠١م ، وهو تاريخ اليومية التالية أيضاً

٣- الفقرة التي بين القوسين محذوفة من النسخة (أ) وكذلك من عجائب الآثار ، وقد ألمح البعض إلى أن العلاقة التي بين المملوك وسيده كانت علاقة جنسية . وكان ذلك شائعاً في ذلك الوقت ، وأن افتتان الشيخ بمملوكه الوسيم كان سبباً في اهتمامه بإنقاذه من أيدي الفرنسيين رغم جريمته التي ارتكبها في حقه .

لمزيد من المعلومات راجع : كريستوفر هيرولد : مرجع سابق .

٤- في النسخة (ب) "هذا " ولكن الصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

عبد العال يومين ، ونال غرضه منه [1] وحضر الرجل فسألوه ، فجحد ذلك ولم يثبت عليه و ظهر كذب الغلام والخادم ، فعند ذلك طلب الشيخ غلامه ، فقال قايمقام : إن قصاصه فى شريعتنا أن يقطع لسانه ، فشفع فيه سيده وأخذه ، بعد أمور وكلام قبيح قاله الغلام فى حق سيده .

وفيه [2] حضر حسين كاشف اليهودى إلى قايمقام ، [ص٣٣٥] وأخبره أن الأمرا الذين بالصعيد خرجوا عن طاعة الفرنساوية ، وردوا مكاتبتهم التى أرسلوها لهم بعد موت مراد بيك ، وأنهم مروا وتوجهوا إلى بحرى ، من البر الغربى ، وعثمان بيك الأشقر ذهب من خلف الجبل إلى جهة الشرق ، فلما حصل ذلك ركب قايمقام ، وذهب للست نفيسة وأمنها وطيب خاطرها ، وأخبرها أنها فى أمان ، هى وجميع نساء الأمرا والكشاف والأجناد ، ولا مؤاخذة عليهن بما فعله رجالهن .

وفى محرم عشرينه [3] توكل رجل قبطى يقال له "عبد الله" من طرف يعقوب، بجمع طايفة من الناس لعمل المتاريس فتعدى حتى على بعض الأعيان ، وأنزلهم من على دوابهم ، وعسف وضرب بعض الناس على وجهه حتى أسال دمه ، فتشكى الناس من ذلك القبطى ، وأنهوا شكواهم إلى بليار قايمقام ، فأمر بالقبض على ذلك القبطى ، وحبسه بالقلعة . ثم فردوا على كل حارة رجلين يأتى بهما شيخ الحارة ، وتدفع لهما أجرة من سكان الحارة .

١- عبارة "ونال غرضه منه " غير موجودة فى النسخة (أ) وكذلك فى عجائب الآثار ويفهم منها أن عبد العال بسبب ميله للمملوك ، قد انتهز فرصة حبس الغلام فى بيته وأقام معه علاقة جنسية ، والحق أن الشذوذ الجنسى كان مرضاً اجتماعياً منتشراً فى تلك الفترة حتى بين بعض الأعيان ، الذين افتتنوا بالغلمان والمردان ، ورغم أن ذلك لا يبدو واضحاً فى مظهر التقديس ، إلا أنه يظهر بوضوح فى عجائب الآثار ، خاصة الأجزاء ١ ،٢، ٤ .

٢- أى فى يوم الجمعة ١٦ محرم .

٣- ٢٠ محرم الثلاثاء ١٢١٦هـ الموافق ٢ يونيو ١٨٠١ م .

وفيه ، وردت الأخبار بأن حضرة (١) الصدر الأعظم وصل ركابه إلى دجوه .

وفى يوم الاثنين (٢) سمعت عدة مدافع على بعد وقت الضحوة .

وفى ذلك اليوم ، قبل العصر ، طلبوا مشايخ الديوان ، فاجتمعوا بالديوان ، وحضر الوكيل والترجمان ، وطلبهم للحضور إلى قايمقام ، فلما حصلوا عنده قال لهم [ص٣٣٦] على لسان الترجمان : نخبركم أن العدو قد قرب منا ، ونرجوكم أن تكونوا على عهدكم مع الفرنساوية وأن تنصحوا أهل البلد والرعية بأن يكونوا مستمرين على سكونهم وهدوهم ، ولا يتداخلوا فى الشغب ، فإن الرعية بمنزلة الولد ، وأنتم بمنزلة الوالد ، والواجب على الوالد نصح ولده ، وتأديبه وتدريبه على الطريق المستقيم التى يكون فيها الخير والصلاح ، فإنهم إن داموا على الهدو حصل لهم الخير ، ونجوا من كل شر ، وإن حصل منهم خلاف ذلك (٣) نزلت عليهم النار ، وأحرقت دورهم ، ونهبت

١- كلمة "حضرة" غير موجودة فى النسخة (ب) فاثبتناها من بقية النسخ ، ولكن لم ترد أيضاً في عجائب الآثار فكتب الجبرتى هذه اليومية كالآتى " وردت الأخبار بأن الوزير وصل دجوه " فالجبرتى الحريص على استخدام كافة ألقاب التفخيم وأسباغها على الصدر الأعظم هو نفسه الذى يحذفها فى عجائب الآثار .

٢- يوم الاثنين ٢٦ محرم ١٢١٦هـ الموافق ٨ يونيو ١٨٠١ م .

٣- أصدر مينو وهو فى الأسكندرية بياناً أرسله ليوزع على سكان القاهرة جاء فيه " بسم الله الرحمن الرحيم - لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . من عبد الله جاك مينو . القائد العام لجيش الشرق وممثل حكومة الجمهورية الفرنسية في مصر ، إلى جميع سكان مدينة القاهرة ومصر ، كبيرهم وصغيرهم ، أغنيائهم وفقرائهم . يقوم بعض الرجال من دعاة الشر والخداع والذين لا يفكرون إلا فى إلحاق الأذى بالشعب ، بالعمل على ترويج شائعات مزعجة فى مدينة القاهرة . وأحذركم أنه إذا ثبت على أى شخص من أية أمة أو دين كان أنه يروج أو ينشر هذه الشائعات المزعجة أو يحرض على ترويجها ، فسيلقى عليه القبض فوراً ويضرب عنقه فى وسط أحد ميادين القاهرة . فياسكان القاهرة ومصر ، لتبقوا هادئين فى منازلكم ، وقوموا بأعمالكم كالمعتاد ، وتذكروا ما أقوله لكم : إن الحكومة الفرنسية تسهر على أمنكم فاعتمدوا حمايتها لكم ولكن عيونها يقظه دائماً على كمل الذين يحاولون التمرد أو الثورة وخير سلام على من اتبع الهدى ١١ شوال سنة ١٢١٥ هـ / مينو . كورييه دى ليجيبت العدد ١٠٥ ، ص ٣٨٣ .

أموالهم ومتاعهم ، وتيتمت أولادهم ، وسبيت نساؤهم ، وألزموا بالأموال والفرد التي لا طاقة لهم بها ، فقد رأيتم ما حصل في الوقايع السابقة ، فاحذروا من ذلك ، فإنكم لا تدرون العاقبة ، ولا نكلفكم المساعدة لنا ، ولا المعاونة لحرب عدونا ، وإنما نطلب منكم السكون والهدو لا غير . فأجابوه بالسمع وقولهم كذلك ، وقرئ عليهم ورقة بمعنى ذلك ، وأمروا الأغا وأصحاب الشرطة بالمناداة على الناس بذلك، وأنهم ربما سمعوا ضرب مدافع جهة الجيزة ، فلا ينزعجوا من ذلك ، فإنه شنك وعيد لبعض أكابرهم ، وأن يجتمع من الغد بالديوان الأعيان والتجار وكبار الأخطاط ومشايخ الحارات ، ويتلى عليهم ذلك .

فلما كان ضحوة يوم الثلاثا [1] اجتمعوا كما ذكر وحصلت الوصية والتحذير [ص٢٣٧] وانتهى المجلس وذهبوا إلى محلاتهم .

وفي ذلك اليوم ، أشيع حضور حضرة الصدر الأعظم إلى شلقان [2] وكذلك العساكر الغربية [3] حضرت إلى أول الوراريق .

وفي يوم الجمعة غايته [4] اجتمع المشايخ والوكيل بالديوان على العادة ،

١- يوم الثلاثاء ٢٧ محرم ١٢١٦هـ الموافق ٩ يونيو ١٨٠١م .

٢- شلقان : من القرى القديمة وردت في نزهة المشتاق بين الخرقانية وزفيتة (زفيتة شلقان وهي المنيرة الان) وفي التحفة شلقان من أعمال القليوبية ووردت في مباهج الفكر شلقام في القليوبية . قال ولها نظير في البهنساوية والصواب أن لا صلة بين هذه التي تنتهي بنون في آخرها وبين شلقام التي بالهنساوية وتنتهي بميم في آخرها .
محمد رمزي – مرجع سابق ، القسم الثاني ، جـ١ ، ص ٥٦ .

٣- يستخدم الجبرتي اسم العساكر الشرقية للدلالة على الجنود العثمانيين القادمين إلى مصر من ناحية الشام برئاسة الصدر الأعظم والعساكر الغربية للدلالة على الإنجليز والعثمانية بقيادة القبطان حسن باشا .

٤- يوم الجمعة ٣٠ المحرم ١٢١٦هـ الموافق١٢ يونيو ١٨٠١م .

وحضر "استوف" الخازندار ، وصحبته "أبو ديف" ، فتكلم الخازندار ، وترجم عنه "رفاييل" بقوله : أنه يثنى على كل من القاضى والشيخ إسماعيل الزرقانى باعتنايهما فيما يتعلق بأمر المواريث وبيت المال ، والمصالح على التّرك المختومة ، لأن الفرنساوية ، لم يبق لهم من الإيراد إلا ما يتحصل من ذلك . والقصد الاعتنا أيضاً بأمر البلاد والحصص التى انحلت بموت أربابها ، فلازم أيضاً من المصالحة والحلوان والمهلة فى ذلك ثمانية أيام ، فمن لم يصالح على الالتزام الذى له فيه شبهة فى تلك المدة ضبطت حصته ، ولا يقبل له عذر بعد ذلك . واعلموا أن أرض مصر استقر ملكها للفرنسيس ، فلازم من اعتقادكم لذلك ، وركوزه فى أذهانكم ، كما تعتقدوا وحدانية الله تعالى ، ولا يغرنكم هؤلاء القادمون وقربهم ، فانهم لا يخرج من بين أيديهم شئ أبداً ، وهؤلاء الإنكليزية ناس خوارج حرامية ، وصناعتهم إلقا العداوة والفتن ، والعثمنلى مغتر بهم ، فإن الفرنساوية كانت من الأحباب الخلّص[1] للعثمنلى ، فلم يزالوا حتى أوقعوا بينه وبينهم العداوة والشرور ، وأن بلادهم ضيقة ، وجزيرتهم صغيرة ، ولو كان [2] بينهم وبين الفرنساوية [ص٣٣٨] طريق مسلوكة من البر ، لا نمحى أثرهم ، ونسى ذكرهم من زمان مديد، وتأملوا فى شأنهم ، وأى شئ خرج من أيديهم ، فإن لهم ثلاثة أشهر من حين طلوعهم إلى البر وإلى الآن لم يصلوا إلينا ، والفرنسيس عند قدومهم ، وصلوا فى ثمانية عشر يوماً ، فلو كان فيهم همة أو شجاعة أو إقدام لوصلوا مثل وصولنا ، وكلام كثير من الهَوَس والغفلة [3]

١- فى النسخة (ب) "لخاص" والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٢- فى النسخة (أ) "ولولا كان" والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٣- عمل الفرنسيون على إصدار العديد من المنشورات التى تهدف إلى تحذير المصريين من الثورة وأن النصر لابد حليف للفرنسيين والتقليل من قيمة القوة المهاجمة لهم سواء من العثمانيين أو الأنجليز ولكن الجبرتى بعقله الواعى يعلق على مثل هذا الكلام بقوله "وكلام كثير من الهوس والغفلة" .

شهر صفر الخير

استهل بيوم السبت [1] وفى ذلك اليوم قبل المغرب [2] مشى عبد العال الأغا فى شوارع المدينة ، وقدامه منادى يقول :"الأمن والأمان على جميع الرعايا ، وفى غد يعمل شنك بمدافع من القلاع فى الساعة الرابعة ، فلا تخافوا ولا تنزعجوا ، فإنه حضرت بشارة بوصول بونابرته بعمارة عظيمة إلى الأسكندرية ، وأن الإنكليز رجعوا القهقرى " .

فلما أصبح يوم الأحد ، فى الساعة الرابعة من الشروق [3] ضربت المدافع ، وتابعوا ضربها من جميع القلاع . وطلع أناس قبل ذلك إلى المنارات ، ونظروا بالنضارات ، فشاهدوا العساكر الغربية انجرّت ووصلت إلى آخر الوراريق ، وأول انبابة . فنصبوا خيامهم أسفل انبابة . وعند وصولهم إلى مضاربهم ، ضربوا عدة مدافع ، فلما سمعها الفرنساوية ، ضرب الآخرون تلك المدافع التي ذكروها أنها شنك . وأما العساكر الشرقية فوصلت أوايلهم إلى منية الأمرا ، المعروفة بمنية السيرج [4] [ص٣٣٩] والمراكب فيما بينهما من البرّين كثيرة ، فعند ذلك عزّت

١- يوم السبت غرة صفر ١٢١٦هـ الموافق ١٣ يونيو ١٨٠١م .

٢- كلمة " المغرب " غير موجودة فى النسخة (ب) فأثبتناها من بقية النسخ .

٣- أى فى حوالى الساعة العاشرة من صباح يوم الأحد ، ٢ صفر ١٢١٦هـ الموافق ١٤ يونيو ١٨٠١م .

٤- منية السرج : من القرى القديمة وردت فى كتاب "أحسن التقاسيم " للمقدسى فى اسم المنيتين وهما منية الشيرج هذه ومنية الأصبغ . كانت منية الشيرج واقعة على شاطئ النيل لغاية سنة ٦٨٠هـ وفى تلك السنة طمى الخور الذى كان فاصلاً بينها وبين جزيرة الفيل التى تشمل اليوم قسمى شبرا وروض الفرج ، وذكر أميلينو فى جغرافيته أن "تمونى بسيسلمون " هو أسمها القبطى والصواب أنه ترجمة اسمها العربى باللغة الرومية . محمد رمزى . مرجع سابق ، القسم الثانى . جـ١ ص ١٥ .

الأقوات وشحت ، وخصوصاً السمن والجبن (١) والأشيا المجلوبة من الريف ، ولم يبق طريق مسلوكة إلى المدينة إلا من جهة باب القرافة ، وما يجلب من جهة البساتين ، من القمح والتبن ، فيأتى ذلك إلى عرصة الغلة بالرميلة ، وتزدحم عليه النسا والرجال بالمقاطف ، فيسمع لهم ضجة عظيمة ، وشح اللحم أيضاً وغلا سعره ، لقلة المواشى والأغنام .

وفى يوم الاثنين ثالثه (٢) حصلت الجمعية بالديوان ، وحضر التجار ومشايخ الحارات والأغا ، وحضر مكتوب من "بليار" قايمقام خطاباً للحاضرين يذكر فيه أنه حضر إليه مكتوب من كبيرهم "منوا " بالأسكندرية ، صحبة هجانة فرنسيس وصلوا إليهم من طريق البر (٣) مضمونه أنه طيب بخير ، والأقوات كثيرة عندهم ، يأتى بها العربان إليهم ، وبلغهم خبر وصول عمارة إلى بخر الخزر (٤) وأنها عن قريب تصل إلى الأسكندرية ، وأن العمارة حاربت بلاد الإنكليز ، واستولت على شقة كبيرة منها ، فكونوا مطمينين الخاطر من طرفنا ، ودوموا على هدوّكم (٥) وسكونكم ، إلى آخر ما فيه من الكذب والخرافات وكان وصول هذا المكتوب ، بعد نيف وأربعين يوماً من انقطاع أخبار من فى سكندرية ولا أصل لذلك .

وفى ذلك اليوم (٦) قتل عبد العال رجلاً ، ذكروا أنه وجد معه مكتوب من

١- فى النسخة (ب) "السمن والخبز " ولكن الصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٢- يوم الاثنين ٣ صفر ١٢١٦هـ الموافق ١٥ يونيو ١٨٠١ م .

٣- فى النسخة (أ) "من طريق البرية " ولكن الصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٤- فى جميع النسخ "أبحر الجرر " وفى عجائب الآثار "بحر الخزر " "وبحر الخزر " بحر قزوين وهو بحر مغلق لا يعقل أن تصل سفن منه إلى الأسكندرية لذا فالمقصود هنا غير واضح .

٥- يؤكد الناسخ على النطق العامى للكلمة بحذف الهمزة ، وتشديد الواو .

٦- يوم الاثنين ١٣ صفر الموافق ١٥ يونيو ١٨٠١م .

بعض النسا ، مرسل إلى بعض أزواجهن بالعرضى [1] قتل [ص٣٤٠] ذلك الرجل بباب زويلة ، ونودى عليه :"هذا جزا من ينقل الأخبار إلى العثمنلى والإنكليز"[2]

وفيه [3] وصلت العساكر الشرقية إلى العادلية ، وامتد عرضى همايون منها إلى قبلى منية السيرج ، وكذلك الغربية إلى انبابة ، ونصبوا خيامهم بالبرين ، والمراكب بينهم فى النيل ، وضربوا عدة مدافع ، وخرج عدة من الفرنساوية خياله ، فترامحوا معهم وأطلقوا البنادق ثم انفصلوا بعد حصة من النهار ، ورجع كل إلى مكانه ، واستمر هذا الحال على هذا المنوال ، يقع بينهم فى كل يوم .

وفى سادسه [4] زحفت العساكر الشرقية حتى قربوا من قبة النصر ، وسكن إبراهيم بيك زاوية الشيخ دمرطاش ، وحضر جماعة من العسكر وأشرفوا علي الجزارين [من حايط المدبح ، وطلبوا شيخ الجزارين] [5] ووجدوا ثلاثة أنفار من الفرنسيس ، فضربوا عليهم بنادق ، فأصيب أحدهم فى رجله ، فأخذوه وهرب اثنان ، وأصيب جزار يهودى ، ووقع بين الفريقين مضاربة ، على بعد وقتل بعض

١- أى إلى معسكر العثمانيين القادمين من الناحية الشرقية .

٢- زادت حالات الأعدام التى أمر بها الفرنسيون وذلك لحرج موقفهم ولمحاولة قمع الأهالى . ولقد أعدم مينو عدة أفراد فى الأسكندرية كذلك - نفذ حكم الأعدام رمياً بالرصاص بساحة الأسكندرية فى المدعوين : سليمان ، قبطان المركب أوليانو ، وأحمد بابوجى وحيل موسم من الأسكندرية لأنهم يرددون أحاديث من شأنها إثارة الفوضى والحث على الثورة - وسوف يكون هذا مصير كل من سيسلك هذا الطريق .
الأمضاء مينو . كوربيه دى ليجيبت - العدد ١١١ - ص ٤١٠ .

٣- يوم الاثنين ١٣ صفر ١٢١٥هـ الموافق ١٥ يونيو ١٨٠١م .

٤- يوم الخميس ٦ صفر الموافق ١٨ يونيو ١٨٠١ م .

٥- العبارة التى بين القوسين كتبت مرتين فى النسخة (أ) وربما ذلك سهو من الناسخ .

قتلى ، وأسر بعض أسرى ، ولم يزل الضرب بينهم إلى قريب العصر ، والفرنسيس يرمون من القلعة الظاهرية ، وقلعة نجم الدين والتل ، ولا يتباعدون عن حصونهم (١)

وفى سابعه (٢) وقعت مضاربة بين الفريقين ببنادق ومدافع من [ص٣٤١] الصباح إلى العصر أيضاً ، وامتنع الوارد من الجهة البحرية بالكلية .

وفيه ، (٣) قبضوا على رجل شبه خدام ظنوه جاسوساً فأحضروه إلى عند قايمقام ، فسألوه فلم يقر بشئ ، فضربوه عدة مرات حتى ذهل عقله ، وصار كالمختل ، وكرروا عليه الضرب والعقاب ، وضربوه بالكرابيج على كفوفه ووجهه ورأسه ، حتى قيل أنهم ضربوه نحو ستة آلاف كرباج ، وهو على حاله ، ثم أودعوه الحبس .

وفيه ، أطلقوا محبوساً يقال له الشيخ سليمان حمزة الكاتب ، وكان محبوساً بالقلعة من مدة ستة أشهر ، فأطلق على مصلحة ألفين ريال .

وفى ثامنه (٤) وقعت مضاربة أيضاً بطول النهار ، ودخل نحو خمسة وعشرين نفراً من العثمانية إلى الحسينية ، وجلسوا علي مصاطب القهوة ، وأكلوا كعكاً وخبزاً وفولاً مسلوقاً (٥) وشربوا قهوة ثم انصرفوا إلى مضربهم ، وأخذ

١- فى هذه الفترة بعث الإنجليز والعثمانيين "لبليار" يعرضون عليه الصلح . ولكنه حتى ذلك الوقت رفض أملاً فى وصول الإمدادات وتحسن الأحوال . وهذا الموقف سيتغير بعد قليل

٢- يوم الجمعة ٧ صفر ١٢١٦هـ الموافق ١٩ يونيو ١٨٠١م .

٣- أى فى سابع صفر ، وهو تاريخ اليومية التالية أيضاً .

٤- يوم السبت ٨ صفر الموافق ٢٠ يونيو ١٨٠١م .

٥- وردت فى جميع النسخ "مصلوقاً" والصواب ما أثبتناه بالمتن "مسلوقاً" لاستقامة المعنى .

الفرنساوية عسكرياً من أتباع محمد باشا والى غزة والقدس ومصر ، فحبسوه ببيت قايمقام . وأغلقوا فى ذلك اليوم باب النصر وباب العدوى .

وفيه ، زحفت عساكر البر الغربي إلى تحت الجيزة ، فحضر في صبحها "يني" وأخبر قايمقام ، فركب من ساعته وعدى إلى بر الجيزة ، فسمع الضرب أيضاً من ناحية الجيزة ، وسمعت طبول الأمرا ، ونقاقيرهم .

واستمر الأمر إلى يوم الثلاثا حادى عشره (١) فبطل الضرب من وقت الزوال، ولما وصلوا جهة الجيزة انتشروا إلى قبلى [ص٣٤٢] منها ، ومنعوا المعادى (٢) من تعدية البر الشرقى ، فانقطع الجالب (٣) من الناحية القبلية أيضاً وامتنع وصول الغلال والأقوات والبطيخ والعجوز والخضروات والخيار والسمن والجبن والنُعم ، (٤) فعزَّت الأقوات ، وغلا سعر الموجود منها جداً . واجتمع الناس بعرصة الغلة بالرميلة ، يريدون شراء الغلة ، فلم يجدوها ، فكثر ضجيجهم ، وخرج الأكثر منهم بمقاطفهم إلى جهة البساتين ، ورجع الباقون من غير شئ ، وأحضر عبد العال القبانية ، وألزمهم بإحضار السمن ، وضرب البعض منهم ، فأحضروا له فى يومين أربعة عشر رطلاً بعد الجهد فى تحصيلهم ، وبيعت الدجاجة بأربعين نصفاً ، وامتنع وجود اللحم من الأسواق .

١- يوم الثلاثاء ١١ صفر ١٢١٦ هـ الموافق ٢٣ يونيو ١٨٠١م .

٢- أى المراكب التى تعمل على نقل الناس بين البرين بالأجر ، وفى طبعة وزارة التربية والتعليم عرفوا المعادى بأنها "كل من أراد اجتياز الشاطئ" وهو خطأ لأن المقصود المراكب وليس الأشخاص .

٣- فى النسخة (ب) "الجلب " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٤- هكذا فى مظهر التقديس ، وفى عجائب الآثار " والمواشى " وفى طبعة التربية والتعليم " والغنم " .

واستمر الأمر على ذلك الأربعا والخميس (1) والمضاربة بين الفريقين ساكنة ، وأشيع وقوع المسالمة والمراسلة بينهما ، فانسرّ الناس ، وسكن جاشهم .

وفى ذلك اليوم (2) أغلقوا باب القرافة ، وباب المجرات ، ولم يعلم سبب ذلك ، ثم فتحوها عند الصباح من يوم الجمعة ، ورفعوا عشور الغلة .

وفى يوم الاثنين سابع عشره (3) أطلقوا المحبوسين بالقلعة من أسرى العثمانية ، وأعطوا كل شخص مقطع قماش وخمسة عشر قرشاً ، وأرسلوهم إلى عرضى همايون ، وكانوا بلغ بهم الجهد من الخدمة وشيل التراب والأحجار ، وضيق الحبس والجوع ، ومات الكثير منهم ، وكذلك أفرجوا عن جملة من العربان والفلاحين .

وفى ليلة الاثنين المذكور ، [ص٣٤٣] سمع صوت مدفع بعد الغروب ، عند قلعة جامع الظاهر خارج الحسينية ، ثم سمع منها أذان العشا والفجر ، فلما أضاء النهار ، نظر الناس ، فإذا البيرق العثمانى بأعلاها ، والمسلمون على أسوارها ، فعلم الناس بتسليمها ، وكان ذلك المدفع إشارة إلى ذلك ، ففرح الناس ، وتحققوا أمر المسالمة ، وأشيع الإفراج عن الرهاين من المشايخ وغيرهم ، وباقى المحبوسين فى الصباح ، وأكثر الفرنساوية من النقل والبيع فى أمتعتهم وخيولهم ونحاسهم وجواريهم وعبيدهم ، وقضا أشغالهم (4)

١- يومى الأربعاء والخميس ١٢ ، ١٣ صفر ١٢١٦هـ الموافق ٢٤ ، ٢٥ يونيو ١٨٠١م .

٢- أى فى يوم الخميس ١٣ صفر ١٢١٦هـ الموافق ٢٥ يونيو ١٨٠١م .

٣- يوم الاثنين ١٧ صفر ١٢١٦هـ الموافق ٢٩ يونيو ١٨٠١م .

٤- كان بليار مستعد للتفاوض والاستسلام فى مقابل شروط مشرفة وكان الدافع وراء ذلك أدراكه بحالة الضعف المادى والمعنوى الذى يعانى منه جيشه وعدم تزويد الحكومة الفرنسية لهم لا بالمؤن ولا العتاد ، كذلك فهو يدرك كذب تصريحات مينو فى الأسكندرية و أنها تصريحات للاستهلاك المحلى . لكل ذلك كان يدرك استحالة الوقوف فى وجه القوات المهاجمة له . فقبل التفاوض وتسليم القاهرة .

وفى ذلك اليوم ، أنزلوا عدة مدافع من القلعة ، وكذلك من قلعة باب البرقية ، أمتعة وفرشاً وباروداً .

وفى يوم الثلاثا [1] عمل ديوان ، وحضر الوكيل وأعلن بوقوع الصلح المسالمة ، وأوعد أن فى الجلسة الآتية يأتى إليهم بفرمان الصلح وما اشتمل عليه ن الشروط ، ويسمعونه جهاراً .

وفى ذلك اليوم ، كثر اهتمام الفرنساوية بنقل الأمتعة من القلعة الكبيرة ، باقى القلاع بقوة السعى [2]

وفيه ، [3] أفرجوا عن محمد أفندى أبو دفيّة ، واسماعيل القلق ، ومحمد شيخ الحارة بباب اللوق ، والبرنوسى نسيب أبو دفيّة ، والشيخ خليل المنير ، وآخرين تكملة ثمانية أنفار ، ونزلوا إلى بيوتهم .

وفيه ، سافر عثمان بيك البرديسى إلى الصعيد ، وعلى يده فرمانات للبلاد بالأمن والأمان ، وسوق المراكب بالغلال والأقوات إلى مصر ، ويلاقى ستة آلاف من عسكر الإنكليز [4] حضروا من [ص٣٤٤] القلزم إلى القصير [5]

١- يوم الثلاثاء ١٨ صفر ١٢١٦هـ الموافق٣٠ يونيو ١٨٠١م .

٢- فى النسخة (ب) "بقوة السفن" وهو خطأ والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٣- أى فى يوم الثلاثاء ١٨ صفر .

٤- هذه هى الحملة الأنجلو هندية التى وصلت من الهند ورغم أنها لم تشترك فى القتال إلا أن لها دوراً كبيراً فى إجبار بليار على التسليم .

٥- القصير : تقع القصير على خط ٢٦.٦ْ شمالاً وخط ١٧ / ٣٤ْ شرقاً وهى تقع على الساحل الغربى للبحر الأحمر قبالة قوص علي النيل إلى الشمال من عيذاب واكتسبت أهميتها لقربها من قوص حيث كانت تجارة الكارم تمر عبرها إلى قوص ثم تحمل فى النيل إلى مركز تجارة الكارم فى مصر القديمة . وقد اكتسبت قوص أهمية تجارية فى العصر المملوكى وذلك لكونها مركزاً يرد إليه التجار الواصلون إلى القصير ببضائع الجزيرة العربية والهند غير أن أهميتها تدهورت بعد كشف رأس الرجاء الصالح . ولكن عادت إليها أهميتها فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر . راجع د/ عبد الحميد سليمان – مرجع سابق . ص ٢٦

وفيه ، شنقوا شخصاً فرنساوياً على شجرة بالأزبكية ، قيل أنه سرق .

وفيه ، أرسل الفرنساوية إلى حضرة الصدر الأعظم ، وطلبوا جمالاً ينقلون عليها متاعهم ، فأمر لهم بمايتى جمل ، وقيل أربعماية إليهم مُسَعَّرة .

وفى يوم الخميس عشرينه [١] أفرجوا عن بقية المسجونين والمشايخ ، وهم الشيخ السادات والشرقاوى والشيخ الأمير والشيخ محمد المهدى ، وحسن أغا المحتسب ، ورضوان كاشف الشعراوى وغيرهم . فنزلوا إلى بيت قايمقام وقابلوه ، فقال للمشايخ : إن شئتم اذهبوا فسلموا على الوزير ، فإنى كلمته ووصيته عليكم .

وفيه [٢] حضر الوزير الأعظم والعساكر إلى ناحية شبرا ، وكذلك قبطان باشا والانكليز والعساكر الغربية قبالهم ، ونصبوا الجسر فيما بينهم على البحر ، وهو من مراكب مرصوصة ، مثل جسر الجيزة ، بل يزيد عنه فى الإتقان بكونه من ألواح فى غاية الثخن ، وله درابزى من الجهتين أيضاً .

وفيه ، لصقوا أوراقاً بالطرق مكتوبة بالعربى والفرنساوى ، وفيها شرطان من شروط الصلح التى تتعلق بالعامة ، ونصه :" ثم أنه أراد الله تعالى بالصلح ما بين عساكر الفرنساوية وعساكر الانكليز وعساكر العثمانية ، ولكن مع هذا الصلح ، أنفسكم وأديانكم ومتاعكم لم أحداً يقارشهم ، ورؤس [ص ٣٤٥] عساكر الثلاثة جيوش قد اشرطوا بهذا كما تروه .

الشرط الثانى عشر

كل [٣] واحد من أهالى مصر المحروسة من كل ملة كانت الذى يريد يسافر

١- يوم الخميس ٢٠ صفر ١٢١٦هـ الموافق ٢ يوليو ١٨٠١ م .

٢- أى فى يوم الخميس ، وهو تاريخ اليومية التالية أيضاً .

٣- كلمة "كل" غير موجودة فى النسخة (ب) فأثبتناها من بقية النسخ .

مع الفرنساوية يكون مطلوق الإرادة ، وبعد سفره كامل ما يبقى عياله ومصالحة لم أحد يعارضهم .

الشرط الثالث عشر

لا أحداً من أهالى مصر المحروسة من كل ملة كانت ، لا يكون قلقاً من قبل نفسه ولا من ولا من قبل متاعه ، جميع الذى كانوا بخدمة الجمهور الفرنساوية ، بمدة إقامة الجمهور بمصر ، ولكن الواجب يطيعون الشريعة . ثم يا أهالى مصر وأقاليمها ، جميع الملل ، أنتم ناظرين لحد آخر درجة الجمهور الفرنساوى ناظر لكم ولراحتكم ، فليزم أنتم أيضاً تسلكوا الطريق المستقيمة ، وتفتكروا أن الله تعالى جل جلاله هو الذى يفعل كل شئ " وعليه إمضا "بليار قايمقام " (١)

وفى يوم الجمعة (٢) عملوا الديوان ، وحضر المشايخ والوكيل ، فقال الوكيل هل بلغكم بقية الشروط الثلاثة عشر(٣) فقالوا لا ، فأبرز ورقة من كمه بالقلم الفرنساوى ، فشرع يقروها والترجمان يفسرها ، وهى تتضمن الإحدى عشر

١- لا تختلف شروط اتفاقية الجلاء عن القاهرة مع اتفاقية عين شمس إلا فى تحديد المدة الزمنية التى يجلو الفرنسيون بعدها ، وهذه الاتفاقية تدور حول المحاور الآتية .

المحور الأول . المدة الزمنية القصيرة وهى عدة أيام .

المحور الثانى . تحرر العثمانيون من الالتزامات المادية التى فرضوها على أنفسهم فى اتفاقية عين شمس .

المحور الثالث . وهو يتعلق بالمصريين الذين تعاملوا مع الفرنسيين فى فترة تواجدهم فى مصر وهم فى الحقيقة من كافة الأديان والأجناس فقضت الأتفاقية على أعطاءهم الأمان وعدم التعرض لهم وحريتهم أما فى السفر مع الفرنسيين أو فى بقاءهم وأصدار عفواً عاماً عنهم وكان ذلك ضرورياً حتى لا يضار مصرى من الذين تعاونوا مع الحملة .

٢- يوم الجمعة ٢١ صفر ١٢١٦هـ الموافق ٣ يوليو ١٨٠١م .

٣- تكونت الاتفاقية من ٢١ شرطاً وليست ١٣ كما يذكر الجبرتى .

شرطاً الباقية ، فقال إن الجيش الفرنساوى يلزم أن يخلو القلاع ومصر، ويتجهون على البر بمتاعهم إلى رشيد ، وينزلون فى مراكب ، ويتوجهون إلى بلادهم ، وهذا الرحيل ينبغى أن يسرع به ، وأقل ما يكون في خمسين يوماً ، وأن يساق الجيش [ص٣٤٦] من طريق مختصر ، وسر عسكر الإنكليز والمساعد يلزم أن يقوم لهم بجميع ما يحتاجوه من نفقة ومؤونة وجمال ومراكب والمحل الذى يبدأ منه السعى يكون بالتراضى بين الجمهور والإنكليز والمساعد ، وكامل الأمتعة . والأثقال تتوجه من البحر ، ومعهم جيش من الفرنساوية لأجل الحراسة ، ولابد من كون المؤنة التى ترتب لهم المونة التى كانوا يعطوها هم لجيش الإنكليز ، ورؤسايهم ، وعلى روسا عساكر الإنكليز وحضرة العثمنلى ، القيام بنفقة الجميع ، والحكام المتقيدون بذلك . يحضروا لهم المراكب ليستاقوهم إلى فرانسة من جهة البحر المحيط ، وأن يقدم كلا من حضرة العثمنلى(١) والإنكليز أربع مراكب للعليق والعلف للخيل الذين يأخذونهم فى المراكب (٢) وأن يسيروا معهم مراكب للمحافظة عليهم إلى أن يصلوا إلى فرانسة ، وأن الفرنساوية لا يدخلون مينة إلا مينة فرانسا ، والأمنا والوكلا يقدمون لهم ما يحتاجون إليه ، نظراً لكفاية عساكرهم ، والمدبرون والأمنا والوكلا والمهندسون الفرنساوية يستصحبون معهم ما يحتاجون من أوراقهم وكتبهم ، ولو الذى شروها من مصر ، وكل من أهل الإقليم المصرى ، إذا أراد التوجه معهم فهو مطلق السراح مع الأمن على متاعه وعياله ، وكذلك من داخل [ص٣٤٧] الفرنساوية من أى ملة كان فلا معارض له إلا أنه يجرى على خواليه السابقة.

١- كلمة "العثمنلى" غير موجودة فى النسخة (ب) فأثبتناها من بقية النسخ .

٢- كلمة " المراكب " غير موجودة فى النسخة (ب) فأثبتناها من بقية النسخ .

وجرحا [1] الفرنساوية يتخلفون بمصر ، ويعالجهم الحكما ، وينفق عليهم العثمنلى ، وإذا عوفوا توجهوا إلى فرانسة بالشروط المتقدم ذكرها ، وحكام العثمنلى يتعهدون من بمصر منهم . ولابد من حاكمين من طرف الجيشين يتوجهون بمركبين إلى طولو [2] فيرسلوا خبراً إلى فرانسة ، ليطلعوا حكامها على الصلح وساير الرسوم . وكل جدال أو خصام صدر بين شخصين [من الفرنساوى وغيره ، فلابد أن يقوم شخصين] [3] حاكمين من الطايفتين ليتكلموا فى الصلح ، ولا يقع فى ذلك نقض عهد الصلح . وعلى كل طايفة معين من العثمنلى والفرنساوى أن تسلم ما عندها من الأسرى ، ولابد من رهاين من كل طايفة ، واحد كبير يكون عند الطايفة الأخرى ، حتى يتوصلوا إلى فرانسة . ثم قال الوكيل : وقد عملنا بالشروط ، وما ندرى ماذا يكون ، فقيل له : هذه شروط عليها علامة القبول ، وهذا الصلح رحمة للجميع وسيكون الصلح العام ، فقال الوكيل : إنى أرجو أن يكون هذا الصلح الخصوصى مبدأ للصلح العمومى .

وفيه [4] كثر خروج الناس ودخولهم ، من الأتباع والباعة والمتنكرين من نقب البرقية المعروف بالغريب . فسار الحرس من الفرنساوية ، يأخذون من الداخل والخارج دراهم ولا يمنعونهم ، فلما علم الناس بذلك ، كثر ازدحامهم ، فلما أصبحوا [ص٣٤٨] منعوهم ، فدخلوا وخرجوا من باب القرافة ، فلم يمنعهم

١- هكذا فى جميع النسخ والصواب "جرحى" بالياء .

٢- هكذا فى جميع النسخ وعجائب الآثار أيضاً والمقصود ميناء طولون على سواحل فرنسا الجنوبية المطلة على البحر المتوسط .

٣- ما بين القوسين غير موجودة فى النسخة (أ) فأثبتناها من بقية النسخ .

٤- أى فى الجمعة ٢١ صفر ١٢١٦هـ الموافق ٣ يوليو ١٨٠١م .

الواقفون به من الفرنسيس ، بل كانوا يفتشون البعض ، ويمنعون البعض ، وقد دخل بعض أكابر الإنكليز ، وصحبتهم فرنساوية ، يفرجونهم على البلدة والأسواق . وكذلك دخل بعض أكابر العثمانية ، فزاروا قبر الإمام الشافعى ، وسيدنا الحسين ، والشيخ عبد الوهاب الشعرانى ، والفرنساوية ينتظرونهم بالباب .

وفى ليلة الاثنين رابع عشرينه [1] نادوا فى الأسواق برمى مدافع فى صبحه ، وذلك لنقل رمة "كلهبر"، فلا يرتاع الناس من ذلك .

فلما كان صبح ذلك اليوم ، أطلقوا مدافع كثيرة ، ساعة نيش قبر اللعين [2] بالقرب من قصر العينى ، وأخرجوا الصندوق الرصاص الموضوع فيه رمته ، لينقلوهم إلى بلادهم .

وفيه [3] أرسلوا أوراقاً ورسلاً للاجتماع بالديوان ، وهو آخر دواوينهم ، فاجتمع المشايخ والتجار وبعض الوجاقلية ، و"ستوف" الخازندار ، والوكيل والتراجمون ، فلما استقر بهم الجلوس ، أخرج الوكيل كتاباً مختوماً ، وأخبر أن ذلك الكتاب من صارى عسكر "منوا" ، بعث به إلى مشايخ الديوان ثم ناوله لرئيس الديوان ، ففضه وناوله للترجمان ، فقراه والحاضرون يسمعون ، وصورته بعد البسملة والجلالة والصدر : " نخبركم أن علمنا بكثرة [ص٣٤٩] الانبساط أنكم تهدوا بكثرة الحكمة والإنصاف فى الموضع الذى أنتم مستمرين فيه ، وإن لم تقدروا لتنظيم أهالى البلد بالهدى والطاعة الموجبة منه لحكومة الفرنساوى ، فالله تعالى وبسعادة رسوله عليه السلام الدايم ، ينعم عليكم فى الدارين عوض خيراتك

١- يوم الاثنين ٢٤ صفر ١٢١٦هـ الموافق ٦ يوليو ١٨٠١م .

٢- كلمة "اللعين" محذوفة من عجائب الآثار .

٣- أى فى يوم الاثنين ٢٤ صفر .

. وأخبرنا المقدام الجسور "بونابارتة" المشهور ، عن كلما فعلتم حكماً ونافعاً بوصايا لأجلكم سارة رضاة ، واستراح لتلك الفعال الحميدة ، وعرفنى أيضاً أنه عن قريب يرسل لكم بذاته جواب مكاتيبكم إليه ، فدمتم إلى الآن بخير الهدى ، وبقوته تعالى نرى فضايلكم عن قريب ، ونواجه سكان محروسة (١) مصر ، كما هو مأمولنا ، لكن يسركم أن جمهور المنصور غلب فى أقاليم الروم ، جميع أعداه ، وبعون الله تعالى (٢) هادى كل شئ سيغلب كذلك العدا فى مصر ، واعتمدوا باكثر الاعتماد على " الستويان جيرار " هذا الذى وضعناه قربكم ، لأنه هو رجل مشهور بالعدل والاستقامة . ونواصى آلاء هممكم النعيمة ، بزوجتنا الكريمة السيدة "زبيدة " وولدها العزيز سليمان مراد ، أن كليهما حالاً كاينان فى حصننا مصر ، وتأسفنا جداً برحلة المرحوم مراد بيك فى انتقاله إلى البقا . ومعلوم فضايلكم أننا أرضينا بأنعام علوفة يوجه على عمدة العفايف حضرة الست نفيسة خاتون (٣) لما جرى الحكومة الفرنساوية إلى أصدقايه ، وقولوا للقوم إنما منيتى ومرامى [ص٣٥٠] وإبرامى ألا تعتدى بيمنه وخيره ، واعتمدوا أيضاً إلى كل ما سيقوله لكم الستويان "ستيوا " (٤) المأمور بتدبير الأمور وكمال العوايد ، والله تعالى ينعم عليكم وعلى عيالكم فى الأيام بالبشرى والإقبال ، وحرر فى إحدى عشر مسيدور سنة تسعة من قيام دولة جمهور الفرنساوية ، الموافق لثامن عشر صفر " (٥)

١- كلمة "محروسة " غير موجودة فى النسخة (ب) فاثبتناها من بقية النسخ .

٢- كلمة "تعالى "غير موجودة فى النسخة (أ) فاثبتناها من بقية النسخ .

٣- أمر القائد العام مينو أن يصرف لأرملته الست نفيسة وأرملة على بك معاش سنوى قدره ٦٠,٠٠٠ جنيه وكذلك تأمينها هى ونساء الأمراء والكشاف الذين كانوا مع مراد بك ونقضوا الصلح مع الفرنساوية .راجع كوربيه دى ليجيبت . العدد ١١٢ ، ص ٤١٤ .

٤- ربما يقصد "استيف " .

٥- يوم الثلاثاء ١٨ صفر ١٢١٦هـ الموافق ٣٠ يونيو ١٨٠١م .

ممضى "عبد الله جاك منوا " ونقل بألفاظه وحروفه ، وهو من تراكيب "لوماكا" الترجمان . ثم أخذ الوكيل يقول :" أن الجنرال "منوا" انسر بسلوككم حتى الآن ، وراحة البلد حظ الفقرا ، وأن الحكام القادمين لابد وأن يسلكوا معكم هذا الموضوع، ولابد من وصول مكاتيب بونابارته بعد أربعة أيام أو خمسة ، وأنه لا ينسى أحبابه ، كما لا ينسى أعدايه ، ولو لم يكن له من الحسن ألا جعلكم وسايط لإعانة الناس ، لكان كافياً . وإنكم تعلموا أنه كان كان نظر إلى أحوال المارستان ومصالح المرضى وكان قصده أن يبنى جامع ، ولكن عاقه توجهه إلى الشام" ، وذكر كثيراً من مثل هذه الخرافات والتمويهات . ثم أخرج ورقة بالفرنساوى ، وقراها بنفسه حتى فرغ منها ثم قرا ترجمتها بالعربى الترجمان " رفاييل " ومضمونها حصول الصلح ، وتمويهات وخرافات ليس فى ذكرها فايدة . ولما انتهى من قرايتها ، أبرز أيضاً "استوف" الخازندار ورقة وقرأها بالفرنساوى [ص ٣٥١] ثم قرأ ترجمتها بالعربى الترجمان ، وهى فى معنى الأولى ، وصورتها :

" خطاب محبة من حضرة ستوف مدبر الحدود العام ، فى مجلس الديوان . يا مشايخ ويا علما وغيرهم ، أعلمكم أن لم علىَّ أنى أكلمكم فى أسباب خروجنا من الديار المصرية ، بل وظيفتى تدبير أمور السياسة فقط ، ومجى عندكم لأجل أعرفكم قدر ما هو حاصل من الصعوبة ، كل واحد منكم رأى المحبة والأخوة التى كانت موجودة ما بين الفرنساوية ، وما بين أهل الديار المصرية ، قد كان الجيش والأهل المذكورين مثل الرعية الواحدة ، واسم حضرة بونابارتة القنصل الأول من جمهور الفرنساوية ، فى أعز الكفاية عندكم وعندنا. كم مرة [1] يا مشايخ ويا علما

١- "كم مرة " غير موجودة فى النسخة (أ) فاثبتناها من بقية النسخ .

فقدتم صحبتنا لأجل سيرة هذا الشجاع الأعظم المعان بقوة الله ، الذى عقله لم له مثيل ، كان يستحق أنه يكون حاكم عليكم دايماً ، عرفتمونى عن المحبة والشفقة الذى مضت منه لكم ، ومن وقت ما التزم بسبب التعب الذى حصل له فى بلده أنه يتوجه إليه ، لم ضاع منكم العشم أن يترتب فى الديار المصرية التدبير العدل والمنافقة الذى كان أوعدكم بها فى وقت ما كان عندكم ، وصحيح يا مشايخ ويا علما أن حكم الفرنساوية كان يتم ما عاهدكم به الذى هو كبيرهم ، وبونابارتة دايماً رأى لكم فى الخير والمحبة إلى رعاية الديار المصرية ، لم لها نظير ، كم مرة كرر إلى حضرة سر [ص٣٥٢] عسكر "منوا " أنه ينظر إليكم فى كامل الأمور بالخير ، وكام نوبة حضرة منوا المذكور أثبت أن الحكام والجيوش لما أمنوه أعطوه الأمانة فى أحسن محل . وفى حكم سر عسكر "منوا" صار أن كثرة الظلم والجور الذى كان مستثقلينه الرعية قد أبطله ، والعدل الذى كان ممنوع عنكم فى الأحكام السابقة ، قد وصل إليكم بواسطته ، وأيضاً فى مادة حكمه رأيتم أن نقص تحصيل الأموال [والشفقة إلى الرعايا ، ولما كان التزم بسبب الحرب أنه يستبعد عنكم السفر ، كان نادى أنه يترتب تدبير فى تحصيل الأموال] [1] وهذا التدبير يكون فى حد العدل والخير لأهل الديار المصرية ، وكنا نحن صحبته فى تدبير هذا الشغل العمومى ، وأنتم تعرفوا أن خير أو خراب الرعايا من تدبير مثل هذا . وكذلك حضرة سر عسكر "منوا" قبل ما يتوجه إلى السفر بمدة ، كان أمر بمسيح الديار المصرية ، وكان توكل لذلك مدبرين ، ونحن من جملتهم ، والمدبرين المذكورين ، كانوا بدأوا فى تمام هذا الأمر ، الذى هو كنز لكامل الناس ، لكن كل ذلك لم كان يكفى له ، وكان صعبان عليه من أمور الفلت الذى يقع من العربان الذى حواليكم

١- ما بين القوسين غير موجود فى النسخة (أ) وأثبتناه من بقية النسخ .

وأيضاً من الخوف الذى عندكم بسببهم ، وكان في عقله أن يزيلهم من على الأرض لأجل راحة الفلاحين ، ولأجل تمام الخير والصلاح . وكذلك مراده يا مشايخ ويا علما أن مراده يسفر فى هذه السنة الحج الشريف ، ويفتح زيارة طنطة ، لأجل حفظ مقام السيد أحمد البدوى . ويظهر جميع ما تشهدوه ، وكامل ما تمشوا فيه ، من اللازم أنكم تعرفوا [ص٣٥٣] جميع ما صدر لكم من الخيرات بواسطة حكم الفرنساوية ، هذا ورعاية الديار المصرية جربوه بعض منه ، وفى عشمى أنهم لن ينسوه أبداً ، صحيح أن حكم الفرنساوية حقق الكل ، والذى يعجب الأكثر إلى الرعاية بسبب ذلك ذات الفرنساوية قبلوا فيه لأجل منع الظلم والتعب الذى كانوا فيه ، والقرانات فى بلاد الغرب خافوا أن رعايتهم يقبلوا الحكم المذكور ، وبسبب ذلك ارتبطوا مع بعضهم لأجل ما يمنعوه منا ، لكن كل جهاتهم صارت بطاله ، وقد حاربونا حراباً شديدة مدة عشر سنين متوالية وفى جميع المطارح وقعت لهم الهزيمة ، وحكمنا قد بقى محله ، كذلك هو الباقى أبداً دايماً ، فلم يحتاج أننا نعرفكم فى الذى تعرفوه ، ويكفينا الآن أننا نحقق لكم من عند حضرة القنصل الأول فى الجمهور الفرنساوى بونابارتة ، ومن عند حضرة سر عسكر منوا المحبة والشفقة الصادقة الذى واقعة من الفرنساوية إلى الرعايا المصرية ، وهذه المحبة والعشم لم ينقطع أبداً بسبب سفر جانب من الجيش ، وهلبت (١) أن يصادف يوم أننا نرجع إلى عندكم لأجل تمام الخير الذى يصدر من الفرنساوى ، والذى لم أمكننا تتميمه ، فلم تتوهوا يا مشايخ ويا علما ، لأن فراقنا لم يقع إلا عن مدة ، وذلك محقق عندى . ولابد أن دولتنا يربطوا ثانياً فى مدة قريبة المحبة القديمة التى كانت بينهم . وهلبت أن دولة [ص ٣٥٤] العثمنلية لما تسير على الحرف الخالى

١- كلمة "هلبت " هى كلمة عامية تعنى لابد .

الذى عمل لهم الإنكليز ، يروا أن الفرنساوية فى طلبة الديار المصرية لم له إلا يربط بزيادة المحبة صحبتهم ، لأجل كسر نفس وطيش الإنكليز ، الذى مراده نهب جميع البحور ومتاجر الدنيا " انتهى ، وهو من تعريب " أبو ديف " وإنشا "استوف" بالفرنساوى . ولما فرغ من قرايته ، قيل له : إن الأمر لله والملك له ، وهو الذى يمكن منه من يشاء . وانفض الديوان ، وركب المشايخ للسلام على حضرة الصدر الأعظم والقادمين ، فخرجوا من طريق بولاق ، فسلموا وباتوا تلك الليلة بعرضى همايون .

وفى ثانى يوم [(١)] عدوا إلى البر الغربى ، وسلموا على حضرة حسين [(٢)] قبطان باشا ، ورجعوا إلى منازلهم .

وفيه ، أرسل إبراهيم بيك أماناً لأكابر القبط ، فخرجوا أيضاً ، وسلموا ورجعوا إلى دورهم . وأما يعقوب اللعين فإنه خرج بمتاعه وعازقه [(٣)] وعدى إلى الروضة ، وكذلك جمع إليه عسكر القبط ، وهرب الكثير منهم واختفى ، واجتمعت نساؤهم وأهلهم ، وذهبوا إلى قايمقام ، وبكوا وولولوا وترجوه فى إبقايهم عند عيالهم وأولادهم ، فإنهم فقرا وأصحاب صنايع ، ما بين صناع [(٤)] ونجار وبنا وغير ذلك ، فوعدهم أنه يرسل إلى يعقوب أنه لا يقهر منهم من لا يريد الذهاب والسفر معه .

وفيه [ذهب بليار قايمقام وصحبته ثلاثة أنفار من عظما الفرنسيس إلى

١- يوم الثلاثاء ٢٥ صفر ١٢١٦هـ الموافق ٧ يوليو ١٨٠١ م وهو تاريخ اليومية التالية أيضاً
٢- " حسين " غير موجودة فى (أ) فأثبتناها من بقية النسخ .
٣- كلمة "اللعين" حذفها الجبرتى من عجائب الآثار . وكلمة "عازقة " تعنى متاعه وفراشه .
٤- كلمة " صناع " غير موجودة فى النسخة (ب) فأثبتناها من بقية النسخ .

عرضى همايون] [1] [ص ٣٥٥] وقابلوا حضرة الصدر الأعظم ، فأخلع عليهم وكساهم ، ورجعوا .

وفى يوم الأربعا تاسع عشره [2] خرج المسافرون مع الفرنساوية إلى الروضة والجيزة بمتاعهم وحريمهم ، وهم جماعة كثيرة من القبط وتجار الإفرنج والتراجمين ، وبعض مسلمين ممن تداخل معهم في المظالم ، وخشى على نفسه ، ومن ترأس في أيامهم من نصارى الشوام والأروام ، مثل يوسف الحموى وينى وبرطملين ، وعبد العال الأغا أيضاً طلق زوجته ، وصنع له برنيطة وطرزها بالمخيش، وخرج إلى الروضة ، بعدما باع متاعه وفراشه ، وما ثقل عليه حمله من طقم وسلاح وغيره ، فكان يرسل خلف الذى باعه شيئاً من ذلك ، ويلزمه بإحضار ثمنه قهراً ، ولم يصحب معه إلا ما خف حمله ، وغلا ثمنه .

وفيه [3] حضر وكيل الديوان إلى الديوان [4] وأحضر جماعة من التجار ، وباع لهم فرش المجلس بستة وثلاثين ألف نصف فضة ، على ذمة السيد أحمد الزرو .

وفى ذلك اليوم أيضاً ، فتحوا باب الجامع الأزهر ، وشرعوا فى كنسه وتنظيفه .

١- ما بين القوسين غير موجود فى النسخة (أ) فأثبتناها من بقية النسخ .
٢- تبدو هذه اليومية فى غير موضعها إذا صح التاريخ ، ولكن يبدو أن التاريخ قد دون خطأ فى مظهر التقديس ، وكذلك عجائب الآثار ، والصواب يوم الأربعاء سادس عشرين صفر الموافق ٨ يوليو ١٨٠١م ويؤكد ذلك قراءة اليوميات التالية التى شهدت فى هذا اليوم رحيل الفرنسيين وبيع فرش الديوان وكذلك فتح الجامع الأزهر وغير ذلك .
٣- أى فى يوم الأربعاء سادس عشرين صفر ، وهو تاريخ اليوميتين التاليتين أيضاً .
٤- كلمة " الديوان " غير موجودة فى النسخة (ب) لذلك أثبتناها من بقية النسخ .

وأشيع فى ذلك اليوم ، ارتحال الفرنساوية ونزولهم من القلاع ، وتسليمهم الحصون من الغد وقت الزوال .

فلما أصبح الخميس (١) ومضى وقت الزوال ، لم يحصل ذلك ، فاختلفت الروايات ، فمن الناس من يقول ينزلون يوم الجمعة ، ومنهم من يقول أنهم أخذوا مهلة ليوم الاثنين ، وبات الناس على ذلك .

فلما كان آخر الليل ، [ص ٣٥٦] وإذا الناس يسمعون لغط العساكر العثمانية وكلامهم ، ووطئ نعالاتهم ، فنظروا فإذا الفرنساوية قد خرجوا ليلاً بأجمعهم ، وأخلوا القلعة الكبيرة ، وباقى القلاع والحصون والمتاريس ، وذهبوا إلى الروضة والجيزة وقصر العينى ، ولم يبق منهم شبح يلوح بالمدينة وبولاق ومصر العتيقة والأزبكية ، ففرح الناس وهنى بعضهم بعضاً ، وأظهروا الفرح والسرور بدخول المسلمين وخروج الكافرين ، وصاروا يتلقونهم (٢) ويسلمون عليهم ويباركون لقدومهم ، والنساء يلقلقن بألسنتهن عند رؤيتهم فى الأسواق ، ومن الطيقان . وقام فى الناس جلبة وصياح ، وتجمع الصغار والأطفال كعادتهم ، ورفعوا أصواتهم بقولهم : " نصر الله السلطان " ونحو ذلك ، وهؤلاء الداخلون دخلوا من نقب الغريب المنقوب فى السور ، وتسلقوا أيضاً من ناحية العطوف والقرافة . وأما باب النصر والعدوى فهى على حالها مغلوقة ، لم يأذنوا بفتحها

١- يوم الخميس ٢٧ صفر ١٢١٦هـ الموافق ٩ يوليو ١٨٠١م .

٢- يصف الجبرتى موقف الناس من دخول العثمانيين فى عجائب الآثار فيقول "ففرح الناس كعادتهم بالقادمين ، وظنوا فيهم الخير ، وصاروا يتلقونهم " وعلى هذا فإن الناس والجبرتى معهم كانوا مخدوعين بمجئ العثمانيين وظنوا فيهم الخير ، فلما عاين ما فعلوه بعد الفتح غير رأيه فى عجائب الآثار .

خوفاً من تزاحم دخول العساكر المدينة دفعة واحدة ، فيقع فيهم ومنهم الفشل والضرر بالناس . وباب الفتوح مسدود بالبنا .

فلما تضحى النهار [1] حضر "قبى قول" وفتح باب النصر والعدوى ، وأجلس بهما جماعة من الإنكشارية ، ودخل الكثير من العساكر مشاة وركباناً ، أجناساً مختلفة ، ودخلت بلوكات [2] الإنكشارية ، وطافوا بالأسواق ، ووضعوا نشاناتهم ورنكهم على القهاوى [ص٣٥٧] والحوانيت ، وعند ذلك كثر الخبز واللحم والسمن والسيرج بالأسواق ، وكذلك الغلال ، وانحلت الأسعار ، وكثرت الفاكهة مثل العنب والخوخ والبرقوق والبطيخ ، وتعاطى بيع غالبها الأتراك والأرناؤط ، وكذلك كثر وجود اليميش من البندق واللوز والجوز والزبيب والتين والزيتون الرومى .

فلما كان قبيل صلاة الجمعة ، وإذا بجاويشية وعساكر وأغوات ، وتلى ذلك حضرة الصدر الأعظم ، فشق من وسط المدينة ، وتوجه إلى المسجد الحسينى ، فصلى به الجمعة ، وزار المشهد . ودعاه حضرة الشيخ السادات إلى داره المجاورة للمشهد ، فأجابه ودخل معه وجلس ساعة ، ثم توجه إلى الجامع الأزهر ، فطاف بمقصورته وأروقته ، وجلس ساعة لطيفة ، وأنعم على الكناسين والخدمة بدراهم ، وكذلك خدمة المسجد الحسينى . ثم ركب إلى وطاقة بناحية الحلى بشاطئ النيل ، وعملوا فى ذلك الوقت شنك ، وضربوا مدافع كثيرة من العرضى والقلعة ، ودخل قلقات الانكشارية ، وجلسوا بروس العطف والحارات ، وكل طايفة

١- دخل العثمانيون القاهرة فى ليلة الجمعة ودخل بعضهم فى ضحى يوم الجمعة ٢٨ صفر ١٢١٦هـ الموافق ١٠ يوليو ١٨٠١م .

٢- كلمة " بلوكات " غير موجودة فى النسخة (ب) فأثبتناها من بقية النسخ .

عندها بيرق ، ونادوا بالأمان والبيع والشرا ، وكان ذلك اليوم يوم تهنية وسرور ، وزوال هم وشرور (١) وانحاز الفرنساوية إلى جهة قصر العينى والروضة والجيزة ، إلى حد قلعة الناصرية وفم الخليج ، وعليها بنديراتهم .

وفى يوم السبت (٢) دخل القبى قول ، وهو المسمى عند المصريين كتخدا [ص٣٥٨] الإنكشارية ، وشق المدينة .

شهر ربيع الأول ١٢١٦هـ

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الأحد (٣) فيه ركب أغاة الإنكشارية الكبير العثمانى ، وشق المدينة ، وخلفه سليم أغا المصرى ، ودخل الكثير من العساكر والأجناد المصرية ، بمتاعهم وعازقهم وأحمالهم ، وطلبوا البيوت وسكنوها . ودخل محمد باشا ، المرشح لولاية مصر ، وسكن ببيت الهياتم ، بالقرب من مشهد الحنفى ، وأرسل إلى المشايخ وكبار الحارات ، وطلب منهم التعريف عن البيوت الخالية بالأخطاط .

وفى يوم الثلاثا ثالثه (٤) حضر جناب حسين باشا القبطان من الجيزة ،

١- غير الجبرتى رأيه فى عجائب الآثار حيث يرى أن العثمانيين لا يقلوا شراً عن الفرنسيين فيقول " وفى مدة إقامة المشار إليه [يقصد الصدر الأعظم] بساحل الحلى ببولاق خرب عساكره ما قرب منهم من الأبنية والسواقى والمتريز الذى صنعه الفرنساوية من باب الحديد إلى البحر ، وأخذوا ما بذلك من الأفلاق الكثيرة المتهدمة والأخشاب المنجرة المرصوصة فوق المتريز وتحته وفى الخندق فخربوا ذلك فى هذه المدة القليلة ، وذلك لأجل وقود النار والمطابخ .

٢- يوم السبت ٢٩ صفر ١٢١٦هـ الموافق ١١ يوليو ١٨٠١م .

٣- يوم الأحد غرة ربيع الأول ١٢١٦هـ الموافق ١٢ يوليو ١٨٠١ م .

٤- يوم الثلاثاء ٣ ربيع الأول ١٢١٦هـ الموافق ١٤ يوليو ١٨٠١م .

ودخل المدينة وتوجه إلى المشهد الحسينى ، فزاره وذبح به خمس جواميس وسبع كباش ، واقتسمها خدمة الضريح ، وحلّق تاج المقام بأربع شالات كشميرى ، وفرق عليهم وعلى الفقرا نحو ألفين محبوب ذهب إسلامبولى . وامتدحه صاحبنا العلامة، أحد أدباء مصر وفضلايها فى العلوم الأدبية ، الشيخ على الشرنقاشى بقصيدة مطلعها :

بدر المسرة بالمعالى آمناً والوقت من بعد المخاوف آمناً

وهى طويلة يقول فى بيت التاريخ [1] منها :

والصحب ما نادى السرور مؤرخاً "صدر الكمال حسين شرف الهنا"

وقدمها إليه وهو جالس للزيارة ، فأخذ نصيباً من الذهب الذى أعطى للخدمة وقاسمهم . ثم عاد المذكور إلى مخيمه بالجيزة .

وفى [ص ٣٥٩] يوم الأربعا رابعه [2] ارتحل الفرنساوية وأخلوا قصر العينى والروضة والجيزة ، وانحدروا إلى بحرى الوراريق ، وارتحل معهم قبطان باشا ومعظم الإنكليز ، ونحو الخمسة آلاف من عسكر الأرناؤط ، ومن الأمرا المصرلية : عثمان بيك الأشقر ، ومراد بيك الصغير ، وأحمد بيك الكيلارجى [3] وأحمد بيك حسن . فكانت مدة الفرنساوية وتحكمهم بالديار المصرية ثلاث سنوات وإحدى وعشرين يوماً . فإنهم ملكوا بر انبابة والجيزة وكسروا الأمرا المصرية يوم

١- بيت التاريخ هو البيت الذى يحدد تاريخ كتابة القصيدة ويكون ذلك بحساب الجمل وعادة يكون آخر بيت فى القصيدة .

٢- يوم الأربعاء ٤ ربيع الأول ١٢١٦هـ الموافق ١٥ يوليو ١٨٠١م .

٣- الكيلارجى : بمعنى رئيس الكيلار ، والكيلار فى التركية بمعنى مخزن المؤونة ، ويطلق على من يتولى مخزن المؤونة فى الأندرون السلطانى .راجع د/ حسين مجيب المصرى ، مرجع سابق ، ص ١٧٠ .

السبت سابع شهر صفر من سنة ثلاث عشرة ومـاتين وألف ، وكان انتقالهم ونزولهم من القلاع ، وخلو المدينة منهم ، وانخلاعهم عن التصرف والتحكم . ليلة الجمعة الحادى والعشرون من شهر صفر سنة ستة عشر ومـاتين وألف [١] فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتحول سلطانه .

وفى ذلك اليوم حضر السيد عمر أفندى نقيب الأشراف ، وصحبته الخواجا السيد أحمد المحروقى شاه بندر التجار بمصر ، وعليهما خلعتان سمور ، وتوجها إلى دورهما .

وفيه [٢] نبهوا على موكب حضرة الصدر الأعظم من الغد .

فلما أصبح يوم الخميس خامسه [٣] اجتمع الناس من جميع الطوايف وساير الأجناس وهرع الناس للفرجة ، وخرجت البنت من خدرها ، واكتروا الدور المطلة على الشارع بأعلى الأثمان ، وجلس الناس على السقايف والحوانيت صفوفاً ، وانجر الموكب من أول [ص ٣٦٠] النهار إلى قريب الظهر ، ودخل من باب النصر ، وشق من وسط المدينة ، وأمامه العساكر[المختلفة من الأرناؤط،

١- المؤلف يتحدث عن مدة تحكم الفرنسيين فى القاهرة فقط ، وتبدأ من يوم السبت ٧ صفر ١٢١٣هـ الموافق ٢١ يوليو ١٧٩٨م ، وتنتهى بيوم الجمعة ٢١ صفر ١٢١٦هـ الموافق ٣ يوليو ١٨٠١م ، وهذه المدة هى ٣ سنوات و١٤ يوماً وليس ٢١ يوماً كما يذكر الجبرتى وذلك بحساب السنة الهجرية ، أما بحساب السنة الميلادية فهذه المدة هى ٣سنوات إلا ١٨ يوماً وأما مدة بقاءهم في مصر من يوم نزولهم الأسكندرية فى يوم الثلاثاء ١٩ المحرم ١٢١٣هـ الموافق ٣ يوليو ١٧٩٨م وحتى استسلام مينو فى يوم السبت ٢٠ ربيع الأخر ١٢١٦هـ الموافق ٣١ أغسطس ١٨٠١م فهى ٣ سنوات هجرية و٣ شهور ويوماً واحداً ، أو ثلاث سنوات ميلادية وشهر واحداً و٢٨ يوماً .

٢- أى فى يوم الأربعاء ربيع الأول ١٢١٦هـ .

٣- يوم الخميس ٥ ربيع الأول ١٢١٦هـ الموافق ١٦ يوليو ١٨٠١م .

وأُرْط الإنكشارية ، والعساكر] (١) الشامية ، والأمرا المصرلية ، والمغاربة والفليونجية ،، والباشاوات الأجطخلية ، والكتبة ورؤسا الكتاب ، وأرباب الدولة (٢) والأغوات الكبار ، بالطبول والنقرزانات (٣) وكذلك قاضى العساكر المنصورة ، والعلما المصرية ، ومشايخ التكايا والدراويش . وأقبل حضرة الصدر الأعظم ، وأمامه الملازمون بالبراقع ، والجاويشية والسعاة والجوخدارية ، ويبدرون الدراهم عن اليمين والشمال ، على المتفرجين من الرجال والنساء . وخلفه أيضاً العدة الوافرة من أكابر أتباعه ، وبعدهم الكثير من عسكر الأرناؤط ، وموكب الخازندار ، وخلفه النوبة التركية المختصة به ، ثم المدافع وعربيات الجبخانة . وعملوا وقت الموكب شنك ضربوا فيه مدافع كثيرة .

وكان ذلك اليوم يوماً عظيماً (٤) مشهوداً ، وموسماً وبهجة وعيداً ، عمَّت المسلمين فيه المسرات ، ونزلت فى قلوب الكافرين الحسرات ، وزفت البشاير ، وقرَّت النواظر ، وأوقدت المنارات ، سبع ليل متواليات ، فلله الحمد والمنة ، على هذه النعمة ، ونرجو من فضله أن يصلح منا فساد القلوب ، ويوفق أولى الأمر للخير والعدل المرغوب والمطلوب ، ويلهمهم سلوك سواء السبيل القويم ، ويهديهم [ص ٣٦١] الصراط المستقيم .

١- ما بين القوسين غير موجود فى النسخة (ب) فأثبتناه من النسخة (أ) ، (جـ) .
٢- فى النسخة (ب) " أرباب الديوان " .
٣- النقرزان : نوع كبير من الطبول ، وفى النسخة (ب) " بالطبول والزمور " ولكن الصواب ما أثبتناه .
٤- كلمة "عظيما " غير موجودة فى النسخة (أ) فأثبتناها من بقية النسخ .

قال صاحبنا المشار إليه : (١) وقدم بصحبة عرضى همايون ، شموس الدولة عثمانية الطالعة أنوارها فى سماء الأفاق ، ورؤس رجالها الذين هم خلاصة عالم في العقل والتدبير والسياسة باتفاق .

"شعر"

كل صدر إذا تصدر يوماً شهـــدت كل أمة بعلاه

فأولهم واسطة عقدهم ، وسما مجدهم ، ومرجع نواهيهم وأوامرهم ، وقطب واردهم ومصادرهم ، غرة الزمان ، بهجة الأوان ، المتزينة بوجوده حلل الأيام ، لغترفة من بحر جوده جميع الأنام ، مولانا الصدر الأعظم ، والملاذ الأفخم ، وزير الكبير ، والبدر المنير ، والروض النضير ، والعلم الشهير ، المحلاة باسمه يباجة الكتاب ، جعله حيثما توجه مظفراً غلاب . ثم لسدته أهدى هذه القصيدة ، شكراً لمواهبه وفضايله العتيدة (٢)

- هذه اليومية كاملة محذوفة من عجائب الآثار حيث احتوت نثراً وشعر للمؤلف وصاحبه الشيخ حسن العطار فى مدح الوزير ورجالات الدولة العثمانية ، وقد اكتفى الجبرتى فى عجائب الآثار بذكر اسمائهم مجردة ، وحذف بذلك ٤ صفحات من المدح دونها هنا .

٢- الكلام هنا للمؤلف وليس للشيخ حسن العطار الذى انتهى كلامه ببيت الشعر السابق ، والقصيدة التالية لمؤرخنا الشيخ عبد الرحمن الجبرتى ، وقد وعدنا بها عندما علق على قصيدة السيد على الصيرفى التى مدح فيها أحمد باشا الجزار بعد فشل بونابرت فى فتح عكا . وهذه القصيدة من بحر الخفيف وعلى وزن قصيدة الصيرفى رغبة من الجبرتى فى إظهار " الفرق بين أرباب الألباب " والحق أن الفارق بين القصيدتين شاسع ، فلا نجد فى قصيدة الجبرتى تلك الأخطاء التى أخذها على الصيرفى والتى علقنا عليها فيما سبق كما أن قصيدة الجبرتى تبدو متسقة متزنة جيدة البناء مضبوطة القافية سليمة اللغة باستثناء قليل من الكلمات التى غلب عليها الأسلوب العامى .

إنما العز فى متون الجياد ... مع بيض الظبا وسمر الصعادِ (١)

واصطدام النوى بصارم عزم ... واقتحام الهيجا وقت اشتدادِ

وعلى قدر همة المرء يرقى ... فى المعالى وينثنى بالمرادِ

خلق الله للحروب رجالاً (٢) ... ورجالاً لمكتب ومدادِ

وإذا ما هما أضيفا لشخص (٣) ... فهو ذاك الفريد فى الأمجادِ

وصعاب الأمور إن حلها العضـ ... ـل وجاشت منها نفوس العبادِ

فلها من سما العزايم بدر ... يمح عن وجهها شنيع السوادِ

وصياصى الحصون يشتاقها ... السيف(٤)لهذا يئن فى الأغمادِ

والليالى على الحوادث تطوى ... ثم تبدو منها على التعدادِ

وإذا أدرك اللبيب قصارى ... كل خطب يهون باستعدادِ [ص٣٦٢]

أين للمرء لو أراد مفر ... وسهام الخطوب بالمرصادِ

وقصارى أمر الأنام ممات ... بعد عيش يشاب بالأنكادِ

لا رعى الله ما مضى من زمان ... فيه سادت أسافل الأوغادِ

واستبدت بملك مصر الفرنسيـ ... ـس وعاثوا فيها بكل فسادِ

حل فيها منهم شياطين أنس ... هم بقايا الهلاك من قوم عادِ

١- متون الجياد أى ظهور الخيل ، والظبا جمع ظبة وهى السيف ، والصعاد جمع صعيدة وهى الرمح .

٢- فى النسخة (ب) "خلق الله للرجال حروباً " وما أثبتناه من النسخ الأخرى هو الصواب ، ولكن محققى وزارة التربية والتعليم وقعوا فى هذا الخطأ لأنهم لم يقارنوا النص ببقية النسخ .

٣- المقصود بهما الصفة العسكرية والصفة الأدبية التى أشار إليها فى البيت السابق

٤- كلمة "السيف " فى النسخة (أ) جاء فى الشطر الأول من البيت ، وفى النسخة (ب) فى الشطر الثانى ، والصواب أنهما فى الشطر الأول ما عدا حرف "الفاء" فى الشطر الثانى وذلك لاستقامة تفعيلة البحر الذى يسير عليه المؤلف وهو بحر الخفيف

شوهوا حسنها بأسود كفر ... حين جاءوا بجيش كالجرادِ

واستباحوا الأموال والدم والعرض[1] ... وجاءوا بالخسر والإلحادِ

ثم زالوا عنها سريعاً وبادوا ... وعليهم خزى المخاوف بادى

بقدوم الوزير دام علاه ... مقدم الغيث حل محل البلادِ

فاكتست مصر بهجة وسناء[2] ... وأماطت عنها ثياب الحدادِ

وأعيدت لها معالم أنس ... هى فى الدهر مطلب المرتادِ

أيد الله نصره وحباه ... كل ما يبتغيه بالإسعادِ

فهو غيث فيه نعيم وبؤس ... ينتحى فيها سبيل الرشادِ

وملاذ فى كل خطب مريع ... وعماد للدين أى عمادِ !

أرهب الكفر جيشه فلهذا ... جنحوا للوفاق خوف العنادِ

وتراضوا بما قضاه عليهم ... من شنيع الإصدار والإيرادِ

وتجلى عن مصر منهم سحاب ... ممطر للعذاب فى كل وادِ

أصبحوا بين هالك وجريح ... وأسير وشارد ومفادى

نعمة للإله حلت علينا ... فتوح يعزى لهذا الجوادِ[3]

قاد جيشاً هم الأسود ولكن ... فضلوا بالعقول عن آسادِ

وسرى والنصر المبين إمام ... يسبق الرعب فى قلوب الأعادى

مخلص للإله فى بيع نفس ... يبتغى الأجر فى نفيس الجهادِ

فوقاه الإله كل خوف ... وحباه بلوغ كل مرادِ

١- كلمة "العرض" جاءت فى الشطر الثانى من البيت ، والصواب أن الألف واللام منها توضع فى الشطر الأول وباقى الكلمة فى الشطر الثانى .

٢- فى النسخة (ب) "ونساء" وهو خطأ من الناسخ .

٣- الصواب " بفتوح تعزى " أى تنسب ، وهو هنا ينسب نعمة الفتح للوزير .

ومنهم المولى المخدوم بعزايم الدهر ، المقترنة طلعته الغرا بسواطع الظفر والنصر ، المحفوف بالعنايات الربانية ، الملاحظ بالرعايات الصمدانية ، الوزير المعظم ، والكبير المفخم ، [ص ٣٦٣] إبراهيم باشا والى حلب ، حباه الله من الأمانى ما طلب وأحب .

ومنهم البدر الراقى فى سما الرياسة ، والنجم الذى يُهتدى به لمعالم السياسة ، نتيجة قياس المعالى ، دوحة المجد التى تفتخر به الأيام والليالى ، حضرة إبراهيم باشا شيخ أوغلى ، لازال ثغر الزمان باسماً بوجوده ، وسواجع الشكر مطوقة (١) بإحسانه وجوده .

ومنهم الليث المقدام ، والشجاع الصمصام (٢) الطالعة سيوفه فى ديجور الحروب مطالع النجوم ، هازم جيوش شياطين الكفر حين جُعلت لها شهب نجوم بنادقة رجوم (٣) حضرة طاهر باشا أعلى الله مقامه سرمداً ، وأكمد به نفوس العدا .

ومنهم قطب راحات الحروب إذا دارت ، ومفرج كروب الهيجا إذا أبطالها دهشت وحارت ، صاحب السيف والقلم ، معدن الفضل والحكم ، حضرة السيد محمد باشا والى القدس الشريف وغزة بل ومصر المحروسة (٤) لا زالت مراتب السيادة بطلعته مأنوسة ، وبلغه الله أمانيه ، وشكر فى الدارين مساعيه .

١- فى النسخة (ب) "مطلوقة " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .
٢- قيل أن النعمان بن المنذر كان له سيفاً يدعى "الصمصام" ، ثم أصبحت الكلمة بعد ذلك اسماً من أسماء السيف كالمهند والحسام ، وغير ذلك .
٣- يقصد أن نيران البنادق كانت رجوماً لشياطين الكفر أى الفرنسيين .
٤- فى عجائب الآثار يدعوه الجبرتى "محمد باشا أبو مرق " .

ومنهم الجليل المهاب ، النبيل الذى هو فى جميع أفعاله مثاب ، جامع محاسن الكتاب ، قطب رؤسا الحساب ، وهو الملاذ الأفخم ، والسابق فى حلبة الفضل المقدم ، حضرة خليل أفندى الرجائى دفتردار الدولة ، أدام الله له الوجاهة والصولة ، وحقق رجاه ، وبلغه مناه .

ومنهم تاج أرباب الفضايل ، عماد مجد الأكابر والأماثل ، فريد [ص ٣٦٤] العلا ، مؤمل الملا ، الصدر الرئيس ، واسطة عقد الفخار النفيس ، محمود افندى رئيس الكتاب ، أفاض الله عليه الحكمة وفصل الخطاب ، ولا زال مصدراً لكل فضيلة ، حاوياً من الشرف قليلة وجليله .

ومنهم رب السيادة والسعادة ، صاحب الآراء والأفهام المستجادة ، حضرة شريف أغا نزلة أمينى أحسن الله أفعاله ، وسدد بالصواب أقواله .

ومنهم بهجة الصدور ، الآخذ من العلوم والمعارف بحظ موفور ، المنفرد بالأخلاق الجميلة والسعى المشكور ، حضرة محمد أغا جبجى باشا الشهير بتوسون ، وقاه الله ريب المنون . وغير هؤلاء الكثير من الأكابر والأعيان ، ورؤسا الديوان ، وحكام الوجاقات ، وأمرا ألوف البلوكات [1] مثل أغاة الإنكشارية ، وقبى قول وأكابر الأرناؤطية ، وأمرا التفكجية والدلاتية والجوربجية ، وباقى أرباب المناصب والعساكر الإسلامية . ووقع الاختيار بأن يكون الباب الأكرم ، وسكن الصدر الأعظم بحارة عابدين ، وكذلك أفردت أماكن لسكن الوزرا[2] والأعيان تليق بهم ، ومساكن لأمرايهم وأتباعهم بالقرب منهم ، فى جهات مختلفة .

١- فى النسخة (ب) " البلكان " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ ، والبلوك لفظ تركى أصله " بولوك " ومعناه القطعة والقسم ومن الناس طائفة والزمرة ، ثم خص فى الجيش بعدد معروف فهو من الرجالة ١٠٠جند ويرأسه يوزباشى وبلوك الفرسان أقل عدداً ، راجع أحمد تيمور : الرتب والألقاب ، مرجع سابق ص ٤٨ .

٢- فى النسخة (ب) " الوزارى " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

وفى يوم الأحد [١] سافر هجان إلى جهة الحجاز ، وصحبته فرمان بخبر الفتح والنصر ، وارتحال الفرنسيس وجلاهم من أرض مصر ، ومكاتبات من التجار لشركايهم بإرسال البن والبضايع والمتاجر إلى مصر . [ص ٣٦٥]

وفيه ، نودى بعدم التعرض بالإيذاء لنصرانى أو يهودى ، سوا كان قبطياً أو رومياً أو شامياً ، فإنهم رعايا السلطان ، والماضى لا يعاد . والعجب أن بعض نصارى الأروام الذين كانوا بعسكر الفرنسيس ، تزيوا بزى العثمانية ، وتسلحوا بالأسلحة واليطقانات [٢] ودخلوا فيهم ، وشمخوا بآنافهم ، وتعرضوا بالإيذاء للمسلمين فى الطرقات ، بالضرب والسب باللغة التركية ، ويقولون فى ضمن سبهم المسلم : " فرنسيس كافر " ولا يميزهم إلا الفطن الحاذق ، أو يكون له بهم معرفة سابقة .

وفى يوم الاثنين [٣] قتل شخصان بالرميلة ، وهما حجاج وأخوة ، كانا متوليين الأحكام ببولاق أيام الفرنسيس ، ووقع منهما جور وظلم وعسف ، وكثر التشكى منهما فقتلا .

وفيه ، ركب حضرة الصدر الأعظم [٤] ، بثياب التخفيف ، وشق المدينة ،

١- يوم الأحد ٨ ربيع الأول ١٢١٦هـ الموافق ١٩ يوليو ١٨٠١م . وقبل هذه اليومية هناك يومية محذوفة من مظهر التقديس ، دونها الجبرتى فى عجائب الآثار بتاريخ يوم الثلاثاء ٣ ربيع الأول و الجمعة ٦ ربيع الأول ، وهى تدين العسكر بسوء معاملة الأهالى بالإضافة إلى يوميات أخرى متنوعة .

٢- الياطقان : من أنواع السيوف التى استخدمت فى تركيا العثمانية وفى البلدان الأوربية التى خضعت للعثمانيين فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، كما استخدم فى الهند فى تاريخ معاصر تقريباً ، د/ حسين عليوه : الأسلحة الإسلامية ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ٦ – ٨

٣- الاثنين ٩ ربيع الأول ١٢١٦هـ الموافق ٢٠ يوليو ١٨٠١م .

٤- كلمة " الأعظم " غير موجودة فى النسخة (ب) فأثبتناها من بقية النسخ .

يتأمل فى الأسواق ، وأمر بمنع العسكر من الجلوس على حوانيت الباعة وأرباب الصنايع ، ومشاركتهم فى أرزاقهم . ثم توجه إلى المشهد الحسينى ، فزارة ، ثم عبر إلى دار [1]السيد أحمد المحروقى التاجر ، فزاره وشرفه ثم كرّ راجعاً لبيته [2]

وفى يوم الثلاثا [3] حضر قاصد من الباب الأعلى ، وعلى يده شالات شريفة لحضرة الصدر الأعظم ، وهدية وجواب عن حلول ركابه بلبيس .

وفيه ، نودى بتزيين الأسواق من الغد تعظيماً ليوم المولد النبوى الشريف .

فلما أصبح يوم الأربعا [4] كررت المناداة والأمر بالكنس والرش ، فحصل الاعتنا ، وبذل الناس جهدهم ، وزينوا [ص ٣٦٦] حوانيتهم بالشقق الحرير والزردخانات [5] والتفاصيل الهندية . وركب حضرة المشار إليه عصر ذلك اليوم وشق المدينة ، وشاهد الشوارع .

وعند المسا ، أوقدوا المصابيح والشموع ومنارات المساجد ، وحصل الجمع بتكية الكلشنى [6] على العادة ، وتردد الناس ليلاً للفرجة ، وعملوا مغانى ومزامير

١- فى النسخة (ب) "ثم دخل لدار " والأصوب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٢- فى عجائب الآثار يضيف الجبرتى على هذه اليومية ما نصه " وشرفه بدخوله إليه فجلس ساعة ثم ركب وأعطى أتباعه عشرين ديناراً ، وذكر له أنه إنما قصد بحضوره إليه تشريفة وتشريف أقرانه ، وتكون له منقبة وذلك على ممر الأزمان . وأما العسكر فلم يمتثلوا ذلك الأمر إلا أياماً قليلة ، ووقع بسبب ذلك شكاوى ومشاكلات ومرافعات عند العظماء " .

٣- يوم الثلاثاء ١٠ ربيع الأول ١٢١٦هـ الموافق ٢١ يوليو ١٨٠١م .

٤- يوم الأربعاء ١١ ربيع الأول ١٢١٦هـ الموافق ٢٢ يوليو ١٨٠١م .

٥- فى النسخة (ب) "الزرخان " وهو قماش ذو ألوان متداخلة ومتموجة .

٦- فى النسخة (ب) " الشكلنى" والصواب "الكلشنى" أو الجلشنى ، وهى تكية بجوار جامع المؤيد بباب الخلق أنشأها الشيخ إبراهيم الجلشنى سنة ١٤٨٥م . راجع على مبارك . مصدر سابق .

وقراءة قرآن ، وضجت الصغار فى الأسواق ، وعم ذلك ساير أخطاط المدينة العامرة ، ومصر وبولاق ، وكان من المعتاد القديم أن لا يعتنى بذلك إلا بجهة الأزبكية - حيث سكن الشيخ البكرى ، لأن عمل المولد من وظايفه - وبولاق فقط .

وفى يوم الخميس ثانى عشره (١) سافر سليمان أغا تابع صالح بيك ، وصحبته عدة هجانة ، إلى ناحية الشام ، لإحضار المحمل الشريف وحريمات الأمرا إلى مصر (٢)

وفى يوم الجمعة (٣) ركب المشار إليه ، وحضر إلى الجامع الأزهر ، فصلى به الجمعة ، وأخلع على الخطيب فراجية .

وفى سادس عشرينه (٤) حضر عثمان بيك البرديسى ، وصحبته عدة من عسكر الإنكليز الذين حضروا من ناحية القلزم على القصير ، فانحازوا مع أصحابهم بالجيزة ، وهم على أشكال مختلفة ، وفيهم كثير من الحبوش والهنود المختلفة الأديان والملابس والصور والأوضاع ، حتى أن فيهم فرقة تركب الثيران .

وفيه ، أخلع على محمد أغا تابع قاسم بيك موسقوا ، وتقلد والى [ص٣٦٧] مصر عوضاً عن على أغا الشعراوى .

١- يوم الخميس ١٢ ربيع الأول ١٢١٦هـ الموافق ٢٣ يوليو ١٨٠١ م .

٢- فى عجائب الآثار توجد ثلاث يوميات خاصة بيوم الخميس ١٢ ربيع الأول لم يدون منها الجبرتى سوى هذه اليومية فى مظهر التقديس ، وحذف اثنتان إحداهما خاصة بمزاد المكوس والاعشار والأخرى خاصة بقضية مملوك الشيخ البكرى .

٣- يوم الجمعة ١٣ ربيع الأول ١٢١٦هـ الموافق ٢٤ يوليو ١٨٠١م .

٤- يوم الخميس ٢٦ ربيع الأول ١٢١٦هـ الموافق ٦ أغسطس ١٨٠١م وهذه اليومية غير موجودة فى عجائب الآثار ، بينما هناك ثلاث يوميات دونها الجبرتى فى عجائب الآثار وهى غير موجودة فى مظهر التقديس ، وهى خاصة بمظالم العثمانيين ونهبهم الأموال والمتاع ، وإحداهن خاصة باحتراق جامع قايتباى .

وفى يوم السبت ثامن عشرينه [1] الموافق لثالث مسرى القبطى ، كان وفا النيل المبارك ، وركب محمد باشا والى القدس وغزة ، فى صبح يوم الأحد إلى قنطرة السد ، وفتح الخليج بحضرته ، وفرق العوايد وأخلع الخلع ، ونثر الذهب والفضة ، وذلك من قراين ولايته مصر [2]

شهر ربيع الثانى ١٢١٦هـ

واستهل شهر ربيع الثانى [3] فى يوم الجمعة حادى عشره [4] لبس الوجاقلية المصرلية زيّهم من القواويق المختلفة الأشكال على عادتهم القديمة ، حسب الأمر لهم بذلك ، وحضروا بالديوان العالى .

وفى يوم الاثنين [5] وصل سليمان أغا إلى بركة الحاج ، وصحبته المحمل ونسا الأمرا القادمين من الشام ، فنودى فى عصر ذلك اليوم بعمل موكب المحمل من الغد . وطاف آلاى جاويش بزيه المعتاد وخلفه القايقجية ، وهم ينادون بقولهم " يارن آلاى" .

١- يوم السبت ٢٨ ربيع الأول ١٢١٦هـ الموافق ٨ أغسطس ١٨٠١م والموافق ٣ مسرى ١٥١٧ قبطية ، ويذكر مختار باشا فى التوفيقات الإلهامية أن وفاء النيل فى هذا العام كان يوم ١٣ مسرى .

٢- إلى هنا انتهت يوميات شهر ربيع الأول ١٢١٦هـ ، ولكن فى عجائب الآثار أضاف الجبرتى ٩ يوميات كلها خاصة بمشاغبات الجنود العثمانيين ونهبهم الأموال وتسلطهم على الناس وغير ذلك .

٣- استهل شهر ربيع الآخر ١٢١٦هـ بيوم الثلاثاء ١١ أغسطس ١٨٠١م .

٤- يوم الجمعة ١١ ربيع الآخر ١٢١٦هـ الموافق ٢١ أغسطس ١٨٠١م .

٥- يوم الاثنين ١٤ ربيع الآخر ١٢١٦هـ الموافق ٢٤ أغسطس ١٨٠١م .

وقبل هذه اليوميةتوجد ١٩ يومية ذكرت فى عجائب الآثار وغير موجودة فى مظهر التقديس ومعظمها خاص بالعثمانيين ووزيرهم وجنودهم وما أشاعوه من سلب ونهب .

وانجر الموكب فى صبح ثانى يوم (١) ودخل المحمل من باب النصر ، وشقوا به شوارع المدينة حكم عادته . وصادف ذلك اليوم مولد الحسين والأسواق مزينة . فصعدوا به إلى القلعة ، وتسلمه محمد باشا ، وعملت الوقدة والشنك تلك الليلة .

وفى سادس عشرينه (٢) قدم نادرة الدهر ، وغرة وجه العصر ، شمس الدولة وبدرها ، ومن يدور عليه نهيها وأمرها ، دفتر كمال الأوايل والأواخر ، ناظم ما انتثر من الفضايل والمآثر ، صاحب [ص ٣٦٨] الطلعة البهية ، والهمة العلية ، رحيب النادى عند وفور الحاجات ، مجيب المنادى فى المهمات ، خلاصة السلالة الهاشمية ، وطراز حلة الفخار النبوية ، فرع دوحة الشرف الزكية النما ، التى أصلها ثابت وفرعها فى السما ، عظيم قدر لا يضاهى ، وسباق غاية مجد لا يباهى .

شعر

وكيف تضاهى أهل بيت قد انتموا   لسبط رسول الله أشرف مرسل

ذو الحسب السنى ، والنسب العلى ، المتحف برعاية المولى المعيد المبدى ، مولانا محمد شريف أفندى شرف الله قدره ، وأشاع بطيب الثنا ذكره ، ولا زالت أيامه أعياداً ومواسم ، وثغور الأقطار بتدبير أقلامه بواسم ، وهو من حسنات الدولة العلية ، التى خصت بها مصر المحمية ، فكان كالطبيب الذى تم به العلاج ، وقام به سوق الفضايل فيها وراج ، ومن التفاؤل بيمن قدومه ، وانطوا الخيرات فى منشور مرسومه ، أن قدم فى شهر ربيع ، فكان الزمان كله ربيعاً ، وكأنه الغيث صار به القطر خصباً مريعاً ، كما قيل :

١- الثلاثاء ١٥ ربيع الآخر ١٢١٦هـ الموافق ٢٥ أغسطس ١٨٠١م .

٢ - يوم السبت ٢٦ ربيع الآخر ١٢١٦هـ الموافق ٥ سبتمبر ١٨٠١م وهذه اليومية الطويلة اختصرها الجبرتى فى عجائب الآثار إلى ثلاث سطور يخبر فيها بوصول محمد أفندى شريف وعثمان كتخدا ومحل سكنهما .

الجوهر الفرد من معنا منتثر والمندل الرطب فى رباه منتشر
كل الشهور ربيع عند مقدمه وكل شهر ســـوى أيامه صفر

ولما أن أجرى الله على يديه الخير الجم ، وفاض معروفه على كل قاصد وعم ، اجتمعت القلوب على محبته ، واتفقت الألسن على حسن سيرته .

" شعر " [ص ٣٦٩]

وإذا أحـــب الله يوماً عبده ألقى عليـــــه محـــبة الناس

وقدم بصحبته أيضاً رب البلاغة والبراعة ، ومعدن العلوم التى هى لثاقب فكره منقادة مطواعة ، المضيئة أراؤه عند كل معضلة إضاءة البدور ، الصدر الذى تتزين به المحافل والصدور ، حضرة عثمان كتخداى حرس الله مجده ، وأدام عزه وسعده . وسكن حضرة الدفتردار بدرب الجماميز ، وسكن حضرة الكتخداى بسويقة اللالا ، بمنزل حسن أغا محرم متولى الحسبة فى مدة الفرنسيس .

وفى غايته [1] عمل شنك مدافع كثيرة ، وذلك لوصول خبر إنقضا الحرب ، وتسليم الأسكندرية صلحاً .

شهر جمادى الأولى ١٢١٦هـ

استهل بيوم الخميس [2] فيه قريت فرمانات حضرت بصحبة المشار إليهما .

١–يوم الأربعاء ٣٠ ربيع الآخر ١٢١٦هـ الموافق ٩ سبتمبر ١٨٠١م وفى طبعة وزارة التربية والتعليم ذكر المحققون أن غايته توافق يوم السبت ، وهو خطأ بين وفى" التوفيقات الإلهامية " أن غايته يوم الثلاثاء .

٢– يذكر مختار باشا فى التوفيقات الإلهامية أن شهر جمادى الأولى سنة ١٢١٦هـ قد استهل بيوم الأربعاء ٩ سبتمبر ١٨٠١م وقد سبق أن نوهنا إلى أننا سنسير على حساب الجبرتى على أساس أنه ربما تكون رؤيا الهلال لم تثبت فى ذلك اليوم فأتموا ربيع الآخر إلى ثلاثين يوماً وبذلك فإنه طبقاً للجبرتى ، فإن يوم الخميس غرة جمادى الأولى ١٢١٦هـ الموافق ١٠ سبتمبر ١٨٠١م

وفيه ، انفصل مولانا السيد محمد الشهير بقدسى أفندى عن القضا ، وسافر ذلك اليوم ، وتقلد القضا عوضاً عنه حضرة عبد الله افندى كاتب الميرى ، وحضر فى ذلك اليوم إلى المحكمة . (١)

وفى يوم الاثنين (٢) نودى بالزينة ثلاثة أيام أولها الأربعا ، وآخرها الجمعة تاسعه (٣) فزينت المدينة وعملت الوقدات بالأسواق ، والمغانى والآلات ، والسهر بالليل فى الحوانيت ، وتردد الناس للفرجة ليلاً ونهاراً ، وكل ليلة يعمل شنك نفوط وسواريخ بارود ، ببركة الفرايين المطل عليها بيت المشار إليه ، [ص ٣٧٠] جهة باب اللوق .

وفى ثانى عشره (٤) وقع من العساكر عربدة بالأسواق ، وانزعجت الناس ، ورفعوا متاعهم من الحوانيت ، وأغلق بعض الجهات ، فحضر أكابر العسكر فكفوهم ، وراق الحال من غير حصول ضرر كثير .

وفيه ورد الخبر بتولية محمد باشا خسرو باشوية مصر ، وهو كتخدا قبطان باشا ، فألبس حضرة المشار إليه وكيله خلعة عوضاً عنه ، وأشيع عزل محمد باشا الغزى وسفره .

١- الحقيقة أن يوم حضوره إلى المحكمة كان يوم السبت ٣ جمادى الأولى ١٢١٦هـ الموافق ١٢ سبتمبر ١٨٠١م . ونص وثيقة تقليده هو " لما كان فى اليوم المبارك الموافق لثالث شهر جماد أول سنة ستة عشر ومائتين وألف ، حل فيه ركاب سيدنا ومولانا فخر قضاة الإسلام، كمال بلغا الأنام ، سلالة آل بنى عبد مناف الفخام ، الواثق بلطف ربه المعيد المبدى ، مولانا السيد الشريف عبد الله رامز أفندى ، المولى شأن مصر المحروسة ممن له ولاية الأمر زاده الله عزاً وإجلالاً آمين آمين آمين " . سجل ١٣٠ بمحكمة القسمة العربية ، ص ٣٢٥ ، وثيقة ٤٤٠ .

٢- يوم الاثنين ٥ جمادى الأولى ١٢١٦هـ الموافق ١٤ سبتمبر ١٨٠١م .

٣- يوم الجمعة ٩ جمادى الأولى ١٢١٦هـ الموافق ١٨ سبتمبر ١٨٠١م .

٤- يوم الاثنين ١٢ جمادى الأولى ١٢١٦هـ الموافق ٢١ سبتمبر ١٨٠١م .

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه (١) وردت مكاتبة من حضرة قبطان باشا بطلب عثمان بيك المرادى ، وعثمان بيك البرديسى وإبراهيم السنارى وآخرون . فسافروا في يوم السبت رابع عشرينه .

وفى ذلك اليوم ، قتل رجل يسمى مصطفى الصيرفى بخط الصاغة ، وسبب ذلك أنه كان يتداخل فى النصارى ، وتولى أمر فردة الصاغة والجواهرجية وسوق السلاح . وتجاهر بأمور نقمت عليه ، فكثرت فيه الشكاوى ، فحبس أياماً ، ثم قتل صبرا (٢) بأمر حضرة المشار إليه عند حانوته ، وبقى مرمياً ثلاثة ليالى ، وكان أصله إسرائلياً وأسلم .

وفى غايته (٣) قتل شخص بسوق السلاح من ناحية المنصورة (٤)

مجمل يوميات شهر جمادى الأولى

وانقضى هذا الشهر وحوادثه ؛ ومنها زيادة النيل زيادة مفرطة عن عام أول، حتى غطى الذراع [ص ٣٧١] الذى زاده الفرنسيس ، على عامود المقياس ، ودخل الماء بيوت الجيزة ومصر القديمة ، وغرقت الروضة ، ولم يقع فى هذا النيل

١- يوم الخميس ٢٢ جمادى الأولى١٢١٦هـ الموافق-أول أكتوبر ١٨٠١م .
٢- فى عجائب الآثار يذكر الجبرتى أنهم قطعوا رأسه تحت داره بخط الصاغة .
٣- حسب التقويم الذى يسير عليه الجبرتى فإن غاية جمادى الأولى ثلاثينه توافق يوم الجمعة ٩ أكتوبر ١٨٠١م وإن كان مختار باشا يذكر أن يوم الخميس هو الذى يوافق ٣٠ جمادى الأولى ١٢١٦هـ / وهو يوافق ٨ أكتوبر .
٤- أورد الجبرتى ٩ يوميات لهذا الشهر ، لكنه أورد ١٥ يومية لنفس الشهر فى عجائب الآثار، كما عدل كثيراً فى صياغة اليوميات النهائية بحيث أصبحت جميعها هجوماً على العثمانيين، وأفعالهم .

للناس حظوظ، ولا نزاهة كعادتهم في البرك والخلجان والمراكب ، وذلك لاشتغال الناس وخوفهم من العسكر وعدم المراكب ، وتخريب الفرنسيس محلات النزهة ، مثل الأزبكية وبركة الرطلي وخلافها ، وتقطيع أشجار المقاصف التي كانت تجلس عندها أهل الخلاعة والمجون والقهاوى ، مثل دهليز الملك ، والجسر والرصيف والكازروني والمغربي ، وناحية قنطرة السد ، وقصر العيني وغير ذلك .

ومنها أن الجسر الكبير المنصوب من الروضة إلى الجيزة تفكك من شدة الماء وقوته ، فتحللت رباطاته ، وانتزعت مراسيه ، وانتشرت أخشابه ، وتفرقت سفنه ، وانحدرت إلى بحرى (١)

شهر جمادى الآخرة ١٢١٦هـ (٢)

واستهل ، شهر جمادى الثاني بيوم السبت (٣) وفي ليلة الأحد ثانيه ، حصلت زلزلة في ثالث ساعة من الليل (٤)

وفيه قطعوا رأس مصطفى المقدم المعروف بالطاراتي ، بباب الشعرية ، وذلك بعد حبسه أياماً عديدة ، وضربه وعقابه . وكان أولاً مقدماً عند قايد أغا ، فلما تملكت الفرنسيس خدم عند بونابارتة ، ثم من بعده عند كلهبر ، ثم خدم يعقوب حين تولي أمر الفردة ، ووقع منه ما وقع في ذلك الوقت ، كما تقدم شرحه .

١- هنا يورد الجبرتي يوميتين مجملتين فقط لهذا الشهر ، بينما يورد في عجائب الآثار ٦ يوميات مجملة ، والأربعة الزيادة موضوعها ارتباك حصص الالتزام ، والنزاع بين المماليك والعثمانيين ، وظلم وجور الألفي في الصعيد ، وكثرة تعدى العسكر بالأذية للعامة ، واشتغال العسكر في بيع أصناف المأكولات .

٢- العنوان من وضع المحققين .

٣- يوم السبت غرة جمادى الآخرة ١٢١٦هـ الموافق ١٠ اكتوبر ١٨٠١م .

٤- أي في الساعة التاسعة مساء يوم السبت وليلة الأحد ٢ جمادى الآخرة ١٢١٦هـ الموافق ١١ أكتوبر ١٨٠١م

وفى يوم الثلاثا رابعه [1] وصل [ص ٣٧٢] شمس الدين بيك أمير آخور كبير ، وحضرة مرجان أغا ، فأرسلت التنابية ، وعمل الديوان بالباب العالى ، وحضر الوزرا والأمرا والعلما ، والوجاقلية والأعيان ، وحضر المذكوران ، ولاقاهما حضرة المشار إليه من المجلس الخارج ، وسلماه الخطوط الشريفة والخلع المختصة بجنابه ، والسيف والشلنج المجوهر ، وعمل فى ذلك اليوم شنك ومدافع من القلعة ، وأخلع على الوزرا والأمرا خلعاً وشلنجات .

وفيه أحضرت أطواخ وولاية جدة لمحمد باشا توسون ، الذى كان جبجى باشى .

وفيه ، حضر القاضى الجديد ، وهو المولى مصطفى افندى دباغ زادة ، من فضلا المحققين ، ونبلا المدققين ، وحضر إلى المحكمة فى يوم السبت ثامنه ، بأهله وعياله ، سدد الله أحكامه ، ورفع على منار الشريعة أعلامه .

وفى يوم الثلاثا [2] حادى عشره ، عمل حضرة المشار إليه ديواناً ، وحضر الأمرا المصرليه ، فقبض عليهم وعوقهم عنده ، وكان سليم بيك أبو دياب بالبلدة المسماه بالمنيل ، فسمع الخبر ، ففر إلى الإنكليز بالجيزة ، وأدركه الطلب فلم يجدوه ، فأحضروا متاعه وجماله .

ونودى فى ذلك اليوم ، بالأمن والأمان على الوجاقلية والرعية ، واختفى بقية الأجناد المصرية والمماليك ، وباتوا بليلة سودا ، وخاب أملهم [ص ٣٧٣] وضاع تعبهم وطمعهم . وكان فى ظنهم أن العثمنلى يرجع إلى بلاده ، ويترك لهم مصر وإقليمها ، ويعودون إلى حالتهم الأولي ، يتصرفون كيف شاءوا . وألبس حضرة

١- يوم الثلاثاء ٤ جمادى الآخرة ١٢١٦هـ الموافق ١٣ أكتوبر ١٨٠١م .
٢- يوم الثلاثاء ١١ جمادى الآخرة ١٢١٦هـ الموافق ٢٠ أكتوبر ١٨٠١م .

المشار إليه ، سليمان أغا صالح ، زى العثمانليين وجعله "سلخورا " [1] وأن يكون فى خدمة الدولة .

وفى يوم الاثنين سابع عشره [2] سافر إسماعيل افندى شقبون كاتب حوالة إلى رشيد ، باستدعا محمد باشا والى مصر .

وفيه ، ورد الخبر بوصول كسوة الكعبة من الباب الأعلى .

فلما كان يوم الخميس عشرينه [3] ركب الأعيان والمشايخ ، وأرباب الأشاير، ونقيب السادة الأشراف ، وعثمان كتخدا المرشح لإمارة الحج . واجتمع الناس للفرجة ، وحضروا بالكسوة من بولاق ، وشقوا بها من وسط المدينة ، حتى وصلوا بها إلى المشهد الحسينى ، فوضعت هناك على العادة ، وكان يوماً مشهوداً .

وفيه [4] وردت أخبار بأن حضرة حسين باشا القبطان أراد أن يقبض على الأمرا المصرلية ، فحصل منهم عناد ومخالفة ، فقتل منهم عثمان بيك المرادى الكبير ، وعثمان بيك الأشقر الإبراهيمى ، ومراد بيك الصغير ، ومحمد بيك المنفوخ، وإبراهيم السنارى ، وآخرون ، وفرّ الباقون إلى الإنكليز بجهة أسكندرية ، فلما ورد الخبر بذلك حصل بعض قلقله وإرجاف ، وأخذ الإنكليز المقيمون بالجيزة [5] حذرهم [ص ٣٧٤]

١- السلخور : من الفارسية بمعنى الرأس ، وأخور بمعنى المعلف أو المذود وربما أن وجود " سلاخور " باللام يقوى احتمال أن يكون المقطع الأول من الكلمة منحوتاً من الكلمة الفارسية " سالار " وهذه الكلمة هى فيما يظن كلمة "سردار " فليت راؤها لاماً وحذفت دالها ، وقد عربت بصيغتى سلار وسالار .
د/ احمد السعيد سليمان . مرجع سابق ، ص ١٣١ .

٢- يوم الاثنين ١٧ جمادى الآخرة ١٢١٦هـ الموافق ٢٦ أكتوبر ١٨٠١م .

٣- يوم الخميس ٢٠ جمادى الآخرة ١٢١٦هـ الموافق ٢٩ أكتوبر ١٨٠١م .

٤- أى فى يوم الخميس .

٥- فى النسخة (ب) " بالقلعة " وهو خطأ لأن الإنكليز لم يقيموا بالقلعة والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

وفى ذلك اليوم ، طلع محمد باشا توسون إلى القلعة ، وصعد معه جملة من العسكر ، ونقلوا إليها ذخيرة وقومانية ومدافع وبارود .

وفى يوم الاثنين رابع عشرينه (١) حضر كبير الإنكليز الذى بالجيزة ، فقابل حضرة المشار إليه ، فألبسه خلعة.

وفى ذلك اليوم أخلع أيضاً على عثمان كتخدا ، وتقلد إمارة الحاج .

شهر رجب ١٢١٦هـ (٢)

واستهل شهر رجب ١٢١٦هـ (٣) بيوم الأحد (٤) فى ثانيه ، سافر سليمان أغا صالح إلى إسلامبول ، بإرساليه من جهة دمياط .

وفى تاسعه (٥) أرسل الإنكليز إلى حضرة المشار إليه ، يستدعون منه الأمرا يتفسحون عندهم يومين أو ثلاثة ، ثم يعودون . فأمرهم بالذهاب والتعدية إلى بر الجيزة ، فأظهروا التمنع عن الذهاب إلى مخالفين الدين . ثم ذهبوا وما صدقوا بالخلاص ، فلما تسامعت جماعتهم وأجنادهم ومماليكهم وأطرافهم المختفون ،

١- يوم الاثنين ٢٤ جمادى الآخر ١٢١٦هـ الموافق ٢ نوفمبر ١٨٠١م .

٢- عدد يوميات هذا الشهر فى مظهر التقديس ١٤ يومية ، ولكنها فى عجائب الآثار ١٦ يومية محددة التاريخ وأربع يوميات مجملة بالإضافة إلى تغيير أسلوب ومحتوى الكثير من اليوميات .

٣- رقم السنة غير موجود فى النسخة (أ) فأثبتناه من بقية النسخ وليس من عادة المؤلف أن يذكر رقم السنة عند كل شهر وإن كنا قد حرصنا على ذكر رقم السنة بعناوين الشهورلمزيد من الدقة .

٤- لا زالت بدايات الشهور عند الجبرتى غير متسقة مع "التوفيقات الإلهامية "، فبينما يذكر مختار باشا فى "التوفيقات" أن غاية جمادى الآخرة كانت يوم الجمعة ٢٩ منه الموافق ٦ نوفمبر وأن غرة رجب كانت يوم السبت الموافق ٧ نوفمبر ١٨٠١م فإن الجبرتى يؤكد أن شهر رجب استهل بيوم الأحد ، وهو يوافق ٨ نوفمبر ١٨٠١م .

٥- يوم الاثنين ٩ رجب ١٢١٦هـ الموافق ١٦ نوفمبر ١٨٠١م .

ظهروا بعد اختفايهم وتلاحقوا بهم ، ونقلت إليهم خيولهم وجمالهم وخيامهم ، وأقاموا بالجيزة ولم يعودوا .

وفى يوم الجمعة سابع عشرينه [١] وصل حضرة عابدى بيك ، صهر حضرة الصدر الأعظم ، فخرج غالب أعيان الدولة لملاقاته ، ودخل بحمولة في موكب جليل

وفيه ورد الخبر بسفر حضرة قبطان باشا من ساحل أبو قير إلى الديار الرومية باستدعا ، فى منتصف [ص ٣٧٥] الشهر .

شهر شعبان ١٢١٦هـ

استهل بيوم الثلاثا [٢] فيه قدم يوسف افندى وبيده فرمان بولايته على نقابة السادة الأشراف . ويوسف افندى هذا كان من المستوطنين [٣] بمصر ، فترقى لمشيخة رواق الأتراك بالجامع الأزهر ، ثم عزل وسافر إلى إسلامبول قبل حادثة الفرنسيس ، وأقام بها نحو الأربع سنوات ، ثم قدم بذلك فأهمل أمره ، ولم يلبه أحد ، وذلك لإجماع الخاص والعام على حسن سيرة السيد عمر أفندى ، وقيامه بواجب هذا المنصب ، وخلوص نيته فى كل مذهب ، وقد جاهد فى الله حق جهادة، وبذل نفسه وماله للغزاة والمجاهدين من عباده ، وسافر إلى الشام مرتين ، وباشر الحادثتين ، وله بأرباب الحاجات عناية ، ومنزله للمجتدى [٤]

١- يوم الجمعة ٢٧ رجب ١٢١٦هـ الموافق ٤ ديسمبر ١٨٠١م .

٢- لا زال فرق اليوم فى بداية الشهور العربية قائماً بين الجبرتى و "التوفيقات الإلهامية " ، وطبقاً للجبرتى فإن يوم الثلاثاء هو غرة شهر شعبان ١٢١٦هـ الموافق ٨ ديسمبر ١٨٠١م

٣- فى النسخة (ب) من "المتوسطين " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٤- المجتدى هو السائل .

نعـــمـة ، وللخـايف وقـاية [1] فـلا أخـلى اللـه الوقـــت مـن وجـــود أمثـاله ، وأفـاض عليه سوابغ أنعـامـه وأفضاله [2].

وفـيـه من الحـوادث ، أنه تقيد بأبواب القـاهرة بعض من نصـارى القـبط ، ومعهم بعض من العسكر ، فصاروا يأخذون دراهم من كل من وجدوا معه شيئاً سوا كان داخلاً أو خارجاً بحسب اجتهادهم ، وعلى ما يجلب لمصر من الأرياف ، وزاد تعـديهم ، فعم الضـرر ، وعظم الخطب ، وغلت الأسعـار ، وكل من ورد بشئ ليبيعه يشتط فى ثمنه ، ويحتج بأنه دفع عليه كذا وكذا من دراهم المكس ، فلا يسع المشترى إلا التسليم لقوله ، والتصديق له . والسبب فى ذلك أن [ص ٣٧٦] الذين تقيدوا بديوان العشور بساحل بولاق دسّ عليهم بعض المقيدين معهم من أقباط النصارى ، بأن كثيراً من المتاجر التى يؤخذ عليها العشور ، يذهب بها أربابها من طريق البر ، ويدخلون بها فى أوقات الغفلة ، تحاشياً عن دفع ما عليها ، وبذلك لا يجتمع المال المقرر بالديوان ، فيلزم أن نقيد بكل باب من يترقب لذلك ، ويأخذ ما يخص الديوان من ذلك ، فأذن كبير الديوان بذلك ، فانفتح لهم بذلك الباب [3] فولجوه ، ولم يحسبوا للعاقبة حساب ، وزادوا فى الجور والفضايح ، وأظهروا ما

١- كلمة " وقاية " غير موجودة فى النسخة (ب) فاثبتناها من بقية النسخ .

٢- فى عجائب الآثار يضيف الجبرتى مدحاً للوزير يوسف باشا الذى أهمل أمر هذا الرجل المدعى حيث يقول " وظهر حاله لأكابر الدولة وحضرة الصدرالأعظم ، فلم يصغوا إليه ، ولم يسعفوه ، وأهمل أمره ، وهكذا شأن رؤساء الدولة أدام الله بقاءهم إذا تبين لهم الصواب فى قضية لا يعدلون إلى خلافة " وهذه هى المرة الوحيدة التى مدح الجبرتى فيها الوزير فى عجائب الآثار .

٣- كلمة " الباب " غير موجودة فى النسخة (ب) فاثبتناها من بقية النسخ .

فى نفوسهم من القبايح . فساءت الظنون ، واستغاثت المستغيثون ، وأكثر سخاف الأحلام مما لا طائل تحته من الكلام ، كما قيل فى المعنى .

وكنا نستـــطب إذا مرضنا　　　فصار الداء من قبل الطبيب

فلما أنهى هذا الأمر لحضرة الصدر ، بادر فى إنكاره ، وسرعة إزالته ومحو آثاره، وأرسل لمن تولى كبر ذلك من أرباب الدواوين فسجنه ، وأحرمه بترقب المكروه أن يذوق وسنه (١) وانجلت ولله الحمد بمولانا هذه الغمة ، وابتهلت بالدعا له بالبقا والنصر ساير الأمه .

" شعر "

للخــــير أقوام لا تـــزا　　　ل وجـــوههــــم تدعو إليه

طـــوبى لمـــن جـرت الأ مــ　　　ـور الصـــالحات علـــى يديه

وأبطل أيضـاً مـا كـان وضع على طايفـة القـبـانيـة من الكمـرك السنوى ، واكتسب بهذه الهمة [ص٣٧٧] رضا الله وثناء العالم الأبدى .

وفى خامسه (٢) نزل محمد باشا توسون والى جدة من القلعة . فى موكب ، وتوجه إلى العادلية ، قاصد السفر إلى جدة من بحر القلزم .

وفى يوم الأربعا تاسعه (٣) قبضوا على ثلاثة أشخاص من نصارى الأروام ، تزيوا بزى العساكر الإنكشارية ، وحصل منهم القبايح فى الرعية ، فرموا رقابهم فى جهات مختلفة ، ليعتبر بذلك غيرهم ، وكذلك الرجل المفسد الذى يقال له " راضى النجار " كان من أعظم المفسدين بإقليم المنوفية ، قبضوا عليه العسكر

١- فى النسخة (ب) " فسبحانه تعالى أحرمه وسجنه بترقب المكروه أن يذوق وسنه " وفى طبعة التربية والتعليم " فحرمه وسجنه يترقب المكروه لا يذوق وسنة " وبهما لا يستقيم المعنى ، والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

٢- يوم السبت ٥ شعبان ١٢١٦هـ الموافق ١٢ ديسمبر ١٨٠١م .

٣- يوم الأربعاء ٩ شعبان الموافق ١٥ ديسمبر ١٨٠١م .

وأحضروه إلى مصر ، وقتل بالرميلة ، فانسر الناس بترادف مثل هذه الأمور ، وما يترتب على ذلك من استيصال أصحاب الشرور .

وفيه [1] كتب فرمان إلى ناحية البحيرة ، وصورته :

"صدر الفرمان العالى السلطانى ، وأمرنا الجليل الخاقانى ، إلى قدوة النواب المتشرعين نائب البحيرة زيد علمه ، وإلى كامل المشايخ من عربان الهنادى، والأفراد والجمعيات [2] والبهجة وبنى عونة عموماً ، زيد فى عشيرتهم . بعد وصول التوقيع الرفيع الهمايونى الحكمى ، تحيطون علماً ، أنهيتهم إلى ديواننا الهمايونى ، أنكم من قديم الزمان منازلكم – آباً عن جد – فيافى البحيرة وفدافدها [3] وإنكم تحت قدم الطاعة والمحافظة للرعايا والطرقات الواقعة بناحية البحيرة ، والتمستم من عواطف مراحم سلطنتنا السنية ، ودولتنا الخاقانية ، استقراركم فى منازلكم القديمة كما كنتم حكم [ص٣٧٨] السنين الخوالى ، فحيث أنه جرت العادة أن قبايل العربان فى الديار المصرية ، كل قبيلة لها منزله مخصوصة بهم ، لا ينازعهم فيها غيرهم ، ومنزلة البحيرة من قديم الزمان تنزلوها ، فبحسب التماسكم مراحم دولتنا العلية ، أقررناكم فى منازلكم المذبورة ، كما كنتم قديماً نازلين بها من غير

١– أى فى ٩ شعبان ، ولكن وفى عجائب الآثار وردت هذه اليومية بتاريخ غرة شعبان ، ولكن التاريخ المذكور فى الفرمان يؤكد أنه كتب فى أواخر الشهر ، والحجة التى بضمن الفرمان تشير إلى يوم ٢٢ شعبان وعلى ذلك فإن التاريخ الواجب لهذه اليومية هو ٢٢ شعبان الموافق ٢٩ ديسمبر ١٨٠١م .

٢– هكذا فى جميع النسخ وفى عجائب الآثار ، وربما الصواب " قبائل الجمعيات " .

٣– كان معظم مديرية البحيرة أرض صحراوية ، ولكن هذا الوضع تغير تماماً فى عصر محمد على وخلفائه ، حيث حفرت ترعة المحمودية والرياح البحيرى وغيرها من الترع التى ضاعفت مساحة الأرض الزراعية بالمديرية . كما حفرت بها حديثاً العديد من الترع التى ضاعفت الأرض مرة ثانية مثل ترعة النوبارية والعامرية وغيرها .

منازع لكم بالشروط التى تعهدتموا بها وقبلتموها فى حضور صدرنا الأعظم ، وكتبتم بها سنداً عليكم . وهى : أن توفوا عدم التعدى ، وإيصال الرزيه والمضرة ، إتلاف شئ ولو مقدار ذرة ، إلى الرعايا وديعة خالق البرايا ، والمحافظة على الطرقات ، وعدم من مزروعات أهل البلاد ، وإضاعة مواشيهم ، وأنه لا تسكنوا عندكم شقياً من اللصوص وقطاع الطريق ، ونهب أموال الناس ، وقتل النفوس بغير حق شرعى ، وقد نذرتموا على أنفسكم أنه متى اختل شرط من هذه الشروط المذكورة ، تقومون بدفع مايتى ألف قرش إلى خزينة مصر ، فبناء على ذلك أصدرنا فرماننا الشريف ، وأمرنا العالى المنيف ليكون معلومكم أنه من قاعدة الديار المصرية ، كل قبيلة من العربان لها منزلة تنزلها مخصوصة بها ، وقد أقررناكم فى منازلكم القديمة فى فيافى البحيرة وفدافدها بالشروط السالفة الذكر التى التزمتموها ، والنذور التى قبلتوها ، وتعهدتموا وكتبتم على أنفسكم سنداً أنه متى اختل شرط من الشروط [ص٣٧٩] المذكورة بعد دفعكم المايتى ألف قرش ، يكون إخراجكم من البحيرة وبلادها وفيافيها ، والطلوع من حقكم ، فتعاملوا بموجب مضمون أمرنا الشريف كما هو مشروح ، وتجنبوا خلاف ما هو مسطور وموضوح ، أعلموه واعتمدوه غاية الاعتماد ، والحذر ثم الحذر من الخلاف ."وتحريراً فى أواخر شهر شعبان المعظم سنة ستة عشر ومايتين وألف " وكتب بمضمونه حجة ، وعليه إمضا حضرة [1] قاضى عسكر ، وقيدت بالسجل المحفوظ . وهى من إنشاء صاحبنا الحسيب النسيب ، اللبيب الأديب ، أوحد أذكيا مصر ونبلائها ، وتاج أدباتها ، الناظم الناثر ، جامع فضايل المآثر ، السيد إسماعيل الشهير بالخشاب ، أبقى الله

١- فى النسخة (ب) وأمضى عليها "حضرة " والصواب ما أثبتناه من بقية النسخ .

حياته محروس الجناب ، ونصه :

" لما ورد الفرمان الشريف ، الواجب القبول والإجلال والإعظام والتشريف ، اليانعة أزاهر رياض فصاحته ، المحلاة بعقود البلاغة أجياد معانى عبارته ، المشتمل على فصول من الترغيب والترهيب ، التى يعجز كل بليغ لبيب ، عن سلوك أسلوبها العجيب ، حضرة مولانا الصدر الأعظم ، والمشير المفخم ، عضد الدولة العلية ولسانها ، وحسامها الماضى وسنانها ، من أشرقت سما الوزارة بشمس طلعته البهية ، وانجلى عنا ظلام الشرك بصباح غرته السنية ، وإشراق ضيا حسن سيرته المرضية ، مولانا الوزير يوسف باشا ، بلغه الله من المرادات ماشا ، خطاباً إلى سائر الحكام والمتشرعين والنواب ، وسكان إقليم البحيرة من قبايل الأعراب ، ومن التحق بهم من الأبنا والذرارى ، والعشاير المخيمين معهم فى تلك [ص٣٨٠] الفدافد والبرارى ، وما تضمنه من تأمينهم فى منازلهم وأوطانهم ، وعشيرتهم وجيرانهم ، والنظر إليهم بعين الإحسان والرعاية ، وإدخالهم سرادق الحفظ والوقاية ، بشرط أن يكونوا على قدم الطاعة ، وأن يسلكوا سبيل السنة والجماعة ، وأن يجتنبوا الخلاف ، ويعاملوا من يمر بهم بالإكرام والإعزاز والإنصاف . واردين مشرب الوفاق بالاتفاق ، غير مثيرين للفتن والنزاع والشقاق ، وأن لا يجتمعوا على الضلال ويتحزبوا ، ولا يقطعوا الطريق على من يمر بهم ويتعصبوا ، [إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا] (١) وأقطع حضرة مولانا الصدر الأعظم المشار إليه ، خلد الله جزيل نعمه وفضله عليه ، كل قبيلة منهم منازلها المخصوصة بها المعهودة ، وأظلهم بظلال أمانه الظليلة الممدودة ، حين التمسوا ذلك من مراحم دولته ، وعوارف عواطف رأفته ، بعد إلزامهم بما سلف من الشروط ، على الوجه المشروح المحرر المضبوط ، وعلى أنهم إن عصوا مرة وخالفوه ، ونسوا ما تلى عليهم أو نسخوه ، أو قطعوا الطريق

١- سورة المائدة الآية ٣٣ .

ونهبوا الأموال ، أو آووا شقياً ممن يفعل ذلك بحال من الأحوال ، أخذتهم صاعقة العذاب الهون ، وحل بهم من البلا مالا يطيقون ، ووقعوا من غضب هذه الدولة العلية عليهم في العذاب الشديد ، [ذلك بما قدمت أيديكم ، وأن الله ليس بظلام للعبيد] (١) بعد أن تُسلب أموالهم ، ويتلاشى حالهم ، حتى يصيرون لاعين ولا أثر، ولا مخبر ولا خبر ، ولا معالم ولا معاهد ، ولا مشارع ولا موارد ، جزاء [ص ٣٨١] بما أسلفوا ، وعقاباً على ما اقترفوا ، إذا خالفوا . وعاهد رؤساهم حضرة مولانا الصدر الأعظم المشار إليه ، عز نصره ، على ما تقدم ذكره . وكتب لهم بذلك التوقيع السلطاني ، والأمر الخاقاني ، المتضمن لما تقدم من المعاني ، المتوج بالعلامة الشريفة ، والطرة السلطانية المنيفة ، المبدأ بذكره ، المؤرخ بأواخر شعبان المعظم ، سنة ستة عشر ومائتين وألف ، وحضر به حضرة مولانا شيخ الإسلام الموميء إليه أعلاه ، كل من فلان وفلان وفلان وفلان ، وهم مشايخ عربان البحيرة المرقومون . ولما تأمل فيه ، وأحاط علمه الكريم ببديع معانيه ، وتنزه طرفه في رياض فصوله ، ورآه جارياً على قواعد الشرع وأصوله ، والتمس منه الجماعة المذكورون كتابة حجة متضمنة لفحواه ، مؤكدة له مقوية لمعناه ، أمر بكتابة هذا المرسوم على الوجه المشروح المرقوم ، وقيد ذلك بالسجل المحفوظ ، ليراجع عند الاحتياج إليه ، والاحتجاج به . جرى ذلك وحرر ورقم وسطر ، في اليوم المبارك الموافق لثاني وعشرين شعبان سنة تاريخه (٢) والله أعلم ".

١- في الأصل " قدمت أيديهم " وهو خطأ وهي في سورة آل عمران الآية ١٨٢ ، وسورة الأنفال الآية ٥١ ، وقد وردت هذه الآية بالنص الخطأ في طبعة التربية والتعليم وأشاروا إلى أنها في سورة فصلت وهذا خطأ أيضاً.

٢- يوم الأربعاء ٢٢ شعبان ١٢١٦هـ الموافق ٢٩ ديسمبر ١٨٠١ م .

خاتمة

لما كانت حوادث الأيام لا تقف على حد ، واستقصاؤها لا يدخل تحت قدرة أحد ، ناسب أن يجعل ختام هذا التاريخ شهر رمضان المعظم ، وأن يكون عقد شهوره بواسطته متمم ، تفاؤلاً بحصول الغفران ، وترادف سوابغ الإحسان . فإنه شهر عظيم البركات ، كثير المبرات ، وافر الخيرات ، فيه تضاعف الحسنات ، وتحط السيئات ، ويتوالى من الرحمن على عبيده رحماته ، وتتعاقب عليهم نعمه وهباته . ثم فى الختم به إيماء إلى أن من أُلف الكتاب بأسمه ، وحليت ديباجته برسمه [ص ٣٨٢] وهو مولانا الوزير دام علاه ، وتحلت الأيام بوجودها فيه وبقاه . و جوده فى سائر الأنام ، كجود شهر الصيام فى الأعوام ، به يزول الفساد ، وتكثر العُبّاد ، وتنجبر القلوب ، وتخلص النيات فى كل مرغوب . وأيضاً ففيه ليلة القدر ، التى هى خير من ألف شهر ، يُترقب حصولها فى جميع لياليه ، ويبوء مترقبها بنجح مقاصده وشكر مساعيه . فكذلك المشار إليه أبقاه الله ، ترقبت الأمة المحمدية من مدد متطاولة حلول ركابه السعيد بمصر ، ليزول عنهم بيمن قدومه وإشراق طلعته مالحقهم من عظائم النوائب والإصر ، ويؤول الفساد للصلاح ، واليأس للنجاح ، ويحمد سعى كل وافد لسدته ، ورافع لدى مراحمه أسباب بغيته . وأيضاً أن شهر الصيام مقدمة شهر العيد ، الذى هو موسم العيد (١) والسرور المديد ، مفتاح أبواب المسرات التى طال انغلاقها ، ومعيد بهجة مصر التى كسف بظلام الكفرة إشراقها ، ثم لسدته التى هى ملثم شفاة الأقبال ، ومحط رحال فاضل الرجال ، أهدى كاسد هذا التصنيف ، وخامل هذا الترصيف ، فإن لاحظه

١- كلمة " العيد " غير موجودة فى النسخة (أ) فاثبتناها من بقية النسخ .

بعين القبول .. وذاك هو المبتغى والمأمول راج فى معالم الأدب سوقه ، وبطالع السعود لاح شروقه .

" شعر "

فأضحت الأيام مجلوبة ... لدىّ والأيام منقادة

حملنى من جم أفضاله ... مالو حواه جبل أده

يبدع شيئاً ولكن جرى ... على الفضل الذى اعتاده

وليس من يأتى العلا كلفة ... كمثل من يأتى العلا عادة

لا زال فى عز ودولة ... ونال من دنياه ما ارتاده

مهنياً له بنعم الله العظام ، المترادفة عليه بشهر الصيام ، وتقبل أعماله الرفيعة ، ومبراته الباهرة البديعة ، واقتبال شهر العيد ، بتسامى رفيع طالعه السعيد .

" شعر "

جزى الله عن صومك الراحل ... وبارك فى عيدك النازل

وأولاك فيها السعود التى ... كفتك السعود إلى قابل

ولقاك أخر أعياده ... وأنت على عزك الدابل

ولو لم تكن طوق جيد الزمان ... لأصبح ذا عنق عاطل

اللهم يا سامع الدعا ، ويا مجيب الندا ، أحل حلة الأيام بوجوده ، وأدمه محتفاً ببهجة عزه وإشراق سعوده ، مطاع النواهي والأوامر ، مجدد ما بقى من آثار المآثر، ناظم شمل المسلمين ، ولجميع الأعداء ناثر ، يأتى من المعالى ما لا يسبقه إليه أول ولا يلحقه فيه آخر ، ما طلع النيِّران ، وتوالى الملوان .(١)

" تأريخ "

سعد تاريخنا بإقبال صدر	بمعالى ثنائه مسطور
فلهذا يقول بشرى أرخ	باجتناء السرور جاء الوزير (٢)

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب

١- النيران : الشمس والقمر ، والملوان : الليل والنهار .

٢- تشير هذه الفقرة إلى تاريخ الانتهاء من الكتاب ١٢١٦هـ وذلك بحساب الجمل .

العالمين . ووافق التمام سلخ شهر شعبان سنة ١٢١٦ من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . (١)

١- ثم كُتب بعد ذلك في كل نسخة تاريخ الانتهاء منها ونصه كالآتي : فى النسخة (أ) " ووافق الفراغ من هذه النسخة يوم الأربع ١٧ رجب سنة ١٢٩٣ على يد كاتبه الفقير أحمد رزق غفر له ولوالديه آمين " . وفى النسخة (ب) " وأيضاً حررت هذه النسخة المباركة وكان الفراغ منها سنة ١٢٢٤ فى غرة محرم الحرام سنة أربعة وعشرين ومائتين وألف ، تم بعون الله وحسن توفيقه آمين ". وفى النسخة (جـ) " ووافق التمام سلخ جمادى الأول سنة ١٢٤٠، كتبه الفقير محمد بن عيد البهيدى الأتميدى الشافعى غفر الله له آمين " .

الملاحق [1]

ملحق رقم ١ :

أسباب فشل نابليون فى فتح عكا [2]

" ولما عجز الفرنساوية عن أخذ عكا ، وعزموا على الرجوع إلى مصر ، أرسل بونابارته مكاتبة إلى الفرنساوية المقيمين بمصر يقول فيها :

إن الأمر الموجب للانتقال عن محاصرة عكا خمسة عشر سببا :

الأول : الإقامة تجاه البلد وعدم الحرب ستة أيام إلى أن جاءت الإنكليز وحصنوا عكا باصطلاح الإفرنج

الثانى : الستة مدافع التى توجهت من الاسكندرية وفيها المدافع الكبار ، أخذها الانكليز قدام يافا .

الثالث : الطاعون الذى وقع فى العسكر ، ويموت كل يوم خمسون وستون عسكريا

الرابع : عدم الميرة لخراب البلاد قريب عكا .

الخامس : وقعة مراد بك مع الفرنساوية فى الصعيد مات فيها مقدار ثلثمائة فرنساوى .

السادس : بلغنا توجة أهل الحجاز صحبة الجيلانى لناحية الصعيد .

السابع : المغربى محمد الذى صار له جيش كبير وادعي أنه من سلاطين المغرب

الثامن : ورود الإنكليز تجاه الأسكندرية ودمياط .

التاسع : ورود عمارة الموسقو قدام رودس .

١- الملاحق من وضع المحققين .

٢- المصدر : عجائب الآثار جـ٣ ، ص ٦٨ .

العاشر: ورود خبر نقض الصلح بين الفرنساوية والنيمساء .

الحادى عشر : ورود جواب مكتوب منا "لتيبو" أحد ملوك الهند ، كنا أرسلناه قبل توجـــهنا لعكا - و"تيبو"هذا و الذى كان حضر إلى اسلامبول بالهدية التى من جملتها طائران يتكلمان بالهندية ، والسرير والمنبر من خشب العود وطلب منه الإمداد والمعاونة على الإنكليز المحاربين له فى بلاده ، فوعدوه ومنوه ، وكتبوا له أوراقاً وأوامر وحضر إلى مصر ، وذلك سنة اثنين ومائتين وألف أيام السلطان عبد الحميد .. وهو رجل كان مقعداً تحمله أتباعه فى تخت لطيف بديع الصنعة على اعناقهم ، ثم أنه توجه إلى بلاد فرانسا واجتمع بسلطانها وذلك قبل حضوره إلى مصر واتفق معه على أمر فى السر ، لم يطلع عليه أحد غيرهما ، ورجع إلى بلاده على طريق القلزم فلما قدم الفرنساوية لمصر كاتبه كبيرهم بذلك السر ، لأنه اطلع عليه عند قيام الجمهور وتملكه خزانة كتب السلطان . ثم إن تيبو المذكور بقى فى حرب الإنكليز إلى أن ظفروا به فى هذه السنة وقتلوه وثلاثة من أولاده - فهذا ملخص معنى السبب .

الثانى عشر : موت كفرللى الذى عملت المتاريس بمقتضى رأيه ، وإذا تولى أمرها غيره يلزم نقضها ويطول الأمر ، وكفرللى هذا هو المعروف بأبى خشبة المهندس .

الثالث عشر : سماع أن رجلاً يقال له مصطفى باشا أخذه الإنكليز من إسلامبول ومرادهم أن يرموه على بر مصر .

ملحق رقم ٢ :

احتمالات شهرى ربيع الآخر وجمادى الأولى ١٢١٤هـ وفقاً لمظهر التقديس وعجائب الآثار والتوفيقات الإلهامية

أيام الاسبوع	التقويم الميلادى	مظهر التقديس	عجائب الآثار	التوفيقات الالهامية
السبت	٣١ أغسطس	٢٩ ربيع الأول	٢٩ ربيع الأول	٢٩ ربيع الأول
الأحد	١ سبتمبر	١ ربيع الآخر	١ ربيع الآخر	٣٠ ربيع الأول
الاثنين	٢ سبتمبر	٢ ربيع الآخر	٢ ربيع الآخر	١ ربيع الآخر
الثلاثاء	٣ سبتمبر	٣ ربيع الآخر	٣ ربيع الآخر	٢ ربيع الآخر
الاربعاء	٤ سبتمبر	٤ ربيع الآخر	٤ ربيع الآخر	٣ ربيع الآخر
الخميس	٥ سبتمبر	٥ ربيع الآخر	٥ ربيع الآخر	٤ ربيع الآخر
الجمعة	٦ سبتمبر	٦ ربيع الآخر	٦ ربيع الآخر	٥ ربيع الآخر
السبت	٧ سبتمبر	٧ ربيع الآخر	٧ ربيع الآخر	٦ ربيع الآخر
الأحد	٨ سبتمبر	٨ ربيع الآخر	٨ ربيع الآخر	٧ ربيع الآخر
الاثنين	٩ سبتمبر	٩ ربيع الآخر	٩ ربيع الآخر	٨ ربيع الآخر
الثلاثاء	١٠ سبتمبر	١٠ ربيع الآخر	١٠ ربيع الآخر	٩ ربيع الآخر
الاربعاء	١١ سبتمبر	١١ ربيع الآخر	١١ ربيع الآخر	١٠ ربيع الآخر
الخميس	١٢ سبتمبر	١٢ ربيع الآخر	١٢ ربيع الآخر	١١ ربيع الآخر
الجمعة	١٣ سبتمبر	١٣ ربيع الآخر	١٣ ربيع الآخر	١٢ ربيع الآخر
السبت	١٤ سبتمبر	١٤ ربيع الآخر	١٤ ربيع الآخر	١٣ ربيع الآخر
الأحد	١٥ سبتمبر	١٥ ربيع الآخر	١٥ ربيع الآخر	١٤ ربيع الآخر
الاثنين	١٦ سبتمبر	١٦ ربيع الآخر	١٦ ربيع الآخر	١٥ ربيع الآخر
الثلاثاء	١٧ سبتمبر	١٧ ربيع الآخر	١٧ ربيع الآخر	١٦ ربيع الآخر
الاربعاء	١٨ سبتمبر	١٨ ربيع الآخر	١٨ ربيع الآخر	١٧ ربيع الآخر
الخميس	١٩ سبتمبر	١٩ ربيع الآخر	١٩ ربيع الآخر	١٨ ربيع الآخر
الجمعة	٢٠ سبتمبر	٢٠ ربيع الآخر	٢٠ ربيع الآخر	١٩ ربيع الآخر
السبت	٢١ سبتمبر	٢١ ربيع الآخر	٢١ ربيع الآخر	٢٠ ربيع الآخر
الأحد	٢٢ سبتمبر	٢٢ ربيع الآخر	٢٢ ربيع الآخر	٢١ ربيع الآخر
الاثنين	٢٣ سبتمبر	٢٣ ربيع الآخر	٢٣ ربيع الآخر	٢٢ ربيع الآخر
الثلاثاء	٢٤ سبتمبر	٢٤ ربيع الآخر	٢٤ ربيع الآخر	٢٣ ربيع الآخر

ايام الاسبوع	التقويم الميلادى	مظهر التقديس	عجائب الآثار	التوفيقات الالهامية
الاربعاء	٢٥ سبتمبر	٢٥ ربيع الآخر	٢٥ ربيع الآخر	٢٤ ربيع الآخر
الخميس	٢٦ سبتمبر	٢٦ ربيع الآخر	٢٦ ربيع الآخر	٢٥ ربيع الآخر
الجمعة	٢٧ سبتمبر	٢٧ ربيع الآخر	١ جمادى الأولى	٢٦ ربيع الآخر
السبت	٢٨ سبتمبر	١ جمادى الأولى	٢ جمادى الأولى	٢٧ ربيع الآخر
الأحد	٢٩ سبتمبر	٢ جمادى الأولى	٣ جمادى الأولى	٢٨ ربيع الآخر
الاثنين	٣٠ سبتمبر	٣ جمادى الأولى	٤ جمادى الأولى	٢٩ ربيع الآخر
الثلاثاء	١ اكتوبر	٤ جمادى الأولى	٥ جمادى الأولى	١ جمادى الأولى

ملحق رقم ٣ :

معاهدة صلح بين كلبير ومراد بيك
مؤرخة فى ١٥ جرمينال العام الثامن الجمهورى
(٥ أبريل سنة ١٨٠٠م) (١)

باسم الله القادر

الأمير الفائق الاحترام ، المبجل بين الأمراء ، مراد بك محمد ، بناء على رغبته التى أبداها بالعيش بسلام ووئام مع الجيش الفرنسى ومع القائد كليبر واعطائهما دليلا على التقدير الذى ناله منهما تبعاً لشجاعته وحسن تصرفه تم الاتفاق على الآتى :

البند الأول : يعترف القائد العام للجيش الفرنسى بالنيابة عن الحكومة بمراد بك محمد أميراً وحاكماً للوجه القبلى ويخوله بهذه الصفة سلطة الحكم والانتفاع

١ – نبيل الطوخى : مرجع سابق ص ٤٠٤ – ٤٠٦ .

فى البلاد الكائنة بالبر الشرقى والبر الغربى للنيل إبتداء من ناحية " بلصفورة " بمديرية جرجا إلى أسوان فى مقابل أن يؤدى للجمهورية الفرنسية الخراج الواجب دفعة عن تلك الجهات لصاحب الولاية على مصر .

البند الثانى : يحدد هذا الخراج السنوى بمبلغ ٢٥٠ كيس بواقع الكيس ٢٠,٠٠٠ بارة علاوة على ١٥,٠٠٠ أردب قمح و ٢٠,٠٠٠ أردب شعير وغلال أخرى .

البند الثالث : الخراج الذى يدفع نقداً يؤدى على أربعة أقساط متساوية كل ثلاثة أشهر قسط ، وتبدأ السنة بحساب التقويم الفرنسى ، أما الخراج الذى يؤدى نوعا فيورد فى شون القاهرة من أول فلوريال إلى ٣٠ فركتيدور ويحاسب مراد بك على مصاريف نقل الغلال بواقع الأردب أربعين بارة تخصم من الخراج الذى يدفع نقدا

البند الرابع : يكون لمراد بك دخل جمرك القصير وجمرك إسنا وتحتل ميناء القصير حامية فرنسية لا تقل عن مائتى جندى ، وعلى مراد بك أن يؤدى نفقات هذه الحامية ويصرف لها ما يدفع عادة للجند ، وعليه أن يخصص كتيبة من المماليك ترابط فى القصير لمساعدة الحامية الفرنسية ، وما يدفعه لنفقات لحامية يخصم له من الخراج المذكور فى المادة الثانية .

البند الخامس : بما أن أمير الوجه القبلى ليس له إلا الدخل الناتج من الضرائب فليس له أن يتصرف فى ملكية أى بلد إلى حاشيته المتصلين به ، ولكن له إدارة هذه البلاد بالطريقة التى يراها مرضية ، والحكومة الفرنسية تضمن للأهالى ملكية الأراضى التى يملكونها

بالطرق المشروعة وتمنع وقوع أى اعتداء عليها .

البند السادس : على كل طرف أن يرد إلى الطرف الاخر الجنود الاجئين إليه من جيش الطرف الآخر ، وليس لمزارعى القرى التابعة لأى من الفريقين أن يلجأوا إلى البلاد التابعة للفريق الآخر بقصد التخلص من أداء الضرائب أو لأى سبب آخر من هذا النوع .

البند السابع : يجعل الأمير حاكم الصعيد (جرجا) مقرا له وعليه أن يرسل للقائد العام حرسا من خمسة وعشرين مملوكا ، وعليه أن يوفد أحد البكوات من أتباعه مندوبا مفوضا عنه يقيم باستمرار فى القاهرة .

البند الثامن : يضمن قائد الجيش الفرنسى لمراد بك الانتفاع بدخل حكومته ويتعهد بحمايته فى حالة مهاجمته ، وإذا استهدفت الجهات التى تحتلها الجنود الفرنسية لهجوم عدائى أيا كان نوعه فعلى مراد بك أن ينفذ عددا من جنوده يبلغ على الأكثر نصف قواته لمعاونة القوات الفرنسية وعليه أن يقدم بالثمن المعتاد أدوات النقل المطلوبة ومؤونة الجنود التى ينفذها تكون على نفقة الحكومة الفرنسية .

البند التاسع : يعد القائد العام كليبر بأن لا يوافق على أى اقتراح أو اتفاق يحرم مراد بك من المزايا المبينة أعلاه وعليه أن يبلغ المعاهدة الحالية إلى الحكومة الفرنسية لترعى مصالح مراد بك فى المعاهدات التى قد تبرم بشأن مصر .

البند العاشر : أن الشروط الواردة فى المعاهدة الحالية والتى تقررت بمعرفة كل من الجنرال داماس قائد فرقة ورئيس أركان الحرب العام والمواطن جلوتييه قوميسير الحكومة (لدى الديوان) ومدير الشئون المالية

المفوض عن القائد العام كليبر ، وعثمان بك البرديسى المفوض عن مراد بك يصير التوقيع عليها من القائد العام كليبر ومن الأمير المعظم والملاذ الأفخم مراد بك محمد .

القاهرة فى ١٥ جرمينال العام الثامن بتقويم الجمهورية الفرنسية الموافق ١٠ ذو القعدة عام ١٢١٤هـ .

تعليق رسمى من القائد العام كليبر متعلق بالتصرفات الواجب اتباعها من جانب مراد بك تبعا لاتفاق ١٥ جرمينال العام الثامن الجمهورى .

١- يعسكر مراد بك بقواته على الضفة الغربية للنيل على مسافة ٤ فراسخ من الجيزة ، يمكث هناك لمدة عشرة أيام حتى يمكن تجميع البكوات والمماليك الموجودين حاليا فى القاهرة ، واستعمال تأثيره فى فصل الجانب العثمانى من القيادة الرئيسية للمدينة ، بعد هذه الأيام العشر ينسحب مراد بك إلى الجيزة حيث مقره مع اتباعه .

٢ - لا يستطيع مراد بك جمع جباية عينية أو نقدية من أقاليم الجيزة - بنى سويف - المنيا - أسيوط ، طوال المدة المفروضة لإقامته .

٣ - يعمل مراد بك على الإسراع فى توصيل الحبوب القادمة فى النيل والتى أرسلها درويش باشا لإعاشة الجيش الفرنسى والجيش العثمانى ، واتخاذ الخطوات السريعة لتوصيل الحبوب التى سيقوم القبطى المعلم يعقوب بكتابة قائمة بها مع تحديد مكان تخزينها .

٤ - يرسل إلى القائد العام بالقاهرة كل العثمانيين الموجودين فى معسكره ، كل من يستطيع التسليم منهم ، كل اتباع درويش باشا والذين قبض عليهم مراد

بك فى الصعيد دون أى استثناء ولا حتى الباشا نفسه .

٥ - على مراد بك الإعلان بالقاهرة ببولاق على اتفاق السلام الذى أبرم بينه وبين القائد العام مع وعد من هذا الأخير بالعفو العام والخاص لكل من ينفصل عن العثمانيين وينضم لصفوف مراد بك أو الفرنسيين .

٦ - يرسل مراد بك أحد بكوات حاشيته ليظل بجانب القائد العام مندوبا مفوضا من طرفه مخول بسلطاته لبحث الأمور المتعلقة بالمصلحة المشتركة .

ملحق رقم ٤ :

منشور نابليون إلى الجنود قبل رسو الأسطول الفرنسى فى الأسكندرية

[المعسكر العام على ظهر البارجة " أوريان" فى ٤ ميسدور من السنة السادسة / ٢٢ يونيو سنة ١٧٩٨م] (١)

" أيها الجنود :

إنكم ستخوضون غمار حملة لها آثار لا تحصى فى حضارة العالم وتجارته ، وستنالون من إنجلترا بضربة هى أشد ما يصيبها فى الصميم إلى أن تتمكنوا من ضربها الضربة القاتلة ، سنجتاز فى هذه البلاد رحلات متعبة ، وسنخوض فيها معارك عده ، على أن النصر سيكون حليفنا فى كل خطواتنا لأن العناية تلحظنا ، ولا تنقضى أيام معدودات على نزولنا إلى البر حتى نمحق المماليك الذين يناصرون التجارة الإنجليزية ويخصونها بالمساعدة ويرقون تجارنا بمختلف الإتاوات والإهانات ويسومون سكان وادى النيل الظلم الاضطهاد . إن الشعب الذى

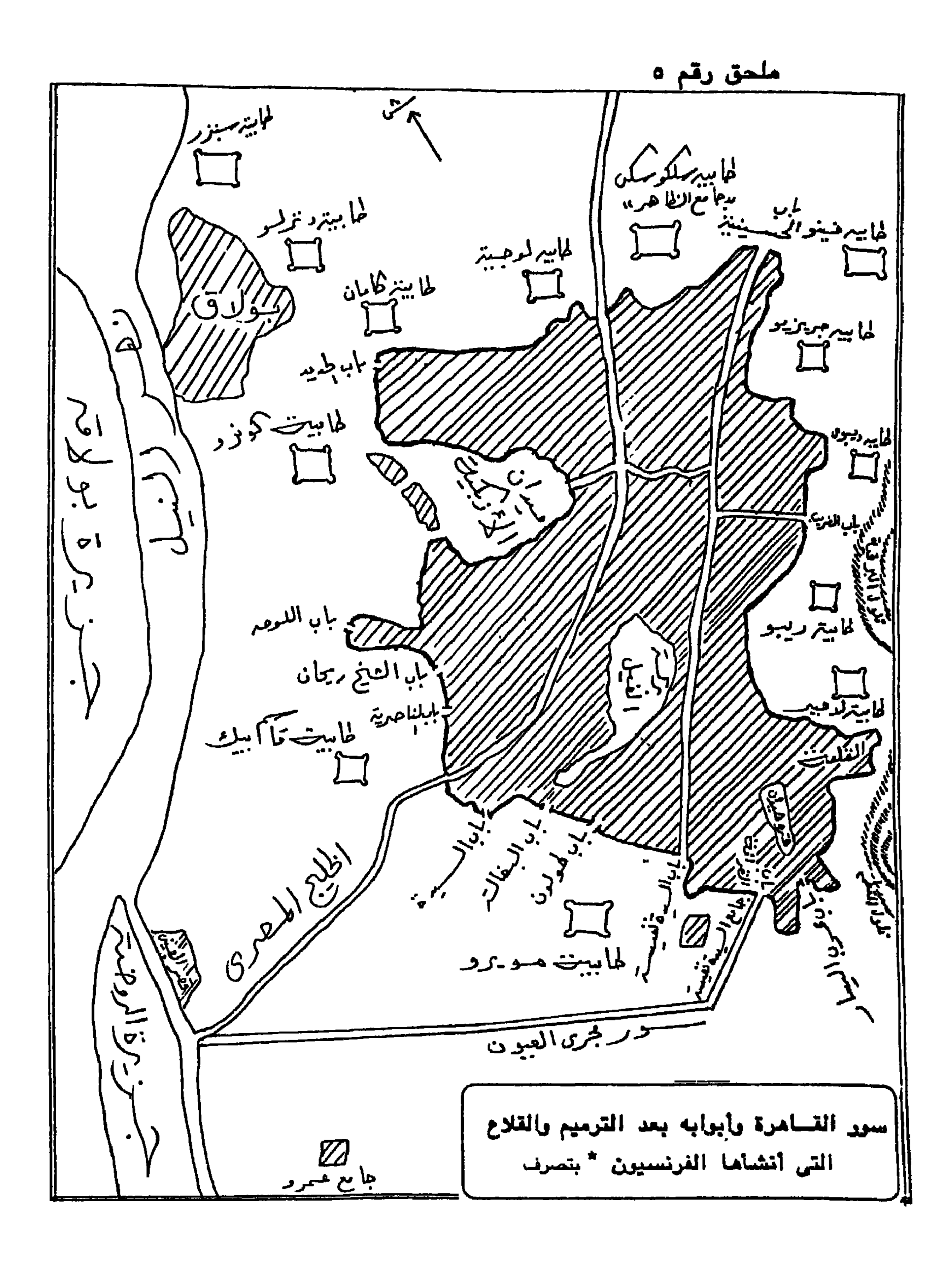
---

١ عبد الرحمن الرافعى : مرجع سابق جـ ١ ، ص ٤٠٩ .

سنتصل به يدين الإسلام وأول أركانه شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمد رسول الله ، فلا تعارضوهم فى دينهم وعاملوهم كما عاملتم اليهود وكما عاملتم الإيطاليين ، واحترموا مشايخهم ومفتييهم وأئمتهم كما احترمتم الربانيين والأحبار والقساوسة ، وليكن شعاركم فى معاملة المساجد والشعائر الدينية التى يأمر بها القرآن ذلك التسامح الذى كان رائدكم حيال الكنائس والصوامع والبيع والتعاليم الموسوية والمسيحية فإن الجيوش الرومانية كانت تحمى الأديان كلها على السواء ، وستجدون هنا عادات تختلف عن عادات أوروبا ، فعليكم أن تألفوها، وإن الشعب الذى سنقيم بينه يعامل النساء على غير عاداتنا ولكن الاعتداء على أعراض النساء فى كل بلد جريمة لا يقدم عليها إلا الوحوش ، واعلموا أن النهب لا يعود بالنفع إلا على طائفة قليلة من الناس ولكنه يدنس شرفنا ويقضى على مواردنا ويجلب علينا كراهية الشعوب التى تقضى مصلحتنا بأن نكسب ودها . وإن أول بلدة ننزل بها قد بناها الإسكندر ، وسنجد عند كل خطوة نخطوها بها آثارا مجيدة ، جديرة بأن تثير إعجاب تثير الفرنسيين وغيرتهم "

" بونابارت "

ملحق رقم ٥



سور القاهرة وأبوابه بعد الترميم والقلاع
التى أنشأها الفرنسيون * بتصرف

كشاف الشخصيات والأماكن

حرف الألف

حـــرف الـــبـــاء

حرف التاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حسن العطار : ٥٢ ، ٦٥ ، ٢٤٧ ، ٣٠٧ ، ٣٢٠ ، ٣٨١ ، ٤٩٤ ، ٤٠٤ ، ٤٨٢ ، ٤٨٧، ٥٥٣ .

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاى

حرف السين

حرف الشين

حـــرف الـصـــاد

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

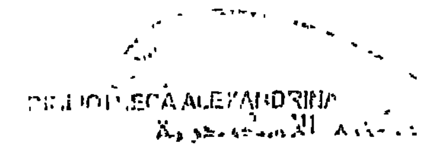
حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

الــفــهــرس

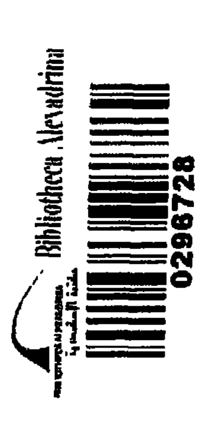
مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيس

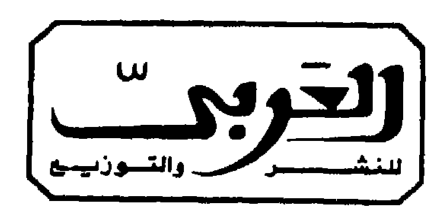


رقم الايداع ٩٨/٥٧٠٧

I.S.B.N.

977-5040-86-8





٦٠ شارع القصر العينى - أمام
روزاليوسف (١١٤٥١) القاهرة
ت: ٣٥٥٤٥٢٩ فاكس : ٣٥٤٧٥٦٦